

دورية دولية محكمة

مجلة التخطيط العمراني والمجالي

مجلة التخطيط العمراني والمجالي

المركز الديمقراطي العربي



ISSN 2698-6159

ISSN (print) 2699-2604

Journal of

Urban and Territorial Planning

international scientific periodical journal

JUTP

Journal of Urban and Territorial Planning



NATIONALES ISSN-ZENTRUM FÜR DEUTSCHLAND ISSN 2698-6159

Email: jutp@democraticac.de

Germany: Berlin 10315 Gensinger Str: 112

مجلة التخطيط العمراني والمجالي

Journal of Urban and Territorial Planning

مجلة فصلية محكمة ذات طابع دولي، تعنى بالدراسات والبحوث في مجال التخطيط العمراني والمجالي

الناشر

المركز الديمقراطي العربي ألمانيا - برلين

in the urban and territorial The journal is concerned with research studies and research papers
planning

Nationales ISSN-Zentrum für Deutschland

ISSN 2698-6159 / ISSN (Print) 2699-2604

Is an international scientific periodical journal issued by the

Democratic Arabic center -Germany- Berlin

Germany:

Berlin 10315 Gensinger- Str: 112 Tel: 0049-Code Germany

030- 54884375

030- 91499898

030- 86450098

mobiltelefon : 00491742783717

E-mail : jutp@democraticac.de

رئيس المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية - برلين - ألمانيا -

أ.عمار شرعان

رئيس التحرير واللجنة العلمية

و. صيد زمحمد سفيان، أستاذ محاضر بجامعة باجي مختار عنابة

هيئة التحرير:

- ا.د رجب هشام جامعة سوسة تونس
- ا.د اليزيد حمدوني علمي كلية الادب والعلوم الانسانية ظهر المهرز فاس
- د. حركات محمد الامين قسم التهيئة جامعة باجي مختار عنابة - الجزائر
- د. وديع عثمانى جامعة ليون 2 فرنسا
- د. سهام قواسمية، أستاذ محاضر، جامعة محمد الشريف مساعدي سوق أهراس، الجزائر
- د. صيد صالح، أستاذ محاضر، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.
- د. مصطفى قنقورة الوكالة الحضرية بمكناس المغرب

الهيئة العلمية:

- أ. د ناجم ظاهر - المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية والتعمير - جامعة قرطاج تونس
- أ. د بلال سيد احمد - جامعة وهران 2 الجزائر
- أ.د سيلفيا سرلي - جامعة ساساري ايطاليا
- أ.د انجل غونزاليس مورال - جامعة سيفيل اسبانيا
- أ.د فاطمة جبراتي - جامعة القاضي عياض مراكش المغرب
- أ.د ناتلي كاركود جامعة انجر - فرنسا
- أ. د الصادق قرفية قسم التهيئة - جامعة باجي مختار عنابة- الجزائر
- أ. د جمال الدين قسوم قسم التهيئة - جامعة باجي مختار عنابة - الجزائر
- د. نورة قليان المدرسة العليا للعلوم الاجتماعية- باريس فرنسا
- د . بوشتي الخزان - جامعة فاس المغرب

د. احمد بوسماحة معهد تسيير التقنيات الحضرية - جامعة ام البواقي الجزائر

د. أسماء قواسمية، أستاذ محاضر، جامعة محمد الشريف مساعدي سوق أهراس، الجزائر.

د. محي الدين أحمد محمد الهواري، أستاذ محاضر، الاكاديمية الحديثة للهندسة و التكنولوجيا - مصر.

د. اورورا لوبيز اكونا جامعة زاراقوزا - اسبانيا

د. سمود بوزيان جامعة باريس 8 فرنسا

د. عادل الدورساوي جامعة الملك فهد للبترول والمعادن السعودية

د عثمانى وديع جامعة انجر فرنسا

أ.م.د. أحمد الشحات محمود المنشاوي - جامعة الزقازيق - مصر.

د. ثريا بلحسيني اديرس المعهد الوطني للتهيئة والتعمير الرباط المغرب

التعريف بالمجلة، هدفها ومجالها:

مجلة التخطيط العمراني و المجالي ، مجلة فصلية دولية محكمة متخصصة في علوم التخطيط العمراني و الحضري والإقليمي و تخطيط المدن، وكل ما له علاقة بالبعد التخطيطي بالاعتماد على تقنيات نظم المعلومات الجغرافية ، كما تهتم المجلة بتطبيق الهندسة المدنية على جوانب التخطيط الحضري مثل النقل والمنشآت القاعدية ، تخطيط المرافق وحماية الأنسجة العمرانية وموقع التراث ، تخطيط المناطق السياحية والمدن الجديدة ، تحسين المناطق الحضرية وإعادة ترميمها وتأهيلها ، الهندسة المعمارية والتنمية المحلية ، الاعتبارات الجمالية ، تخطيط استخدام الأراضي ، المرافق ، إدارة البنية التحتية ، تشريعات البناء والتعمير ، تخطيط النقل ، البيئة والتخطيط المجالي.

و تهدف هذه المجلة إلى توفير منصة للباحثين العرب والدوليين ، وخاصة أولئك الذين يعملون في العالم العربي ، لنشر البحوث المتعلقة بالمسائل المتعلقة بالتغيرات السريعة التي تؤثر على البيئة المبنية والقضايا المتعلقة ببرامج التخطيط واستدامة هذه التطورات وأثارها الاجتماعية والاقتصادية والمادية ، كما تهدف أيضا بشكل خاص إلى فهم الدوافع وتوضيح التحديات والعوائق التي تواجهها المجالات الحضرية ، مما يشكل تحديات كبيرة بالنسبة للدراسة والبحث وجمع البيانات ووضع خطط للتنمية واستدامة هذه المجتمعات وفق مخططات عمرانية ومعمارية تراعي خصوصيات المجال وهوية المجتمع.

شروط وقواعد النشر:

المجلة مفتوحة على جميع البحوث في مجالات التخطيط العمراني و المجالي، و كذا الهندسة المعمارية ونظم المعلومات الجغرافية و البيئية، المؤلفة باللغات العربية ، الانجليزية ، الفرنسية ، التركية ، الألمانية، الإيطالية و الإسبانية.

إلتزام الموضوعية واحترام حقوق الملكية الفكرية والأمانة العلمية، ونبذ أي سلوك من شأنه الإساءة إلى البحث العلمي.

أن يكون الباحث حاصلًا على درجة علمية، و يرفق مشروع مقاله ببيان سيرته الذاتية.

يعبّر المقال عن رأي صاحبه الذي يتحمل المسؤولية عنه، و لا يعبر عن رأي المجلة.

أن يكون مشروع المقال أصيلا و جديدا لم ينشر سابقا.

أن يكون المقال غير مقدم للنشر في مجلة أخرى، مع التزامه بعدم تقديمه للنشر في مجلة أخرى مستقبلا قبل أن يحصل على موافقة مسبقة من المجلة بذلك.

ضرورة ادراج العنوان و كذلك الكلمات المفتاحية باللغة الإنجليزية.

يزوّد المقال بملخصين أولهما بلغة المقال و الثاني باللغة الإنجليزية، أما إذا كان المقال باللغة الإنجليزية ،يدرج ملخص بالإنجليزية و الآخر بالعربية و ذلك في حدود صفحة واحدة.

ضرورة إدراج المراجع (références) باللغة الإنجليزية في آخر المقال.

ترسل مادة النشر في شكل ملف مرفق عبر البريد الإلكتروني مكتوب ببرنامج Microsoft Word نوع الخط بالعربية Traditional Arabic مقاسه 15 بالنسبة للمتن و 13 بالنسبة للهوامش، أما اللغة الأجنبية فنوع الخط Times New Roman مقاسه 13 بالنسبة للمتن و 11 بالنسبة للهوامش.

يراعى في حجم المقال كحد أقصى 20 صفحة من النوع العادي (A4) بما فيها المصادر و المراجع.

بالنسبة لهوامش الصفحة 2.00 سم بالنسبة لكل الجوانب، التباعد بين الأسطر 1.15.

توضع الإحالات و المراجع و المصادر (الهوامش) في آخر المقال أوتوماتيكيا و ترقم بالتسلسل حسب ظهورها في المتن (إستعمال طريقة APA).

على الباحث إجراء كافة التعديلات المطلوبة من الهيئة العلمية أو من هيئة الخبراء أو من فريق التحرير و ذلك للسماح بنشر المقال.

يلغى المشروع في حال عدم رد الباحث في الأجل المحددة من تاريخ آخر مراسلة الكترونية له من المجلة.

لا تنشر المجلة إلا المقال الذي تكتمل فيه جميع الشروط ولغريق التحرير الحق في تأجيل نشره إلى عدد لاحق عند الضرورة.

المقالات التي ترسل إلى المجلة لا ترد سواء نشرت أم لم تنشر .

يمنح للباحث الذي تم نشر مقاله في المجلة نسخة إلكترونية من العدد، وكذا شهادة معتمدة من المجلة تفيد قبول بحثه للنشر بالمجلة و تاريخ النشر و العدد الذي نشر به.

تخلي هيئة تحرير المجلة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية.

— يجب أن يرسل البحث عن طريق البريد الإلكتروني التالي jutp@democraticac.de

The Journal of Urban and Territorial Planning is a quarterly, international peer reviewed journal. It publishes high quality and original unpublished research articles that deal with studies and researches in the fields of Urban and Territorial Planning.

The JUTP is issued regularly: quarterly edited by the Democratic Arabic Centre for Strategy, Political and Economic Studies of Berlin–Germany, and has a worldwide, actively involved scientific committee, that oversees its evolutive edition, given that it encompasses a wide range of international academicians coming from many countries.

The JUTP is based on a code of ethics in relation with its editing conditions, and to an internal list of reviews' arranging, knowing that the selection of the articles that would be published in every issue, depends on the formal and objective specifications of the international journals.

All the research content of JUTP is freely available online, and there is no charge to researchers who access online, read, download, print, copy or cite parts of the published articles, as long as they mention the references in conformity with the international reference system, and accordance with the *BOAI definition of open access*

Editor-in-chief and Scientific Committee President:

Dr. Sid Ahmad Soufiane – University of Baji Mokhtar–Annaba–Algeria

Goals and fields of the JUTP:

The Journal of Urban and Territorial Planning is specialised in Urban, provincial, and territorial planning, and every area that deals with the aspects of planning, civil engineering, technologies of geographical systems, such as transport and the infrastructure, in addition to the protection of urban and heritage sites, touristic areas and new cities, without forgetting the improvement of urban areas and their rehabilitation, the architecture and the local development, the aesthetic considerations, the planning of the use of lands, the utilities, the infrastructure management, the legislation of the building and the reconstruction, the planning of the transport, the environment and the spatial planning.

The aim of the Journal of Urban and Territorial Planning is to provide a platform for Arab and international researchers, especially those working in the Arab world, to disseminate research on issues related to rapid changes affecting the built environment. Issues such as those related to the planning programs and the sustainability of these developments and their social, economic and physical impacts; make the obstacles that the urban areas face, pose great challenges for studies and research. In addition, JUTP facilitates every data collection and development plans, aiming to guaranty the sustainability of the communities according to the constructive and architectural plans, that take into consideration the specificities of the field and the identity of the society.

Terms and Conditions of Publication:

- 1- The journal is open to all research in the fields of urban planning and space, as well as the information systems of architecture, geography and environment, that are written in Arabic, English, French, Turkish, German, Italian and Spanish.
- 2- Every research candidate should Commit to objectivity in his research and respect the rights of intellectual property and scientific honesty, and most of all renunciate any conduct that would prejudice his scientific research.
- 3- The researcher must have at least a master's degree or be subscribed on a Philosophy Doctorate or having a PhD graduation.
- 4- The article expresses the opinion of its own author who has the full responsibility about it and does never express the opinion of the JUTP.
- 5- Every submitted article should be original, unpublished, and not under consideration by another journal, neither home nor abroad, before getting a prior agreement from the scientific and editorial team of the JUTP.
- 6- The submitted article should never be a part of a master's dissertation or a PhD thesis, or a part of a yet published research /article/book...
- 7- The articles are printed in black and white
- 8- Two abstracts in two languages (one of which should be Arabic, and the other in the language of the article) should be attached to the article, length of which should not exceed one page for every abstract
- 9- The publication material should be written in Microsoft Word format with the Traditional Arabic font, and having as size 15 for the body and 13 for the margins, whereas for articles written in Latin characters (which language is either French or English or German ...) the font should be Times New Roman with a size of 13 for the body and 11 for the footnotes and citations).
- 10- The whole material of a research should be between 15_{min} and 20_{max} pages of A4 format (references and annexes included).
- 11- Margins should be 2 cm from the four borders of every page of the article.
- 12- Assignments, notes and references should be automatically added at the end of the articles (endnotes, references list, annexes), being numbered sequentially as they appear in the text.
- 13- Once a reviewing report received, every researcher should agree and apply all the necessary modifications that are required by the scientific committee members or the editorial team of the journal JUTP.
- 14- The research project shall be automatically cancelled if the researcher does not respond within one month of the date of the last electronic communication between him and the editorial team.
- 15- The JUTP shall publish only the article in which all the conditions are fulfilled, and the editorial team has the right to postpone its publication to a later number when necessary.
- 16- The sent research projects to the JUTP, are never referred back to the researchers, whether published or not.
- 17- The researcher, whose article is published in the JUTP journal, is given an electronic copy of the issue, as well as an approved certificate from the editorial team of the journal, stating that his

research is accepted for publication and mentioning the date of publication and the Volume/Issue of the JUTP.

18- The editorial board of the JUTP disclaims any infringement of intellectual property rights.

19- The publication material should be sent as an attached file to the e-mail of the journal:

jutp@democraticac.de,

الأمانة:

د. أسماء قواسمية

د. باسكال جانين

التنفيذ والإخراج الفني: الباحث هاني تورغي - هاني بلال

Journal indexing



محتوى العدد			
الرقم	الباحث	عنوان المقال	الصفحة
01	مدور وليد براقدي سليم	التنوع الاقتصادي وميكانيزمات صناعة السياحة في المناطق الجبلية نموذج منطقتي وادي عبدي ووادي الابيض الأوراس -	10
02	عبد الكريم التزني	البيئة والمعمار بالوحدات دراسة في تفاعل البيئة والمجال والمعمار بقصور واحات درعة الوسطى	36
03	معاد ميمون عبد العزیز بوليفة	التخطيط الاستراتيجي التقليدي لتخزين المنتجات الفلاحية: حالة المخازن الجماعية لمدشر القلعة بالشمال الشرقي لمدينة شفشاون	49
04	سوسن محمد شركسي حسين احمد الريماوي	التطور التاريخي والتركيب الداخلي لمدينة نابلس، فلسطين	67
05	ياسين الحلواني	وثيقة توجيهية لمثال صيانة وإحياء قرية الزريبة العليا (ولاية زغوان)	97
06	Abeer Sanyour	The impact of the relationship between cultural heritage and the human in revive of the ancient city	125
07	Sidi Mohamed El Hassani	La Mobilité routière comme système d'action concret : l'apport de la sociologie des organisations pour l'instauration d'une politique de sécurité routière au Maroc.	137
08	Insaf BCHINA	L'architecture du Jérid Tunisien، où l'ingéniosité ancestrale	148

التنوع الاقتصادي وميكانيزمات صناعة السياحة في المناطق الجبلية

نموذج منطقتي وادي عبدي ووادي الابيض الأوراس –

Economic diversity and mechanisms of the tourism industry in mountain regions

Model of the Ouadi Abdi and Ouadi Al Abyad Aures regions

¹الدكتور مدور وليد ²الدكتور براقدي سليم

^{1,2} جامعة قسنطينة 3

الملخص:

تعد منطقة الاوراس من بين المناطق التي عانت ومنذ فترة بعيدة ولا زالت تعاني من عدة مشاكل وصعوبات، رغم ما لها من خصائص طبيعية متميزة والتي تشكل كيانا جغرافيا واقتصاديا واجتماعيا منسجما تتمثل في المجالات الجبلية والتي لها تركيبة عمرانية، طبيعية ومجالية خاصة تشمل المراكز والمدن الصغرى، والتي تعرف نزوحا سكانيا مستمرا، تم تصنيفها حسب المادتين 12 و 14 من قانون 01/20 المتعلق بالتهيئة العمرانية في إطار التنمية المستدامة كمناطق حساسة تتطلب أخذها بعين الاعتبار من حيث الاهتمام بظروف المعيشة للسكان، وتحديد الأعمال التكاملية الضرورية لحمايتها، وترقية مراكز للحياة وإقامة التجهيزات والخدمات الضرورية للعيش في هذه المناطق، فك العزلة بتحسين شبكات المواصلات والاتصالات السلوكية واللاسلكية والاستغلال الأفضل للموارد المحلية بتطوير الصناعات التقليدية و السياحة البيئية والأنشطة الترفيهية التي تلائم الاقتصاد الجبلي .

وقد حاولت أدوت التهيئة والتعمير ولاسيما المخططين الوطني و الإقليمي للتهيئة والتعمير الأخذ بعين الاعتبار الأفاق التنموية والتخطيطية لهذه المجالات على مختلف المستويات من خلال ترقية المراكز الحضرية وتدعيم الهياكل القاعدية في هذه المناطق وتشجيع الاستقرار السكاني بها، كما عملت الدولة من خلال التقسيم الإداري إلى محاولة زيادة عدد البلديات الجبلية بهدف التحكم أكثر في هذه المجالات، حيث تطور عدد البلديات الجبلية في ولاية باتنة في التقسيم 1984، وفي التقسيم الإداري المتوقع يفترض أن يرفع عددها. وقد جاء القانون 03/04 المتعلق بحماية المناطق الجبلية في

إطار التنمية المستدامة وحسب المادة 11 التي عرفت المناطق الجبلية كفضاءات يجب ترقيتها وتستفيد بموجب هذا القانون من كامل التدابير المخصصة لها.

إن التنمية في المجالات الجبلية في إقليم الأوراس ومن خلال البرامج الوطني تحاول دوما جعلها جزءا متكاملًا معها، إلا أنه لا بد من الاعتراف بأنها مجالات مميزة " حساسة " بواقعها الجغرافي ومؤثراتها الطبيعية، حيث تعد منطقة الأوراس من بين تلك المجالات التي لا شك بأنها تعرف ظاهرة التعمير والتنمية الجبلية والتي يمكن أن تكون نطاق سياحي ومجال مستدام. لذا تعتبر منطقة الأوراس الوحدة المحلية، والوحدة البشرية التاريخية الأكثر أهمية في الشرق الجزائري، وهذا من خلال المؤهلات الطبيعية والتراث العمراني التي تزخر بها، والتي تتطلب بعث للسياحة المستدامة بالمنطقة.

ومن خلال ورقة بحثنا، سنتطرق إلى التنوع الاقتصادي ومدى خلق صناعة سياحية مستدامة، واستخدام السياحة الجبلية كمحرك يحقق التنمية الإقليمية المتوازنة ويسمح بالنهوض بالمستوى المعيشي للمناطق الجبلية والريفية التي تمتلك المصادر والموارد السياحية بهذه الأقاليم.

الكلمات المفتاحية: السياحة الجبلية، التنوع الاقتصادي، الأوراس، الصناعة السياحية، التنمية المستدامة.

Abstract :

The region of Auras is one of the areas that have suffered for a long time and still suffer from many problems and difficulties, despite their distinct natural characteristics, which form a geographically, economically and socially consistent entity in mountain areas, which have a physical structure, natural and special, including the centers and small cities, Which are defined as Article 12 and 14 of Law 20/01 on urbanization within the context of sustainable development as sensitive areas that need to be taken into account in terms of attention to the living conditions of the population, the identification of the complementary work necessary to protect them, Life and the establishment of facilities and services necessary to live in these areas, the isolation and the improvement of transport and telecommunications networks and better exploitation of local resources to develop traditional industries and environmental tourism and recreational activities suited to the mountain economy.

The planning and reconstruction tools, especially the national and regional planning and reconstruction planners have tried to take into account the development and planning horizons of these areas at various levels through upgrading the urban centers and strengthening the basal

structures in these areas and encouraging population stability. The mountain municipalities in order to control more in these areas, where the number of mountain municipalities in the state of Batna in the division of 1984, and in the administrative division expected to increase their number. Law 04/03 on the protection of mountain areas in the context of sustainable development and article 11, which defines mountainous areas as spaces to be promoted and benefits under this law from all the measures allocated to it.

The development in the mountainous areas of the Auras region and through the national programs is always trying to make them an integral part. However, it must be recognized that they are distinct areas that are sensitive to their geographical location and natural effects. The Auras region is one of those areas that undoubtedly know the phenomenon of reconstruction Mountain development, which can be a tourist range and a sustainable field.

The region of Auras is considered to be the most important historical unit in the Algerian east. This is due to its natural and architectural heritage, which requires a revival of sustainable tourism in the region.

Through our research paper, we will address the economic diversity and the extent of creating a sustainable tourism industry, and the use of mountain tourism as an engine that achieves balanced regional development and allows for the improvement of the standard of living of mountainous and rural areas.

Keywords : mountain tourism, economic diversification, Auras, tourism industry, sustainable development.

مقدمة:

تعتبر صناعة السياحة احدى الظواهر الهامة في القرن العشرين ولهذا سمي القرن العشرون "بقرن السياحة"، ويعتبر القرن الحادي والعشرون هو قرن "صناعة السياحة"، لأن صناعة السياحة ستكون أكبر صناعة في القرن الحادي والعشرين. [1] تمتلك منطقة الأوراس مؤهلات تراثية طبيعية، ثقافية واجتماعية ثرية ومتنوعة، حيث لكل مدينة تمتاز بخصوصيات معينة تساهم بدورها في ثراء التراث المحلي للمنطقة وتساهم في وتساهم في الوقت نفسه في رفع قيمة الإقليم الأوراسي وبالتالي دعم السياحة الوطنية وذلك تحقيقا للمحاور الرئيسية التي يتضمنها المخطط التوجيهي لتهيئة السياحة (SDAT) [2] والذي أطلق في 2008 والذي يرمي إلى رفع عدد السياح إلى 2.5 مليون في أفق 2025، وتتمثل هذه المحاور في ترقية الجزائر

كوجهة سياحة مفضلة، وتطوير المراكز السياحية ذات المستوى العالمي، وترقية الشراكة بين القطاعين العام والخاص، وتشجيع الإستثمار في القطاع السياحي.

1- الاوراس مجاليا:

- الموقع:

جغرافيا: تقع في قلب الاوراس وتنتمي إلى سلسلة جبال الأطلس الصحراوي ضمن مجال ولاية باتنة، وتشكل منطقة وادي عبدي ووادي الابيض نطاقا انتقاليا بين النطاق الجبلي (الأطلس الصحراوي) والصحراء فالوحدة الطبيعية المتضمنة لهذه المراكز هي حوضي وادي عبدي ووادي الابيض.

إداريا: منطقة الدراسة والمتضمنة 12 من البلديات والتي تنتمي إداريا إلى ولاية باتنة وتضم إجمالي عدد البلدية يقدر بـ 61 بلدية و 2 دائرة، و هي تقع في الجنوب الشرقي للولاية، وهي ذات امتداد الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي، ويعتبر الطريق الوطني رقم 87 RN من مقومات منطقة وادي عبدي والطريق الوطني رقم 31 RN من مقومات منطقة وادي الابيض، حيث يؤمن الربط بين مختلف مناطق الحوضين، والذي يربط مدينة باتنة بمدينة بسكرة بامتداد يقدر بـ 150 م، و يخدم اغلبية بلديات المنطقة.

3-1- المقومات الطبيعية: التنوع في استغلال المجال

تمثل كافة الظروف التي تشكل مقصدا للسائحين للتمتع بجمال الطبيعة والابتعاد عن التلوث والازدحام وتوثر الأعصاب التي تتسم بها الحياة الحضرية، وتشمل ما يلي:

- المناخ: يفضل السائحون الجو المعتدل الجاف حيث يكون الانتقال إلى المناطق الدافئة شتاء، والمناطق الجبلية وشواطئ البحار صيفا.

- الحمامات المعدنية: سواء بالنسبة للمرضى قصد العلاج، أو الأصحاء الذين يرغبون اللجوء إلى مكان تتوفر فيه أسباب الراحة والمتعة.

- مغريات طبيعية أخرى مثل شواطئ البحار والجبال والصحاري.

تحضى منطقة الدراسة بمشاهد جغرافية استثنائية، وكوارد طبيعية متنوعة، تجعلها متفردة عن باقي مجالات الواقعة في إقليم الولاية، تتخزن مقومات حضارية عريقة تطورت مع استقرار الإنسان بالجبال منذ أزيد من آلاف السنين، كل هذا جعل



هذه الجبال تعكس قيمة بيئية واقتصادية نوعية، كما جعلها محط اهتمام علمي لمختلف الدراسات والأبحاث، ومن ضمنها دراسات التهيئة العمران.

أ- المصاطب الزراعية:

تتميز منطقة الدراسة بنظام المدرجات الزراعية، والتي تتشابه مع المناطق الواقعة في الأطلس

الصورة رقم (01) : امواج البيئة الجبلية مع المصاطب الزراعية رئيس



الصحراوي، تظهر ميدانيا متناسبة عكسيا مع الانحدار، تزداد ونتيجة لطبيعة المنطقة نجدها [4] مساحتها كلما نقص ، الانحدار ، ضيقة على مستوى وادي عبدي (بوزينة، ثنية العابد،

الصورة رقم (02): الواحة الجبلية (تناغم الجبل

حيث لا يتعدى مساحتها 250م، بينما تظهر أكبر في منطقة وادي الأبيض نتيجة الانحدارات التي منعة، تيغرغار)، تميز سفوح هذا الحوض. (الصورة رقم 01)

ب-الواحة الجبلية: تمثل ضمن النطاق الجبلي الانتقالي بين الأطلس الصحراوي والصحراء، وتظهر في الجهة الجنوبية من الحوضين (بلدية غسيرة، تيغرغار)، وتتضمن مستويات من التدرج النباتي، السقف الأعلى يخص شجر النخيل، الذي يمثل الطبقة العليا المتيح للظروف المناخية ويساعد على الاستغلال، والذي يسمح بوجود مستوى ثاني من الأشجار المثمرة، الليمون، المشمش، الرمان،...، وأخير نجد الطبقة الموسمية الخضروات. والتي توضحها الصورة رقم 02.



الصورة رقم (03): الاستغلال الفلاحي السفوح منطقة وادي الأبيض

ج- السهل: ينتشر هذا النوع في الجهة الشمالية من منطقة الدراسة خاصة منطقة وادي الأبيض، حيث يظهر جليا في بلدية أشمول، ذات مساحات شاسعة ومنبسطة، إضافة إلى العامل المناخي المساعد، عكس ما هو عليه في الجهة الجنوبية من منطقة الدراسة.

الصورة رقم 03.

د- استصلاح المجالات الغابية:

من خلال البحث الميداني، اتضح تواجد مساحات مستصلحة مستغلة في الزراعة على حساب الأراضي الغابية، ومن خلال



الصورة رقم (04): الاستصلاح المجالات الغابية في زراعة الأشجار المثمرة

الاستجابات مع السكان المحليين، وتبقى هذه العملية محدودة نظرا للتكاليف الباهضة للاستصلاح في هذه المجالات الصعبة، وقدرت نسبة المساحة المستصلحة من إجمالي المساحة الزراعية 6.68%. [5]. والصورة رقم 04 وتوضح شكل الاستصلاح.

3-2- المقومات التاريخية والأثرية:

تعتبر المقومات التاريخية و الأثرية مغريات سياحية هامة، فالتعرف على الحضارات والتاريخ الإنساني له متعة ذهنية رفيعة، حيث أن الآثار انعكاسا للحضارات وامتدادا للتطور والمعرفة الإنسانية، ويضم العالم معالم أثرية تتفاوت في أهميتها، و توجد في مصر أهم مجموعة أثرية في العالم كالأهرامات. [6]

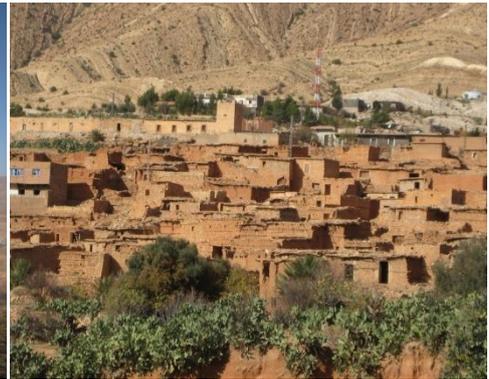
3-2-1- عمران جبلي مميز: أصالة التراث المحلي

يزخر إقليم الاوراس بمؤهلات سياحية متميزة ومتكاملة، تجمع بين الطبيعة (الجبلي) والعمران (الدفرة)، أنتجها الإنسان الاوراسي عبر تاريخ طويل، يمكن أن تلعب دور في التنمية المحلية بالمنطقة، إذ أحسن استغلاله، وتثمينه، ورغم المؤهلات التي تتمتع بها المنطقة، فإنها تتعرض للإهمال، وتعاني من مشاكل متعددة تحول دون استغلالها قصد النهوض بالاقتصاد المحلي.

تضم منطقة الدراسة على مجموعة من المداشر المتواجدة على ضفتي وادي عبدي ووادي الأبيض، وصنف العديد منها ضمن التراث الوطني والتي يمكن أن تلعب دورا في السياحة المحلية والوطنية، إذا وجدت الاهتمام اللازم من طرف السكان والسلطات المحلية. (الصور رقم 05-06)



الصورة رقم (06): وادي بوزينة (منظر طبيعي)



الصورة رقم (05): قرية تاقوست

3-2-2- الموارد المحلية حسب الأهمية بمنطقة الدراسة:

هناك ترابط بين المجال الطبيعي والمجال المبني الذي يجعل الموارد المحلية مهمة في المنطقة لو أحسن استغلالها، وتوظيفها في تنمية المنطقة.

الجدول رقم (01): ترابط الموارد المحلية بالمجال الطبيعي.

التراث المبني	المناظر والثروات البيئية(الطبيعة)
<ul style="list-style-type: none"> - المداشر - المواقع التاريخية - الزوايا والأولياء - القرى الخصوصية - الأسواق المحلية 	<ul style="list-style-type: none"> - الجبل - المصاطب الزراعية - المناظر الطبيعية والمخائق - الغابة
<ul style="list-style-type: none"> - التفاح - المشمش - الجوز - التين - الزيتون - العسل 	<ul style="list-style-type: none"> - المجتمع المحلي - مواد الصناعة التقليدية - الهوية المحلية - أنظمة الإنتاج المحلي
الموارد ذات الخصوصية	العادات والتقاليد و الذاكرة الجماعية

3-2-3-المواقع الأثرية بمنطقة الدراسة:

يحتوي إقليم ولاية باتنة على أكثر من 540 موقع ومعلم تاريخي مدونين في الأطلس الأثري للجزائر 2011، [7] تزخر المنطقة بتراث ضخم من آثار وبقايا حضارات عريقة منذ القدم يصعب التمييز بين حلقاتها، وبين من صنعوها ، ويبقى الكثير منها تحت سطح الأرض، يوجد في إقليم دائرة أريس القديم الذي يضم مجال الدراسة كاملا حوالي 80 موقعا اثريا من مختلف الحضارات التي مرت على المجال الأوراسي، ويمكن تصنيف هذه الآثار الموجودة حاليا والبارزة إلى: [8]

آثار أبنية حصون وقلاع، آثار تجمعات وقرى فلاحية، آثار سواقي المياه المعلقة والمحفورة في الصخور والكهوف، أحواض المياه والصحاريج ومعاصر الزيتون، حفریات على الصخور تمثل مقابر بأغظيتها، وتمثل أهم المواقع بالمنطقة:

- منطقة أريس: بقايا أبنية قديمة محاذية للمستشفى القديم الموجود على جانب الطريق الرئيس لقرية أريس السقي.

- بلهود: على الضفة اليمنى للوادي الأبيض آثار بناية كبيرة مستطيلة الشكل، تقع أسفل الطريق الوطني 31.
 - تيغانمين: بقايا ساقية محفورة على الصخر على الضفة اليمنى للوادي.
 - وادي عدي: بناية مربعة الشكل بحجارة ضخمة 9 م في الضلع.
 - نرذي: بقايا منشآت فلاحية في السهل الأعلى لنرذي.
 - منعة: بقايا آثار ساقية محفورة في خانق تاسريفت.
 - شناورة: صهريج كبير لحجز مياه الينابيع لوقت الحاجة والسقي يستعمل لحد الان.
 - تكوت: الصهريج الكبير المستعمل للسقي 27م
 - تغيت: كتابات قديمة منقوشة على الصخر
 - غسيرة: مجموعتان سكنيتان عل ضفاف ملتقى واد القصر.
- كل هذه الآثار تبرز الأهمية التاريخية للمنطقة، والحضارات التي تعاقبت عليها، والتي يمكن ان يكون لها دور في تنمية المنطقة إذا أحسن استثمارها في تنمية هذا المجال المش، ومن المواقع والمعالم المصنفة بمجال الدراسة موضحة في الجدول الموالي:

الجدول رقم (02): قائمة المعالم والمواقع المصنفة في مجال الدراسة

تاريخ التصنيف	الحقبة	نوع التصنيف	التعيين	البلدية
1928/01/30		موقع طبيعي	قرية بوزينة	بوزينة
1928/01/30		موقع طبيعي	قرية تاقوست	بوزينة
1928/01/30		موقع طبيعي	مضيق غوفي	غسيرة
1928/01/30	معاصر	صرح (مبني)	دار مدور عزوي	إيشمول
1993/06/27	حديث	صرح (مبني)	مخزن بالول	منعة
1928/01/30		موقع طبيعي	قرية منعة	منعة
1928/01/30		موقع طبيعي	مضيق تيغانمين	تيغانمين

1928/01/30		موقع طبيعي	قرية امنطان	تيغراغار
1993/06/27	حديث	صرح مبني	مخزن ايقلفن	تيغراغار

المصدر: مديرية الثقافة لولاية باتنة

3-3- المقومات الاجتماعية والدينية:

تتمثل المقومات الاجتماعية في طريقة حياة الشعوب وسلوكها في شكل الفنون الشعبية بطبوعها المختلفة، الثقافات والعادات لدى السكان. أما المقومات الدينية فتشمل الأماكن المقدسة والآثار الدينية كالمساجد والمواقع المقدسة ومن بين المواقع المتواجدة في منطقة الدراسة مسجد سيدي بلعباس بمنعة والزاوية القادرية.

3-4- المقومات المادية والخدمية:

تتمثل في مدى توفر البنى التحتية الهياكل القاعدية، بالإضافة إلى مختلف القطاعات الصناعية، التجارية، البنوك والعمران، فضلا عن الخدمات المكتملة كالبريد، الإطعام، الايواء، النقل مراكز الترفيه والوكالات السياحية. وتضم مجال الدراسة البنى التحتية التالية:

- الشبكة الطرقية وكثافة الاستعمال بإقليم الدراسة:

تعد كثافة الاستعمال مؤشر على الأهمية الفعلية لمحاور الطرق في الإقليم، وعلى أهمية علاقات المراكز فيما بينها، ومع التجمعات الثانوية. [9]

- حالة الطرق بمجال الدراسة :

جميع الطرق الموجودة في مجال الدراسة صالحة للسير والحركة كما يوضحه الجدول الموالي:

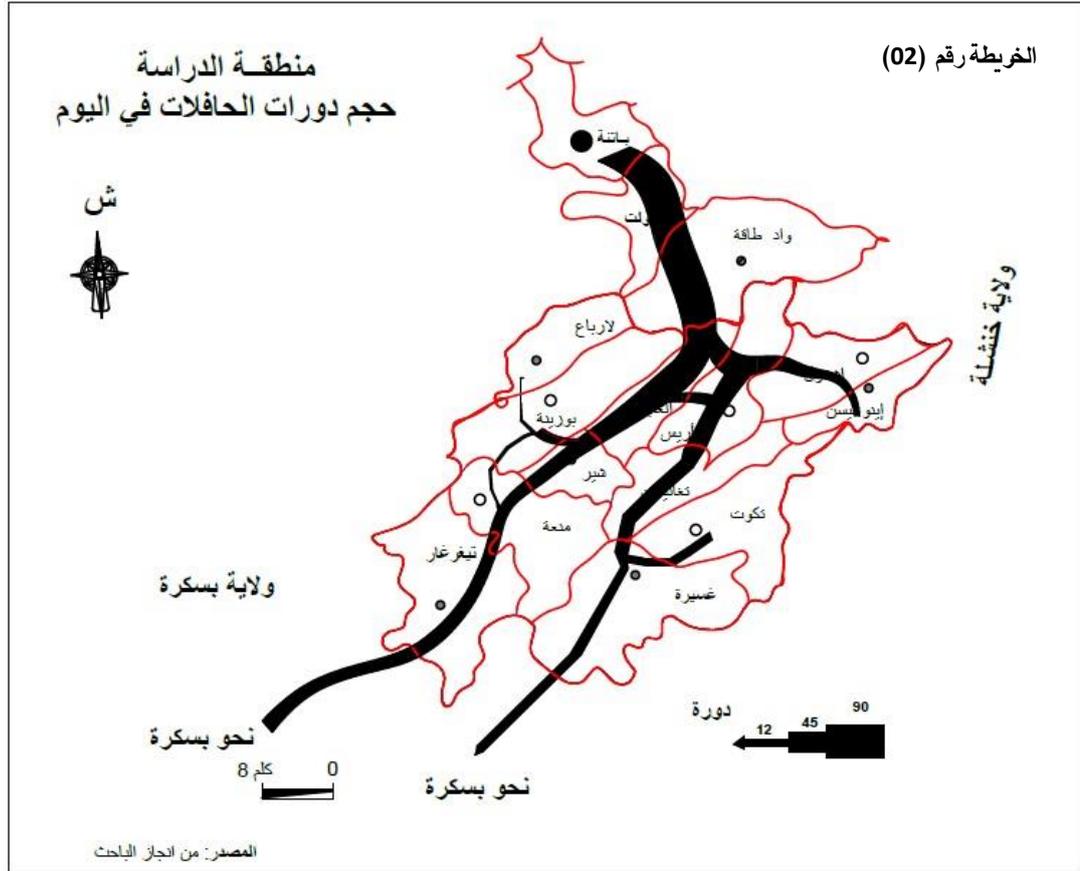
الجدول رقم (03): حالة الطرق البلديات مجال الدراسة

الارتباط	الوضعية	نسبة التغطية (%)	التعيينات
باتنة - اريس - بسكرة	جيدة	100	الطريق الوطني 31
باتنة - ثنية العابد - منعة - بسكرة	جيدة	100	الطريق الوطني 87

الطريق الولائي 5	100	حسنة	غسيرة - تكوت - الشمرة
الطريق الولائي 45	100	حسنة	اريس - المدينة - دوفانة
الطريق الولائي 54/أ	100	متوسط	المحمل - الطريق الوطني 87
الطريق الولائي 54/ب	100	حسنة	اريس - الطريق الوطني 87
الطريق الولائي 54/س	100	جيدة	طريق وطني 87-بوزينة-تاقوست منعة ط.و. 87

المصدر: مديرية التهيئة العمرانية لولاية باتنة.

- النقل بالحافلات: وتتم بواسطة حافلات النقل الجماعي التي لا تتعدى عدد المقاعد 30 مقعد، من خلال الخريطة رقم (02) يتضح حجم عدد الدورات اليومية للحافلات في منطقة الدراسة حيث يتضح أن اتجاه وحجم الحركة نحو مدن باتنة، أريس و بسكرة بواسطة النقل الجماعي، حيث يعتبر المحورين الرئيسيين لمجال الدراسة ط.و.31 و ط.و. 87 همزة وصل من الشمال نحو الجنوب بالنسبة لسكان المجال المدروس.



3-5- السياحة التراثية: وبالرغم من الجهود التي بذلت لتنمية هذه المناطق إلا أن هناك عدة عوائق وعراقيل تقف في وجه تنمية وترقية هذه المداشر، من أهمها العامل الطبيعي والعقاري والوازع الثقافي، هذه المراكز التراثية وإن تم الاهتمام بها وتوظيفها في السياحة التراثية التي عرفها الصندوق الوطني لصون التراث التاريخي: "بأنها تجربة السفر إلى الأماكن والأنشطة التي تمثل أصالة قصص الناس من الماضي والحاضر التي تشمل التاريخ والثقافة والموارد الطبيعية".



تنوع الموروث الثقافي بالمنطقة (الموسيقى-الرقصات)



4-ميكانيزمات صناعة السياحة بمنطقة الاوراس:

تمثل السياحة الجبلية والريفية إحدى القطاعات المهمة وأكثرها قدرة على تحقيق تنمية محلية بالاوراس إذ يمكن أن تشكل قاطرة للتنمية الاجتماعية والاقتصادية.

وبذلك يمكن تنمية هذا النوع من السياحة عبر محورين السياحة الجبلية والسياحة القروية، نظرا لما تكتنزه المنطقة من مؤهلات: المشاهد والثروات البيئية، التراث المبنى التقليدي والمعمار القروي خصوصيات بشرية ومهارات وعادات محلية، ...

أ-الرفع من مستوى البنيات التحتية والخدمات.

من اجل خلق الظروف الملائمة للاستثمار في المجال السياحي يجب أن تتضافر جهود القطاعية الخاص والعام، بدءا من توفير البنيات التحتية كالطرق ومختلف الشبكات وصولا إلى وضع مخططات وبرامج للاستقطاب السياحي.

ب-إقامة مشاريع لتثمين الموارد المحلية:

- تثمين المنتوج الفلاحي المحلي:

انطلاقا من التنوع الكبير في الإنتاج الفلاحي الذي تتميز به المنطقة، إضافة إلى خصوصيات بعض المنتجات التي تنفرد بها المنطقة كالرمان، التفاح، المشمش، التين، ...، يجب تنمية القطاع الفلاحي عبر التغلب على المعوقات، وتثمين المؤهلات

التي تتوفر الأوراس، علاوة إلى تكثيف الإنتاج، مع تطوير تربية الماشية وثمان مؤهلات هذا القطاع بتنظيم مندمج وتسيير رشيد.

إلى جانب خلق وتنوع فرص التسويق والترويج المحلي " عبد التفاح، عبد المشمش"، بغية تثمينها أولا ومساعدة المنتجين المحليين على تسويق منتجاتهم في أحسن الظروف ثانيا، وذلك عن طريق إنشاء تعاونيات يجمع فيه منتجو المصنوعات التقليدية بمختلف أنواعها، إلى جانب محلات متخصصة في بيع المنتجات المحلية كالعسل والتين المجفف والمشمش المجفف ومختلف المنتجات الفصلية.

-تثمين الموارد الثقافية، الصناعات التقليدية ومواسم الأضرحة والزوايا:

تكتنز المنطقة تراثا ثقافيا مهما يتمثل أساسا في المعمار المحلي والفنون الشعبية الصناعات التقليدية والمواسم والزوايا..، ويقتضي تأهيل قطاع الصناعة التقليدية وتثمين المنتج التقليدي المحلي، تعزيز المهارات الحرفية للسكان المحليين عن طريق تكوين وتأهيل الشباب المحلي من الصنفين وإدراج تخصصات لهذا القطاع في مراكز التكوين المتواجدة في المنطقة، لتوفير الطاقات البشرية الكفأة لتطوير المنتج الحرفي المحلي وتقوية تنافسيته.

- **المهرجانات المحلية:** يحتفل سكان العديد من مناطق الأوراس كل سنة بدخول فصل الربيع الأمازيغي بمهرجانات دخول فصل الربيع الذي يتميز بطابع ثقافي سياحي، حيث يقوم سكان المنطقة بفتح معارض مفتوحة على طول مسارات المداشر، تشمل الأدوات والملابس التقليدية وكذا بعض المأكولات التقليدية. ويختتم هذا المهرجان بلعب الرجال للعبة تسمى " هكورث " وزيارة لموقع أثرية وأضرحة، ومحاضرات لأساتذة جامعين، واختصاصيين في التراث.

ج- إستراتيجية التطوير الأمثل للمداشر بالمجال الجبلي:

يمكن إعطاء قيمة للعمرة التقليدية كإستراتيجية للتطوير الحضري لنمط الدشرة والمتمثل في الجدول رقم 04:

ملاحظات	تفاصيلها	المجالات	
تأهيل المباني التراثية كمعارض تروي تاريخ الدفرة	اعتبار الدشرة قيمة تاريخية وثقافية	ثقافية	على مستوى الدشرة
	إحياء البنية الاجتماعية للدفرة من خلال إيجاد فرص عمل لتحقيق استمرارية اشتغال	اجتماعية	
	التنمية الاقتصادية وتأهيل المباني لجذب السياحة المحلية والوطنية	اقتصادية	
-كما حصل في بعض الدول المجاورة وتحول تلك الدور إلى مقاهي تراثية (المغرب) -أو يستفاد منها كأسواق تراثية. تعرض السلع والصناعات التقليدية -بالإمكان الاستفادة من تلك المباني كمتاحف أو كأماكن للتجمعات الثقافي.	1-الارتقاء بالخدمات و البنى التحتية 2-إعادة بناء ما تهرء من النسيج 3-إعادة تأهيل المباني وصيانة الجوامع والمباني التراثية والتاريخية أو المباني العامة 4-إعادة تنظيم منظومة الحركة لربط المعالم العمرانية بالمراكز الحضرية 5-التأكيد على حركة المشاة لحماية المباني ودعم الأشغال السياحي	عمرانية	
	1-اعتبار المراكز الحضرية من المراكز الثقافية وعدم التغيير من معالمها الثقافية 2-الارتقاء بالمستوى الثقافي للتجمعات وتعزيز دور المجتمع في الحفاظ على المعالم الثقافية في المراكز 3-الحفاظ على الموروث الثقافي والصناعات والحرف التراثية	ثقافية	على مستوى النسيج المحيط بالدفرة
	دعم التفاعل الاجتماعي	اجتماعية	
	1-تشجيع الاستعمال السياحي والترفيهي مع الحفاظ على الاستعمال السكني	اقتصادية	

	2-توفير فرص عمل ثقافية اجتماعية إضافة إلى الحرف التراثية		
وذلك عن طريق ربط الذشرة بطرق حركة المشاة و السيارات وتحويل بعض المناطق إلى مشاة فقط.	1-المحافظة على الطراز والنسيج الحضري كمحتوى للذشرة. 2-التكامل في منظومة حركة لمشاة بين الذشرة والنسيج المحيط. 3-استغلال الأراضي المتاحة كفضاءات خارجية.	عمرانية	

من إعداد الباحث: باعتماد على مجموعة من المراجع والتحقيق الميداني.

د-إنشاء بنايات سياحية (فنادق، بيوت شباب، مخيمات جبلية).

تتطلب تنمية السياحة الجبلية في الاوراس وإدماجه في محيطه اتخاذ إجراءات أهمها:

- إنشاء هياكل استقبال.
- استغلال المساكن التقليدية والمعمار المحلي في انتعاش السياحة القروية والبيئية.
- إعداد برنامج للترويج السياحي، تركز على لوحات إرشادية متواصلة ومنظمة، تبرز أهم محاور النشاط بمنطقة الاوراس:
- ترويج وانتعاش التنشيط السياحي.
- إنشاء أشكال جديد من الإيواء وإحداث منازل تقليدية للاستقبال.
- وبذلك المشاريع التي يمكن إنجازها تتمثل في:
- التركيز على السياحة العائلية مثل المغرب.
- مراعاة لخصوصيات المنطقة ذات الطابع القروي المحلي المحافظ، يستحسن أن تتركز الاستثمارات السياحية على تطوير السياحة العائلية، وذلك من خلال إقامة غرف مجهزة وتجهيزات الطبخ والترفيه واستقبال الأسر مهما كان أعداد أسرها.
- يمكن خلق مكاتب لتسهل على تنظيم لاستقبال السياح من طرف الأسر.

- إنشاء مساح وتجهيزات أمرا محوريا مادامت المنطقة جبلية ويقصدها الزوار في فصل الحر.

ويمكن لهذه المشاريع أن تعود إيجابا من خلال تحقيق الأهداف التالية:

- جلب السياح إلى المنطقة سيساهم في توفير فرص الشغل والقضاء على البطالة.

- بتنشيط السياحة ستمت المساهمة في تامين الموارد المحلية التي تزخر بها المنطقة.

- الرفع من مداخيل السكان المحليين.

- استقرار السكان وتقوية ارتباطهم بالمجال الجبلي.

ويبقى تأهيل العنصر البشري بالأوراس أحد المرتكزات الأساسية من اجل تحقيق تنمية محلية مستدامة ومندمجة، فلا مشروع سياحي بدون تنمية واستثمار للموارد البشرية، إن التنمية السياحية الحقيقية تقتضي تنمية المجتمع بمختلف مكوناته والتي تتبعه تنمية المجال وإدماجه وفق مقارنة تقلص الفوارق الاجتماعية والمجالية.

تبقى السياحة الجبلية نموذجا تنمويا يجب إدماجه في إطار منظومة اقتصادية ترتبط عناصرها الوظيفية بمجموعة من الأنشطة الأخرى المحفزة لها، فمفهوم السياحة الجبلية إذن مفهوم ديناميكي باعثها التسيير العقلاني الرشيد، البنيات التحتية، دور الفاعلين ومن ضمنها المهاجرون في الخارج والمجتمع المدني.

غير انه أمام الافتقار إلى الخطة التنموية الشاملة على صعيد هذه المجالات الجبلية، وعدم وجود تنمية تشاركية، يبقى المجهود المبذول ضعيفا لخلق أرضية تنموية في خدمة السياحة، كما يصعب معه الوصول إلى هذا النوع من التنمية المندمجة في غياب شروطها الموضوعية وخاصة مع التغيرات التي عرفها المجتمع الأوراسي بصفة خاصة والجزائري بصفة عامة

غالبا ما تكون المناطق الجبلية هي الأولى باحتضان المشاريع الترفيهية، نتيجة للمعطيات الطبيعية التي تؤهلها لاستقطابها ومدى انعكاساتها الايجابية على المناطق التي تقام فيها، و على اثر تحليلنا للوضع الحالي الخاص بالمؤهلات الطبيعية والاجتماعية والتاريخية والثقافية لمنطقة الدراسة، تبين أنها يمكن أن تلعب دورا في الجانب السياحي، لما لها من خصائص طبيعية، مناخية، تضاريسية، تاريخية والجانب الثقافي غير المادي، إضافة إلى أن هذه المنطقة مرتبطة ارتباطا مباشرا مع منطقة الاوراس بواسطة الطريقين الوطنيين 31 و 87 الرابط بين باتنة وبسكرة، وهكذا فإنها تشكل متحف سياحي طبيعي انطلقا من المواقع التي

تزرخ المنطقة من قلعة بالول ، قلعة ايقلفن، شرفات غوفي، دشرة (أمنطان، ورقة، منعة ،...) ، إضافة إلى المناظر الطبيعية الجذابة الذي تتميز به إقليم الاوراس، ولهذا لا بد من دعم قطاع السياحة في المنطقة.

5- مساهمة السياحة في تحقيق الإنصاف المجالي في الجبال:



الصورة رقم(07): جبل زاوي بالمقابل لمنطقة الحجاج

تهدف السياحة الهادئة، سواء كانت ريفية بالمعنى العام أو ايكولوجية أو فلاحية، إلى تحقيق الأهداف والغايات، مما جعل الكثيرين يصفونها بالسياحة المستدامة، إلى درجة أصبح معها مفهوم السياحة المستدامة، عنوانا كبيرا يستوعب كل أنواع وفروع السياحة بالأرياف.

فمن خلال منشورات المنظمة العالمية للسياحة حول السياحة الريفية، نستشرف ثلاثة مبادئ أساسية:

- السياحة الايكولوجية: التي تهدف إلى الحفاظ على الأوساط البيئية وعلى توازنها.
- الاستدامة السوسيو-ثقافية التي تضمن من وجهة، تنمية الأفراد، ومن جهة أخرى، تمكين المجتمع من المحافظة على مقوماته الحضارية والتراثية، في ظل احترام الشخصية المحلية الثقافية والمجتمعية.
- الاستدامة الاقتصادية التي تضمن تنمية اقتصادية ناجعة، بطرق تستجيب لحاجيات الأجيال الحالية والمستقبلية.

6- التخطيط البيئي لمناطق التوسع السياحي:

إن التخطيط الشامل يأخذ بعين الاعتبار العوامل الطبيعية، البشرية، الاقتصادية المحللة في هذه المرحلة مما يدعم ترقية، صيانة وتهيئة منطقة التوسع السياحي.

أما العوامل البيئية فأها تتضمن تزويد المنطقة والموضع السياحي بمياه الشرب، تجميع وطرح النفايات الصلبة، تصريف المياه القدرة، حماية الوسط من التلوث بمختلف أنواعه، تنظيم المرور والتجهيز بمختلف المرافق.

حماية النظام البيئي (التربة، الماء والهواء) من التلوث والمحافظة على عناصر هذا النظام والتي تتمثل في (الغطاء النباتي، التنوع الحيواني)، أيضا حماية السائح من الأوبئة ومنه منع انتقال الأمراض المعدية لمواطني المنطقة، وعموما فإن تركيز السياح في مدينة أريس أو تحركهم نحو مناطق أخرى من لإقليم سوف ينجم عنه مشاكل بيئية نتيجة الحركة السياحية من مكان إلى آخر. وبالتالي فالتخطيط البيئي لا يساعد في حل المشاكل البيئية فحسب وإنما من شأنه ضمان بيئة مريحة وهادئة عن طريق تجهيز منطقة التوسع السياحي بما يلاءم قيام السياحة وتطورها.

وأن التراث التاريخي والثقافي الذي يحدد قوة جلب السياح نحو منطقة التوسع السياحي بأريس، غوفي اشمول، المحمل يشجع

السلطات على حمايته. وهناك



مواقع كثيرة تتطلب حماية هذا

التراث كتوفير حماية منتظمة للقرية

البيضاء ومجموعات المباني القديمة

ذات الأهمية التاريخية والفنية، التي نجدها في كل من منطقة تزوكت وتيبحرين وأولاد عيشة، منعة، امنطان، بالول، ...

7- تنمية الزراعة لدعم السياحة: التنمية السياحة في هذه المنطقة يجب مراعاة طبيعتها الجغرافية البيئية كعامل أساسي

وباعتبار المنطقة جبلية يستلزم الاعتماد على القطاع الأول إلى جانب الصناعات الحرفية لتحقيق الاستدامة السياحية في

هذا المجال ولاشك أن التنمية السياحية في هذه المنطقة لا تعتبر هدفا في حد ذاتها، وإنما هي وسيلة لتحسين وضع المجتمع

في هذه الناحية، وبالتالي يعود النفع على المجتمع كله بصفة عامة بعد ذلك، من خلال الاستفادة من الموارد المتاحة، وتختلف

أساليب الاستفادة من الموارد تبعا لأسلوب التنمية المتبع، ففي مجال السياحة الزراعية في المناطق الريفية يتم الاعتماد بصورة

أساسية على الموارد البيئية المحلية (الطبيعية، الاجتماعية، البشرية، العمرانية، ...)، بحيث يتم الاستفادة منها في توفير بيئة

ملائمة لتقديم منتج سياحي محلي متميز دون الإضرار بخصائص البيئة وبصورة تعمل على تحقيق الاستفادة من هذا المورد

لأكبر وقت ممكن.

وفي هذا الإطار فإن تأهيل مجال الدراسة سياحيا يتطلب تطبيق هذه النوعية من السياحة في المناطق الريفية وخاصة في كل من سهل لاردام، تزوكت، أفرا، تبشرين.

الجدول رقم (05): إمكانيات وعوائق الفلاحة الجبلية:

مواطن الضعف	مواطن القوة
<ul style="list-style-type: none"> -تضرس وانحدار شديدان وضعف الولوجة. - تعرية قوية. - موارد مائية بحاجة إلى تعبئة - بنية تحتية ضعيفة. - كثافة سكانية متزايدة على وسط طبيعي هش. -أمية الفلاحين وضعف خبرتهم بالأساليب العصرية. - تجزؤ وصغر الملكيات العقارية. - ضعف تئمين الزيتون. 	<ul style="list-style-type: none"> -موارد مائية مهمة عبارة عن تساقطات وأودية وينابيع -ظروف مناخية ملائمة للزيتون. -وجود أراضي منحدره قابلة للتشجير وبالتالي حماية التربة والانجراف. -تجدر زراعة الزيتون في المجتمع المحلي. -تزايد الطلب على زيت الزيتون المحلي وجودته العالية.
مخاطر	إمكانيات
<ul style="list-style-type: none"> - تدهور وضياع التربة بفعل التعرية. - الطبيعة البنيوية لظاهرة الجفاف. - ضعف الاستثمار العام في قطاع الزيتون. - مخاطر منزلقات الاقتصاد المحلي التقليدي على الرأسمالي الوطني في سياق معلوم. 	<ul style="list-style-type: none"> - ترقية وتحسين تعبئة الموارد المائية المحلية. - إمكانية توسيع مساعدات لغرس الزيتون و إدخال أصناف جديدة ذات إنتاجية وجودة عاليتين. - الاهتمام باستصلاح الأراضي المعرضة للتعرية. - التأطير التقني للمهتمين بغرس الزيتون. - دعم إدماج المرأة في قطاع الزيتون.

	<p>- دعم الاستثمار من خلال صندوق التنمية الفلاحية.</p> <p>تتمين الزيتون ومشتقاته كمنتجات محلية من خلال تطوير الإنتاج و التحويل والتسويق.</p>
--	--

المصدر: من إنجاز الباحث اعتمادا على معطيات المنطقة

يفضل الاستثمار العمومي والخاص، سيعرف المجال الجبلي الاوراسي مختلف أشكال التعمير ستساهم بشكل أو بآخر في التوسع العمراني وإعادة هيكلة البنيات التحتية للمراكز الحضرية الجبلية، وذلك بهدف تحقيق تنمية مستدامة للمشاريع السياحية، وبالتالي جعل المنطقة تحتل مكانة متميزة كوجهة سياحية.

إن التأهيل المجالي للجبل والتمركز الهام لمنشآت الاستقبال، يجعل من حركة السياحة خاصة أكثر انتعاشا واستقطابا لآلاف الأسر الجزائرية بالدرجة الأولى ثم الأجنبية ثانيا. الأمر الذي يساهم بشكل كبير في التنمية المحلية بجميع مكوناتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

8- دور الجغرافي في تنمية المجال الجبلي واستدامته:

يمكن للجغرافي عن طريق نظريته الشمولية وقوته الإقتراحية إن وجدت أن يساهم بدوره في تنمية الجبال، لكن ذلك يتطلب منه أدوات ومنهجيات خاصة نظرا لكون المجال الجبلي يشكل وحدة فيزيوغرافية ومجالات اجتماعية خاصة ومنظومة بيئية تتكون من مجموعات إيكولوجية متجانسة وهشة. وحتى لا نكون سلبيين في انتقاداتنا للسياسة المتبعة في تنمية المناطق وكما لا تكون تدخلاتنا في هذا المجال عبارة عن انتقادات جافة لا تقدم البديل لما هو مطروح وحتى لا تكون بحوثنا مجرد بحوث أكاديمية لا تفعيل ولا دور لها لا بد من القيام بما يلي: [10]

1- ضرورة التنسيق مع مختلف الوظائف والمصالح التي تتنافس وتتنازع في المجال.

2- القيام بدراسات شاملة تغطي منطقة الاوراس برمتها بهدف فهم ديناميكية المجال. وعلى هذه الدراسات والبحوث أن تغطي كافة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والطبيعية والحضرية والقروية والبيئية، ...ولن يتم هذا إلا عن طريق ما يعرف

بالتسيير المندمج للمناطق الجبلية وذلك من أجل تشخيص حقيقي للمشاكل قبل تقديم أي اقتراحات للحفاظ على هذه الثروة.

3- تحويل خلاصات الأبحاث الميدانية إلى أعمال خرائطية وذلك باستعمال نظم المعلومات الجغرافية المتطورة عن طريق:

-إنجاز خريطة عامة للمجال الجبلي والموارد الطبيعية الموجودة به، و يمكن لهذه الأخيرة أن تشكل أداة فعالة للتخطيط الاقتصادي.

-إنجاز خرط تصنيفية للمجالات المتجانسة حسب درجة استقرارها وتدهورها تتضمن أنواع التدخلات الممكنة ونوعية الاستعمالات المناسبة لكل مجال.

-استعمال الخرائط الإيكودينامية التي من خلالها يمكن تمثيل الديناميكية البيئية والبشرية لتكون أداة تقدم أفكار حقيقية من أجل تسيير المجال الجبلي.

-إدماج السكان المحليين في كل المشاريع كيف ما كان نوعها وذلك عن طريق وضع تصور يراعي اهتمام السكان.

-ضرورة الاهتمام بالغطاء النباتي والمناطق الحساسة التي لا يمكن أن تقام حولها المشاريع السياحية.

-ضرورة خلق أقطاب متعددة لتقليص التركيز السكاني.

-الجرأة في القوانين المرتبطة بالتعمير، وتطبيق أقصى العقوبات بكل من أحل بها.

-مواجهة مشكل موسمية السياحة عن طريق:

-تنويع المنتج السياحي.

-الاهتمام بالسياحة الجبلية والإيكولوجية.

-وضع آليات الحماية من الفيضانات وذلك من خلال تبني مجموعة من المقاربات:

-مقاربة سياسية : تكمن في تكوين لجنة مجموعة متدخلين يكون لها امتداد على مستوى البلديات وتكون قراراتها نافذة.

-مقاربة قضائية : تحتاج إلى جرأ سياسية لمواجهة كل التلاعبات ذات العلاقة بالموضوع.

-مقاربة تقنية : متمثلة في وضع مخططات للتهيئة العمرانية وإقامة منشآت مائية لحماية المناطق المهتدة وتفعيل العمل

الوقائي وصيانة مجاري المياه والقنوات المائية والطرق وتفعيل قانون الماء والتحسيس من الناحية الإعلامية.

-مقاربة تشاركية : إشراك المنظمات والجمعيات والمختصين والباحثين وجميع الفاعلين.

-تطبيق مشروع قانون المناطق الجبلية من خلال تفعيله و مراسيم لتنفيذه.

-تطبيق مشروع قانون البيئة من خلال تفعيله و مراسيم لتنفيذه.

-القيام بدراسات شاملة تغطي منطقة الاوراس برمته بهدف فهم ديناميكية المجال الجبلي، وعلى هذه الدراسات والبحوث

أن تغطي كافة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والطبيعية والحضرية و الريفية والبيئية...، و لن يتم هذا إلا عن طريق تدخل

كل الفاعلين في المجال الجبلي.

9- التنمية الحضرية المستدامة للجبال: التنمية المستدامة هي تنمية تستجيب للاحتياجات الحالية دون تعريض قدرة

أجيال المستقبل لتحقيق احتياجاتها، فهي نظرة طويلة

المدى ترمي إلى الحفاظ على رؤوس الأموال الطبيعية،

الاجتماعية و الاقتصادية حتى يتسنى تحويلها للأجيال

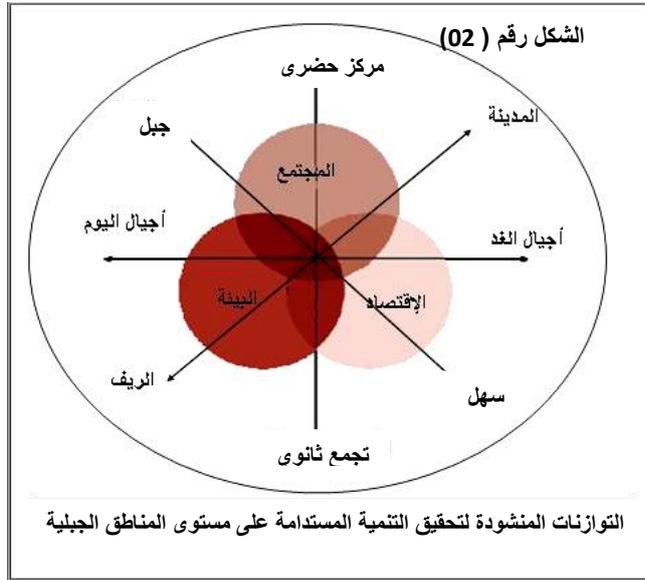
القادمة، فبالإضافة إلى العدالة المحلية فهي تهدف إلى

الوصول إلى عدالة بين أجيال السهل و الجبال أو

جوارية بين الريف و الحضر و لكون التجمعات

العمرانية مراكز انتشار المشاكل إلى درجة أنها أصبحت

تشكل عبئا بالنسبة لبعض الدول فلا بد من تطبيق



مبادئ الاستدامة عليها ضمن بعد الاستدامة الحضرية من خلال التسيير الحسن للمصادر الحضرية على المدى الطويل

و ضمان الحد الأقصى من الاستدامة للموارد الطاقوية و مختلف العناصر المكونة للنظام الحضري، و لتحقيق مبادئ التنمية

المستدامة في المجالات الجبلية فلا بد من تحقيق التوازنات في الثلاثية (مجتمع، بيئة، اقتصاد) بين الثنائيات التالية: [11]

1- سهل، تل- جبل

2- مدينة- ريف أو إقليم

3- مركز حضري- تجمع ثانوي

4- أجيال الغد- أجيال اليوم.

خلاصة:

يزخر إقليم الاوراس بمقومات سياحية عديدة ومتميزة سواء كانت مقومات تاريخية وأثرية كالمداشر والقلاع ومقومات طبيعية تتمثل في تنوع المناخ وتوفر مختلف البيئات الطبيعية، والتضاريس الجبلية والوديان فهي مناسبة لاستقطاب العديد من الوافدين اليها ويمكن ان تدفع إلى النهوض بقطاع السياحة بشكل ملموس.

إن عمران الدشرة ليس وليد الصدفة، بل يختزل تجارب من أنشعوها، واستطاع أجيالها أن يوحدوا بين ضروريات الاستخدامات الوظيفية، والبعد الجمالي والتكليف مع المعطيات الطبوغرافية، رغم التغيرات وتأثيرات العمران الحديث بشكل مباشر أو غير مباشر. إلا أن هذه البنيات التقليدية لا يعار لها أي اهتمام سواء من طرف سكان المنطقة أو السلطات والمحلية مما جعل حالتها تتدهور باستمرار لذا وجب أكثر من أي وقت مضى التفكير والتطبيق في سبيل الحماية ورد الاعتبار لها، والمحافظة على هذا الإرث العمراني، أو على الأقل الحد من حالات التدهور سواء من طرف المالكين أو السلطات المحلية أو المجتمع المدني، وذلك بترميمها وتسخيرها في أنشطة تعود بالنفع على سكان المنطقة كما هو الشأن بالنسبة للقطاع السياحي.

كما خلصنا إلى أن الاعتماد على السياحة التراثية يجب تأكيده من خلال الحفاظ على تراث تلك المناطق من منطلق الأصالة والمعاصرة فضلاً عن وجود هذا التراث يعني محاكاة الماضي وعكس الجوانب الحضارية والتاريخية للأمة وتحقيق مبدأ الاستمرارية في عملية البناء الفعال للمجتمع من جيل لآخر، وهو وسيلة لبناء وإنعاش المجتمعات فكرياً وثقافياً وفنياً، ولا تتأتى الرغبة في المحافظة إلا من خلال تجسيد مفهوم الحكم الراشد المبني على أسلوب التشاور من خلال تفعيل أسلوب المشاركة الجماهيرية في الحماية والمحافظة على الحميات التراثية.

تنمية القطاع السياحي في إقليم الدراسة يتطلب تكوين أطر متخصصة في الإرشاد السياحي، وتنظيم الجولات، و إنشاء وكالات لاستقبال السياحي في المناطق الجبلية التي تتنوع المواقع السياحية بمجالها (تراث عمراي، مجالات غابية، مواقع، مناظر، مآثر تاريخية)، واستغلال الموروث الثقافي المحلي في السياحة، واتخاذ إستراتيجية تركز على ضرورة تجاوز العوائق التي عرقلت باستمرار عملية التنمية السياحية، و التي تعتبر ذات آفاق واعدة بالإقليم، وتضم البلديات التي تتوفر على إمكانيات ومؤهلات سياحية، وتخص كل من بلدية منعة، أريس، ثنية العابد، لرباع، غسيرة، والتي يمكن أن يكون لها دور في تنمية المنطقة، ودفع عجلتها، واستقطاب السواح.

المراجع:

- 1- ماهر عبد العزيز توفيق، صناعة السياحة، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، 1997، ص7.
- 2- Monographie des potentialités socioéconomiques et touristiques. wilaya de Batna tourisme et patrimoine des outils de développement durable .mars 2008. URBA-TECH.
- 3- الجريدة الرسمية الجزائرية، العدد 41، قانون رقم: 03-04 مؤرخ في 23 يونيو سنة 2004، يتعلق بحماية المناطق الجبلية في إطار التنمية المستدامة .
- 4- أزرايب الصالح، التهيئة القديمة والحديثة في جبال الاوراس، رسالة دكتوراه، جامعة قسنطينة، 2011، ص 236.
- 5- أزرايب الصالح، التهيئة القديمة والحديثة في جبال الاوراس، رسالة دكتوراه، جامعة قسنطينة، 2011، ص 238.
- 6- نعيم الظاهر و سراب إلياس، مبادئ السياحة، الطبعة الثانية، دار المسيرة للنشر و التوزيع، الأردن، 2007، ص 146.
- 7- Monographie des potentialités socioéconomiques et touristiques. wilaya de Batna tourisme et patrimoine des outils de développement durable .mars 2008. URBA-TECH.
- 8- محمد الطاهر عزوي، جمعية أول نوفمبر الاوراس، تاريخ الاوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية في فترة الاحتلال الفرنسي، دار الشهاب باتنة 1991، ص 17، 18.
- 9- مدور وليد، التحولات الحضرية في منطقة جبلية حالة مراكز منطقة وادي عبدي (الاوراس)، رسالة ماجستير في التهيئة العمرانية جامعة قسنطينة 2009 .
- 10- فيصل فاتح، التحولات المجالية بالشريط الساحلي الشرقي المغربي، المجلة الدولية للتخطيط والتهيئة العمرانية، العدد 3، 2014، ص132.
- 11- مدور وليد، الظاهرة الحضرية في المناطق الجبلية، رسالة دكتوراه علوم، جامعة قسنطينة 1، 2018.

البيئة والمعمار بالواحات

دراسة في تفاعل البيئة والمجال والمعمار بقصور واحات درعة الوسطى

Environment and architecture in oases

A study about Environment, space and architecture of old buildings in the central of Daraa oases

د. عبد الكريم التزربي

باحث في التاريخ والتراث / أكادير

الملخص:

يعتبر فن العمارة والتشييد عبر مختلف الحقب والعصور عملا إبداعيا يقاس به منسوب الحضارة والتحضر لدى الشعوب والمجتمعات، وتعد القصور بواحات درعة الوسطى نموذجا للمعمار الطيني الذي يعبر عن تاريخ وثقافة وعبقورية سكان واحات الجنوب الشرقي، لما يتميز به من وإبداع في توظيف مواد محلية وتكيف هندسته مع الشروط الطبيعية والمعطيات الديمغرافية وأنماط التفكير المحلية. فبالإضافة إلى خصائصه التقنية؛ كمواد البناء وطرق استعمالها، وكيفية تموقع المنشآت المعمارية طبقا لقواعد متعارف عليها، يتميز معمار القصور بواحات درعة بكونه ينصهر في محيطه البيئي انصهارا عز وجوده اليوم في المعمار الحديث، وبارتباطه الحيوي في الأنشطة الفلاحية والصناعة التقليدية ونمط توزيع الماء، نُهيك عن تعبيرها عن التاريخ القريب والبعيد، للنسيج الاجتماعي المميز لهذه الواحات الغنية بأدوارها التاريخية.

وسعيا إلى دراسة علاقة المعمار والبيئة بالواحات، تندرج هذه المقالة التي اتخذت من قصور واحات درعة الوسطى محورا لها، من خلال إبراز تفاعل الإنسان الواحي مع محيطه البيئي ومجاله الطبيعي، وكيف ساهم هذا التفاعل في تشكيل معمار يتكيف مع الظروف المناخية القاسية التي تتسم بها المنطقة من جهة، ويراعي خصوصية المجال من جهة ثانية. الشيء الذي جعله يتميز بخصوصيات تتعدى في غيره، لا سواء من حيث موارده وأشكال تنظيمه واستغلاله وقدرته الكبيرة على التكيف مع التقلبات المناخية التي تتسم بها المنطقة.

الكلمات المفتاحية: واحات درعة الوسطى - القصور - البيئة والمعمار - تفاعل الإنسان والمعمار والمجال.

Abstract:

The Art of construction and civilization in the central of Daraa oases is considered a model of earthen architecture that reflects the history, culture and genius of the people of the southeastern oases, because of their high creativity in using local materials and adjusting architecture to natural circumstances , demographic data and local thinking patterns. In addition to some technical features of this art such as building materials that are used in different artistic ways. Not only this, but also how architectural structures are located according to habitual rules is another thing that proved the creativity and high talent of people in the central of Daraa oases. the architecture of those old buildings in the oases of Daraa is characterized by being a part of its environmental aspects and its existence in modern architecture as well.

the architecture of those old buildings also has a strong link with agricultural activities, traditional industry and the pattern of water distribution, without forgetting to mention that it represents some historical roles and facts of the social characteristics of these rich oases.

In order to study the relationship of architecture and the environment of these oases, this article, which is written to highlight mainly on the historical facts of some old buildings in the central Daraa oases, and to focus on the human beings' interaction with environment and natural surroundings. This article also tries to show how those interaction contributed to shape the architecture in accordance with other factors such as harsh climatic conditions on the one hand, and special characteristics of this region on the other hand. All of this make the architecture in the central Daraa oases very special in terms of its resources, forms and its great ability to adapt to the climatic changes of the region.

Keywords: central Daraa oases –old buildings and houses– environment and Architecture-Human Interaction, Architecture and space.

مقدمة:

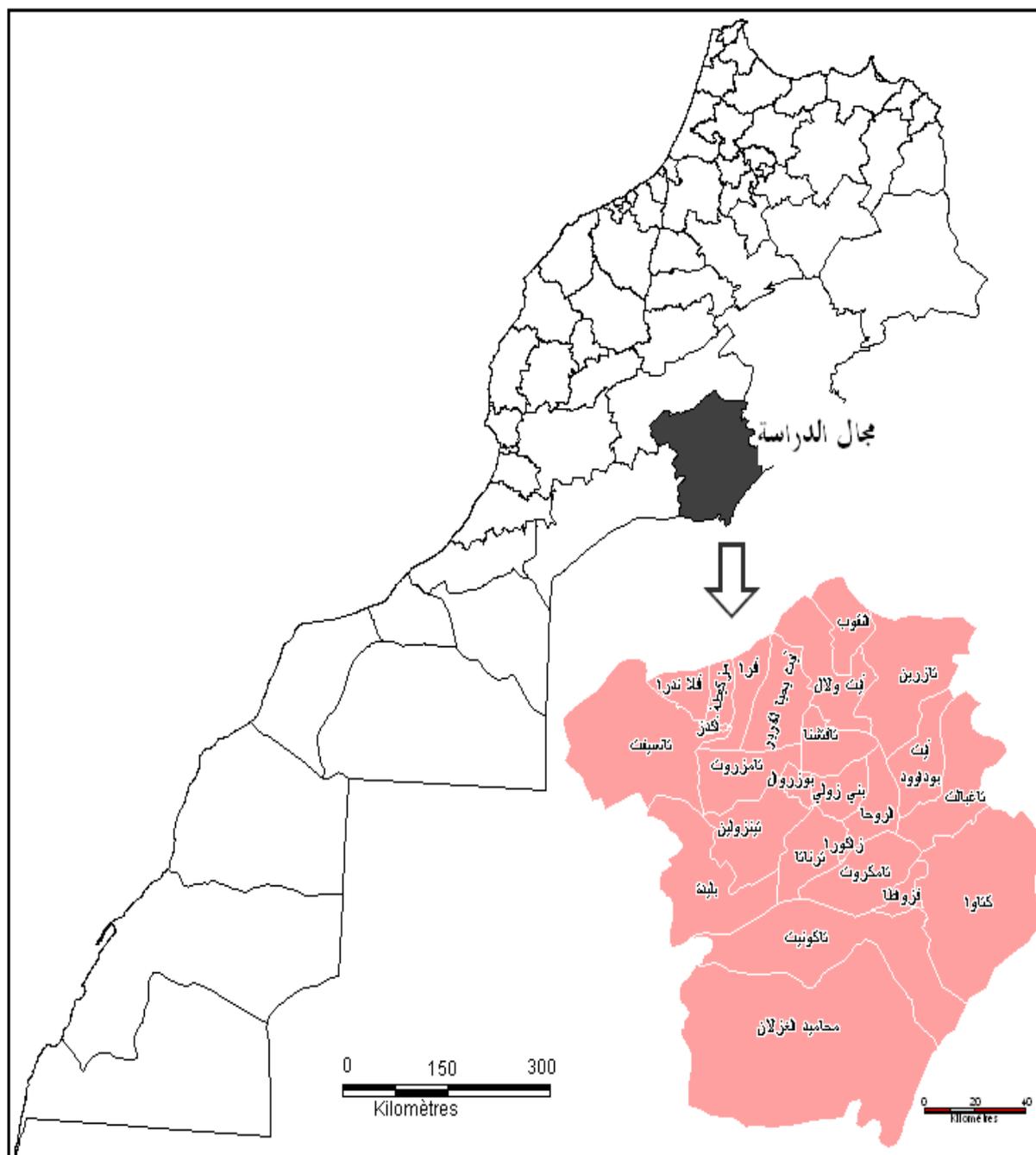
يعد فن العمارة والتشييد من أعرق انجازات الإنسان، بل وأقدمها على الإطلاق، وأحد الروافد الأساسية التي يمكن أن نتتبع عبر حملتها تاريخ البشرية، وتطور ثقافتها وتلاقح تأثيراتها مدا وجزرا، لذلك اهتم المؤرخون والباحثون في علوم الآثار بدراسة العمارة باعتبارها أحد المصادر التاريخية الأساسية التي لا يمكن القفز عنها لدراسة تاريخ المجتمعات البشرية القديمة،

خاصة التي مارست حياة الاستقرار في وقت مبكر، مثل سكان واحات درعة الذين تعاطو لفن العمارة المبنية بالتراب مند عصور خلت وتميزوا فيه، وتمكنوا عبر مختلف العصور والحقب من بسط سيطرتهم على المجال وترويضه لصالحهم، فوظفوا جل إمكانياته لبناء مأوي ومساكن طورها عبر الزمن، وباتت اليوم عنوانا للرفي وشاهدة على مستوى التقدم بهذه المنطقة الغنية بأدوارها التاريخية.

وتعتبر القصور بواحات درعة الوسطى¹ نموذج للمعمار الطيني الذي ارتبط تخطيطه وتوزيع وتنظيم مرافقه بظروف متعددة كان للمجال أثر بادي في تحديد أهم خصائصها، وسنحاول في هذه المداخلة دراسة كيف ساهمت الظروف المناخية والعوامل البيئية في تشكّل معمار القصور بواحات درعة الوسطى، كما سنتطرق بالدراسة والتحليل إلى تفاعل الإنسان الواحي مع محيطه البيئي ومجاله الطبيعي، وكيف ساهم هذا التفاعل في تشكّل معمار يتكيف مع الظروف المناخية القاسية التي تتسم بها المنطقة من جهة، ويراعي خصوصية المجال من جهة ثانية. الشيء الذي جعله يتميز بخصوصيات تنعدم في غيره، لا سواء من حيث موارد وأشكال تنظيمه واستغلاله وقدرته الكبيرة على التكيف مع التقلبات المناخية التي تتسم بها المنطقة.

1 هذه الواحات الست من الشمال إلى الجنوب هي: مزكيطة، تينزولين، ترناتة، فزواطة، لكتاوة ثم واحة محاميد الغزلان.

خريطة تبين مجال الدراسة



Source :Carte du découpage administratif, 2002

1. المعمار بالوحدات؛ نتاج لتفاعل الإنسان مع المجال

يمكن اعتبار الواحة منظومة متكاملة ترتبط بمجال حيوي محدود الامتداد، ونادر التنوع وهش التوازن، يتميز بالشح وقلة الانتظام في الظاهرة المناخية، وبناءً عليه فآليات النمو والتطور تكون هي الأخرى متأثرة وخاضعة لهذه المكونات

الأساسية للمحيط الجغرافي الطبيعي الذي تتوطنه الواحة². وبالتالي فالواحة مجال صنعته الطبيعة قبل أن يصنعه التاريخ، وإن كان للعوامل التاريخية وقع بادي المعالم على مختلف العناصر المكونة للواحة، خاصة في مجال المعمار الذي كان للأحداث التاريخية التي شهدتها المنطقة مند مطلع القرن 13م إلى بحر القرن العشرين أثر على البنية العمرانية وطريقة انتظام السكان داخل القصور.

وإذا اقتصرنا فقط على المعمار من ضمن مختلف العناصر والمكونات التي تزخر بها الواحات، نجد أنه يلخص تفاعل الإنسان الواحي مع مجالته ومحيطه، لا سواء من حيث الهندسة والقيم الثقافية التي يحويها، أو التقنية والمواد التي يستعملها. ذلك أن الهندسة المعمارية من التعبيرات الفنية الأكثر خضوعا للشروط التي تفرضها الطبيعة، بينما تلك الشروط التي يفرضها الإنسان تبقى عابرة³. ولا بد من التأكيد أننا نقصد بالمعمار مفهومه الشامل الذي يتكون من عناصر بشرية وطبيعية ومجالية بالإضافة إلى القيم الثقافية والتاريخية والاقتصادية والاجتماعية، مندججة ومتداخلة في بناء مرصوص يجسد وحدة الإنسان مع المجال المحيط به. وبالتالي فالقصور لا تعني فقط تجمعات سكنية، بل هي كذلك مجموعة من العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، التي تلخص انصهار الإنسان وتفاعله مع بيئته؛ والتي تجسدها هذه البنايات الطينية من قصور وقصبات وأبراج ومزارات⁴.

ويعتبر المعمار أيضا أداة لإثبات الذات عبر الإبداع، ذلك أن بناء القصور والقصبات بواحات درعة يكون بالمواد الخام المتوفرة محليا والتي تستخدم على حالها أو محولة في الأدن⁵، مما يقلص من تكلفة الإنجاز، ويساعد على الانسجام القوي بين الأنشطة التي يزاولها السكان.

2 عبد الرحمان العثماني، "التعمير والعمران الواحي قصور وواحات فيكيك نموذجاً"، ضمن ، التراث الثقافي المادي بجهة سوس ماسة درعة، تنسيق محمد أيت حمزة والوافي النوحى، (الرباط: منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، 2013)، 73-89.

3 العثماني، "التعمير والعمران"، 77.

4 محمد أيت حمزة، التوازن الاكولوجي بين التنافس والتكامل، ضمن المجال والمجتمع بالواحات المغربية، سلسلة الندوات رقم 6 (مكناس: منشورات كلية الآداب مكناس، 1993)، 77-96.

5 هنري طيراس، القصبات الأمازيغية بالأطلس والواحات؛ المباني الكبرى بالجنوب المغربي، ترجمة حسن أميلي، (الشارقة: منشورات معهد الشارقة للتراث، 2019م)، 54.

وقد سعى سكان الواحات إلى استعمال المواد المحلية في البناء بشكل عقلائي يحفظها من التلف، ويضمن استمرارها وعدم استنزافها، تماشياً مع متطلبات الأنشطة الاقتصادية والفلاحية وتكيفاً مع المحيط الطبيعي والبشري⁶. كما فرضت الميزة المحدودة للأراضي الفلاحية ومياه الري منذ وقت طويل اقتصاداً في استغلالية المجال؛ حيث أن المنشآت البشرية المشيدة بالطابية تسعى حسب الإمكان لعدم التعدي على المجال الحيوي، والاقتصار على الصخور البارزة، والتلال والشعاب⁷. فقد فهم الإنسان الواحي بحق معنى الندرة والهشاشة والضغط السوسيو اقتصادي الداخلية والخارجية، فحاول أن يواجه هذه التحديات بالاعتماد على تقنيات تبدو بسيطة أحياناً ومعقدة أحياناً أخرى، لكنها جد متقنة لبناء مسكن في مجال يتسم بالقساوة والهشاشة⁸. هكذا نجد أن متطلبات الماء في هذا النمط من العمارة ضئيلة إلى الحد الذي يتوافق مع ندرة هذا المورد الحيوي في مثل هذه المناطق الشبه الصحراوية.

كما أن اختيار البناء العمودي يتوافق بدوره مع ضيق المساحة الزراعية، ويوفر الحماية للسكان من قساوة البرد وحرارة فصل الصيف، وفي الأمرين دلالة قوية على قدرة الإنسان بهذه الواحات على ملاءمة ممارسته وتدخلاته لإعداد المجال بشكل يتوافق مع الإمكانيات المحلية⁹. ويضاف إلى هذا أن المعمار الطيني المنتشر بهذه الواحات من قصور وقصبات يتناسب مع الظروف المناخية القاسية بهذه المنطقة الشبه الصحراوية، فالاستقرار المبكر بالواحة والخبرة التي اكتسبها من خلال تفاعله مع محيطه مكنته من ابتكار معمار أكثر ملاءمة لخصائص المناخ بفضل التقنيات والأساليب السائدة المستعملة في البناء. كما أن سمك اللوح يشكل في نفس الوقت عازلاً وخزاناً حرارياً يمكن من تعديل القيم الحرارية بحيث يكون دافئاً في فصل الشتاء وبارداً في فصل الصيف، ويلجأ سكان المنطقة أيضاً إلى تسقيف الأزقة التي في الغالب تكون ملتوية اتقاء

6 أيت حمزة، "التوازن الاكولوجي"، 80.

7 حسن أميلي، تازارين أيت عطا مسار واحة مروضة، (الرباط: دار أبي رقرق للطباعة والنشر، 2017)، 94.

8 أيت حمزة، التوازن الاكولوجي، 80.

9 مصطفى عبد شافق، "قصور واحات تدغى إلى أين"، ضمن التراث المعماري بالمغرب، (الرباط: منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية)، 181-194.

من الزوابع الرملية وتكسير سرعة الرياح والحد من تسربها إلى داخل القصر. كما أن تراس سكن القصور وطلاء واجهاته بالطين الممزوج بالبن يجعله أكثر تماسكا وأقل عرضة لعنف الزخات المطرية التي تشهدها المنطقة من فترة للأخرى¹⁰.

هكذا تفاعل الإنسان بواحات درعة مع المجال الذي يعيش فيه، فحاول أن يكتشفه ويستثمر الإمكانيات المتواجدة فيه دون إفراط ولا تفريط؛ فوعى أن الفقر والنقص الحاصل على مستوى وسائل الإنتاج داخل الواحات لا يمكن التغلب عليه إلا باستعمال تقنيات متكيفة مع البيئة المحلية¹¹، واتضح هذا من خلال سكنه وتمط عيشه. كما حاول أن يجد تفسيراً للأمر المحيط به ويطوعها لصالحه، وحتى التي لم يجد لها تفسير (ما وراء الطبيعة والغيب) ابتكر لها تأويلاً يعكس دهائه وعبقريته¹²، الأمر الذي مكّنه -على مر العصور- من أن ينعم بصحة نفسية عالية تتنافى مع الهشاشة النفسية لمجتمع الحضرة.

إن واحات درعة هي ذلك المجال المصغر الذي يمكن اعتباره عينة ممتازة لحضارة الجنوب الشرقي كلها، على اعتبار أن هذه الواحات الست شهدت منذ فجر التاريخ حضارة تجاوزت البدائية عبر الاستقرار وبناء القصور وإقامة تجارة القوافل المزدهرة، ومنها أيضاً انطلقت أغلب الأسر التي حكمت المغرب، غير أنهم وبمجرد بسط نفوذهم على المغرب الأطلنطي تناسوا كلا أو جزءاً بلد أصولهم¹³.

2. خصوصية المعمار بالواحات

يرتبط المعمار الطيني بواحات الجنوب الشرقي للمغرب بالوجود الإنساني في جميع أبعاده خاصة في علاقته بالمجال الواحي، من حيث موارده وأشكال تنظيمه واستغلاله، الشيء الذي ساهم في غناه وتنوعه وجماليته التي لا يمكن للزائر إلا أن ينهر به ويثني على مبدعه.

10 نفسه، ص 184.

11 محمد أيت حمزة، "التوازن الإكلوجي"، 86.

12. غالباً ما نجد طرق ومراحل البناء ترفق بطقوس وتعابير خاصة، كرش الملح ودبح القرايين وقراءة بعض التعويذات.

13 طيراس، القصبات الأمازيغية، 100.

وقد تجسدت هذه العلاقة المتميزة التي يقيمها الإنسان الواحي مع مجاله في عدة مستويات سواء من خلال المواد المحلية المستعملة في البناء التي لا تخرج عن الحيز الجغرافي للواحة (التراب - الحجر - القصب - جذوع النخيل ...)، وكذلك من خلال الموقع والموضع اللذين يتواجد بهما المعمار، والذي غالبا ما تكون هضبة أو ثل يشرف على الحقول ويسمح بمراقبتها، والتحصن من هجوم القبائل المجاورة في حالة وقوع اضطرابات.

فما هي إذا الخصوصية التي تميز معمار الواحات بدرعة؟

1.2 . البناء بالمواد المحلية:

تتكون مواد بناء المباني الطينية بالواحات من مواد محلية مستخلصة من المجال، حيث اعتمد السكان بهذه المنطقة على ما توفره الواحات من مواد أولية لإقامة السكن والدور، فاستعمل التربة المحلية وخشب النخيل والطلح واستغل القصب والتبن، فتكونت بذلك مجموعات بشرية¹⁴ متخصصة في البناء والتشييد والزخرفة حاولت أن تكيف المنشآت مع البيئة الطبيعية والبشرية¹⁵، وهو ما أكده طيراس بقوله "أضحى الإنسان الواحي بارعا في فن الاستغلال الأمثل للمواد مختلفة الهيئة والحجم، حيث يدجون ويعوضون بمهارة عجيبة عدم تناسق قطعهم الخام من الدبش. وبعيدا عن فرض شكل معين للعارضة يقبلون بها في هيئتها الأصلية، ويبدو كما لو أنهم يسايرون نزواتها. ولا يتحكمون في تلك المواد النافرة إلا بقوة إخضاعها للرشاقة وللترويض الظاهري"¹⁶.

هكذا يتم تشييد الأساسات من الحجارة التي يتم جلبها من الجبال المجاورة، في حين يشيد السقف من القصب وجذوع النخيل، ومنها أيضا تصنع جل الأبواب بينما تصنع الدعامات العلوية للأبواب من خشب أشجار الأتل أو الطلح. أما بالنسبة للجدران سواء التي شيدت بتقنية التابوت بالنسبة للطابق الأرضي أو التي شيدت من الأجور المجفف بالنسبة لجدران الطوابق العلوية، أو الطلاء أو الأعمدة والسواري، كل هذه العناصر تشيد من التراب المستخلص من الأراضي

14 يسمون بالمعلمين.

15 آيت حمزة، "التوازن الإيكولوجي"، 91.

16 طيراس، القصبات الأمازيغية، 48.

الزراعية تلك التي تبدوا مردوديتها ضعيفة، حيث تؤخذ منها الأجزاء السطحية، ثم بعد ذلك يتم قلب البستان بعمق كبير حتى تتجدد قدرة التربة على الإنتاج¹⁷.

فالملاحظ للمواد المستعملة في المعمار بواحات درعة الوسطى يجد أنها لا تخرج عن أربعة عناصر أساسية و هي الماء والتربة والحجارة وجذوع النخيل وهي كلها مواد متواجدة بالواحة.

2.2. الهندسة المعمارية:

يتبين من خلال ملاحظة مختلف الأشكال الهندسية التي توجد عليها القصور والقصبات ومختلف المباني الطينية بالواحات، أنها اهتمت بالدرجة الأولى بوضع بنايات متراسة قادرة على المقاومة والصمود في وجه مختلف الظروف المناخية القاسية. ومن أجل ذلك عمل الإنسان الواحي على تقوية الأساسات والجدران التي يتراوح عرضها ما بين 1 متر و80 سنتم، مع دعمها بالسواري والأعمدة لتثبيتها وزيادة من متانتها، بالإضافة إلى التبليط الخارجي الذي يوفر لها الحماية خاصة من الزخات المطرية العنيفة التي تشدها المنطقة بين الحين والآخر.

أما بالنسبة للتصميم الداخلي للمنازل؛ فأغلبها يتكون من ثلاثة طوابق، الطابق الأرضي يخصص للماشية بينما الطابقين الأول والثاني فيخصصان للسكن. ويتم التناوب بين الطوابق بحسب الفصول والظروف المناخية، ففي فصل الشتاء يتم استعمال مرافق الطابق الأول للسكن نظرا لدفئه، أما في فترة الحر فيتم الصعود إلى الطابق الثاني، هكذا يتم التناوب بين الطوابق حسب تعاقب الفصول وتعاقب الليل والنهار، حيث تستغل السطوح والطوابق العلوية للنوم وتخفيف الفواكه وبعض الغلال كالحناء والذرة، بينما تستغل الطوابق السفلى للاحتماء من حرارة الشمس والاحتماء من قسوة البرد أيام الشتاء¹⁸.

17 العثماني، "التعمير والعمران"، 77.

18 محمد أيت حمزة، مادة "القصر"، معلمة المغرب، قاموس يحيط بالأعلام البشرية والحضارية للمغرب الأقصى، (سلا: منشورات اللجنة المغربية لتأليف والترجمة والنشر، 1995)، ج 19. 6639.

أزقة القصر هي الأخرى تتكيف مع الظروف المناخية حيث يتم تشييدها بطرق ملتوية لدرء وصول الرياح التي تكون محملة بالرمال خاصة في فصلي الخريف والصيف إلى وسط القصر¹⁹. لم تتوقف عبقرية الإنسان الواحي عند هذا الحد بحيث أن كمية الضوء التي يسمح بنفاذها داخل القصر لها علاقة بكثرة الذباب التي تغزوا المجال.

صورة من قصر بني صبيح بواحة لكتاوة توضح الأزقة المغطاة داخل القصر



المصدر: الباحث (2019)

أما الهندسة الداخلية للمنازل داخل القصر فيطغى عليها التشابه والخلو من التكليف والزخرفة المرتبطة بالبدخ إلى درجة أن الزائر لا يستطيع أن يميز الفرق بين مسكن الأسر الميسورة أو المعسرة فكلها متشابهة. تأسيسا على ما سبق فإن جل ما توصل إليه الإنسان الواحي في مجال المعمار المبني بالتراب، لا يمكن أن نعتبره مجرد صدفة، وإنما هو حصيلة تجربة وخبرة طويلة للمجال، وأن استمرار وصمود هذه البناءات لقرون لدليل على صواب اختياره.

19 أيت حمزة، معلمة المغرب، 6638.

3.2. إتباع الحل المتضام للمباني

يقصد بإتباع النسيج العمراني المتضام؛ ذلك النسيج العمراني الذي يتم فيه تجاور وتلاصق كتل المباني المعمارية مع التركيز الشديد في الأراضي،²⁰ بحيث تتكامل المنازل والدور وتتراص في صفوف متلاصقة لتقليل تعرض واجهاتها للاضطرابات الجوية كالعواصف الرعدية ورياح الشوكي التي غالبا ما تكون محملة بالرمال، وأشعة الشمس الحارقة التي تؤدي إلى رفع درجة الحرارة داخل المباني²¹.

وإلى جانب الوقاية من التغيرات المناخية القاسية ساهم هذا الأسلوب في الاقتصاد من مساحة القصور لصالح الأراضي الفلاحية التي تشكل مصدر قوت أغلب سكان الواحات²². إضافة إلى إشاعة أواصر المحبة والأخوة في العلاقات الاجتماعية بين سكان القصر، وذلك من خلال الفضاءات التي يتيحها كالأزقة المسقوفة التي تعد بمثابة فضاء يجتمع فيه السكان لتبادل الأخبار أو ممارسة بعض الحرف والأعمال المنزلية جماعة²³، هذا النمط أيضا يولد إحساس لدى الجميع بالأنس بحيث يشعرون وكأنهم يقطنون بمنزل مشترك بحكم تلاصق الدور وتقاربها.

خاتمة:

استطاع الإنسان الواحي عبر خبرته الطويلة للمجال أن يبدع معمار فريد و متميز ليضمن له حاجته للاستقرار من جهة، وقادر على التكيف مع التقلبات المناخية من جهة ثانية. فعمل بذلك على تنظيم المجال وتطويعه وفق ثنائية التأثير والتأثر، فإذا كان الإنسان الواحي استطاع أن يطوع المجال ويؤنسه فإن هذا الأخير أثر بدوره في سكان الواحات ونمط حياتهم وطريقة تخطيطهم للمعمار. وقد تجسدت هذه العلاقة المتميزة التي يقيمها الإنسان الواحي مع مجاله في عدة مستويات خاصة من خلال المواد المحلية المستعملة في البناء، التي لا تخرج عن الحيز الجغرافي للواحة (التراب - الحجر - القصب -

20 شفيق العوضي، وآخرون، المناخ وعمارة المناطق الحارة، (القاهرة: مطابع الطوبجي، 1985)، 24.

21 يحيى وزيري، العمارة الإسلامية والبيئة، الروافد التي شكلت التعمير الإسلامي، سلسلة عالم المعرفة، عدد 304، يونيو (2004)، 90.

22 العثماني، "التعمير والعمران"، 77.

23 أيت حمزة، معلمة المغرب، 6638.

جدوع النخيل (...). الشيء الذي جعل هذا المعمار يتميز بالإضافة إلى خصائصه التقنية؛ كمواد البناء وطرق استعمالها، وكيفية تموقع المنشآت العمرانية طبقا لقواعد متعارف عليها، بكونه ينصهر في محيطه البيئي انصهارا عز وجوده اليوم في المعمار الحديث، وبارتباطه الحيوي في الأنشطة الفلاحية والصناعة التقليدية ونمط توزيع الماء نحيك عن تعبيرها عن التاريخ القريب والبعيد للنسيج الاجتماعي المميز لهذه الواحات الغنية بأدوارها التاريخية.

لائحة المصادر والمراجع:

- . أميلي حسن، تازارين أيت عطا مسار واحة مروضة، دار أبي رفاق للطباعة والنشر، الرباط، 2017م.
- . أيت حمزة محمد ، التوازن الاكولوجي بين التنافس والتكامل، ضمن ندوة المجال والمجتمع بالواحات المغربية. منشورات كلية الآداب مكناس، سلسلة الندوات رقم6، 1993.
- . البوزيدي أحمد " التاريخ الاجتماعي لدرعة : دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية" آفاق متوسطة الدار البيضاء 1994م.
- . البوزيدي أحمد، " درعة بين التنظيمات القبلية و الحضور المخزني: دراسة في الحياة السياسية و الاجتماعية (1894م . 1935م)". مطبعة أنفو . برانت، فاس 2009م.
- . بوعصب امبارك، مساهمة في دراسة قصور تافيلالت من سقوط سجلماسة إلى نهاية القرن العشرين؛ التاريخ والمعمار والإنقاذ، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس سايس، 2010-2011.
- . توري عبد العزيز ، "العمارة المغربية مادة البناء في بعض استعمالاتها عبر العصور" مجلة المناهل عدد 74/73، منشورات وزارة الثقافة المغربية، 2005.
- . شفيق العوضي الوكيل، محمد عبد الله سراج، "المناخ وعمارة المناطق الحارة". مطابع الطوبجي، القاهرة، 1985م،
- . طيراس هنري، القصبات الأمازيغية بالأطلس والواحات؛ المباني الكبرى بالجنوب المغربي، ترجمة حسن أميلي، منشورات معهد الشارقة للتراث، 2019م.
- . العثماني عبد الرحمان ، التعمير والعمران الواحي قصور وواحات فيكيك نموذجا، ضمن كتاب، التراث الثقافي المادي بجهة سوس ماسة درعة، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، 2013.

. قسطاني محمد ، الواحات المغربية قبل الاستعمار "غريس نموذجاً". منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 2005م.

. مارمول كرنخال، " إفريقيا"، الجزء الأول والثاني والثالث ، تعريب الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر. مكتبة المعارف الرباط، 1984م.

. معلمة المغرب؛ قاموس يحيط بالأعلام البشرية والحضارية للمغرب الأقصى، منشورات اللجنة المغربية لتأليف والترجمة والنشر مطابع سلا 1995م. ج 19.

. مصطفى عبد شافق، "قصور واحات تدغى إلى أين" ضمن " التراث المعماري بالمغرب" منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، 2013.

. وزيري . يحيى ، " العمارة الإسلامية والبيئة، الروافد التي شكلت التعبير الإسلامي " سلسلة عالم المعرفة، العدد 304، يونيو 2004.

التخطيط الاستراتيجي التقليدي لتخزين المنتجات الفلاحية: حالة المخازن الجماعية لمدشر القلعة بالشمال

الشرقي لمدينة شفشاون

Traditional Strategic Planning for Agricultural Products Storage: Case of the Communal Stores of Madchar El Kalaa in the Eastern North of Chefchaouen City (Morocco)

معاد ميمون، عبد العزيز بوليفة

جامعة عبد المالك السعدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان

الملخص

تمتاز جبال الريف، التي تقع بها المخازن الجماعية لمدشر القلعة، بتعدد الطرق والتقنيات التقليدية المعتمدة في تخزين المنتجات الفلاحية، لكن رغم فوائدها فقد تراجع استعمالها كثيرا لصالح الطرق والتقنيات العصرية. لذلك رامت هذه الدراسة تسليط الضوء على طريقة تقليدية لتخزين المنتجات الفلاحية، باعتبارها مظهرا للتخطيط الاستراتيجي التقليدي، اعتمادا على المقاربة التاريخية لتتبع جذور المخازن المدروسة إلى العمق الممكن استنادا إلى المصادر التاريخية المكتوبة والمقابلات الشفوية مع كبار السن، إضافة إلى المنهجين الوصفي والتحليلي، لوصف وتحليل خصائص المخازن الجماعية موضوع الدراسة وإبراز مزاياها، من خلال الزيارات الميدانية المتكررة والمقابلات والمصادر المتخصصة. وقد خلصت الدراسة إلى الكشف عن مزايا كثيرة وفوائد عديدة وفرتها، ولازالت، المخازن المدروسة؛ لكونها حاملة لقيم التعاضد والتآزر بين السكان، متكيفة مع الظروف الطبيعية، فعالة، غير مكلفة، صديقة للبيئة وقابلة للاستثمار في أنشطة اقتصادية أخرى، إضافة إلى كونها قد صمدت في وجه الاضطرابات الأمنية عبر التاريخ.

الكلمات المفتاحية: التخطيط الاستراتيجي التقليدي، مدشر القلعة، جبال الريف، مدينة شفشاون، التخزين، الطرق التقليدية، المعارف المحلية، صديقة للبيئة.

Abstract :

The Rif Mountains, where the Communal stores of MadcharEl Kalaa are located, are characterized by many traditional methods and techniques for the storage of agricultural products, but despite having many advantages, they are abandoned for modern methods and techniques. Accordingly, The study aimed to shed light on the advantages of a traditional method for the storage of agricultural products as a form of Traditional Strategic Planning , through historical approach, to trace back the roots of the studied structures as deep as possible, according to the written historical sources and interviews with the elders, as well as descriptive and analytical approaches to describe and analyse the characteristics of the studied structures

and show their advantages through field visits, interviews and expert sources. The study has shown that the studied structures have provided many benefits , embodied in the values of solidarity among the population, Adaptability to natural conditions, efficiency, cheaper cost, eco-friendly qualities and in that they could be reinvested in other economic activities. in addition, they have withstood the security upheavals throughout history.

Keywords:Traditional Strategic Planning, Madchar El Kalaa, Rif Mountains, Chefchaouen city, storage, traditional methods, local knowledge, eco-friendly.

مقدمة

تقع مدينة شفشاون وأحواؤها ضمن القسم الغربي من سلسلة جبال الريف (شمال المغرب)، المتصفة بتقلبات مناخية حادة، أحيانا، والتي تعد من ثوابت المناخ المتوسطي السائد. تميزت المنطقة عبر التاريخ باضطرابات أمنية، بعضها محلي والبعض الآخر له صلة بالحيط الخارجي. ونظرا لكون المنطقة عرفت استقرارا بشريا قديما، وتعاقبت عليها مجموعات بشرية ذات حضارات عريقة، حسبما تشير إليه الكثير من المصادر التاريخية، فقد انصهرت فيها معارف وتجارب مختلف المجموعات التي عاشت أو مرت عبرها، فأنتجت معارف محلية تطورت عبر إخضاعها للممارسة والتجريب من طرف الأجيال المتتالية على رقعتها الجغرافية²⁴. وبما أن الغذاء كان ولا يزال يشكل انشغالا رئيسا للإنسان، فقد أولاه المجتمع المدرس أهمية قصوى بتطوير وتنوع أساليبه الزراعية واعتماد سلالات فلاحية متكيفة مع البيئة المحلية الخ. كما ثبت للإنسان المحلي أن تأمين الغذاء لا يتوقف على إنتاج المحاصيل بوفرة فحسب، وإنما بفعالية طرق المعالجة والتخزين لاستعمال هذه المحاصيل خارج موسم الإنتاج والوفرة ما دامت الغلات الفلاحية تتميز بموسميته²⁵. عطفاً على الفكرة السابقة، فقد قدرت المنظمة العالمية للزراعة والأغذية الخسائر السنوية في الحبوب المخزنة في جميع أنحاء العالم بـ 10% من الإنتاج الإجمالي²⁶. تقدر هذه الخسائر في إفريقيا

²⁴Ministère de La Culture-Maroc, Regards sur les patrimoines et les terroirs des Jbala, Coor. Bouchmal (F) et al., 3ème Forum International Planète-Terroirs, (2010).

<https://docplayer.fr/27425294-Regards-sur-les-patrimoines-et-les-terroirs-des-jbala.html>.

²⁵من المعلوم إن للغذاء الأثر الكبير في تحصين حياة الناس الدنيوية والروحية. في هذا الإطار سبق القول المأثور للصوفي عبد الرحمان المجذوب أنه من دون تحصين الناس ضد الجوع فلن تقوم للدين قائمة:

الخبز يا الخبز والخبز هو الإفادة
لو ما كان الخبز ما يكون دين ولا عبادة

عن استيتو (محمد)، 2004، «الفقر والفقراء فيمغرب القرنين 16 و 17 م»، مؤسسة النخلة للكتاب، وجدة، المغرب، ص 472.

²⁶Hall (D.W.), 1970, «Handling and storage of food grains in tropical and subtropical areas», FAO Agricultural Development Paper no. 90, Rome, Italy, p. 14.

جنوب الصحراء الكبرى بين 25% و40%²⁷، وفي الهند يضيع بعد الحصاد ما يكفي، حسب البنك الدولي، لإطعام ثلث فقراء هذا البلد²⁸. وهناك من يُرجع مشكلة الغذاء في بعض الدول، أساسا، إلى عدم القدرة على الحفاظ على فائض الإنتاج وقت الحصاد إلى وقت انخفاض الإنتاج²⁹. من هنا تأتي أهمية تخزين المنتجات الفلاحية كحلقة مركزية ضمن سلسلة إنتاج وتسويق واستهلاك الغذاء؛ مما يستوجب استعمال هياكل وطرق فعالة وآمنة. وفي هذا الصدد يتم التمييز بين طرق وهياكل متنقلة وثابتة؛ فردية وجماعية؛ ثم عصرية وأخرى تقليدية "تطورت داخل المجتمع وانتقلت من جيل إلى آخر"³⁰. ومن أجل تقييم التخطيط الاستراتيجي التقليدي للسكان واختبار جدوى الطرق التقليدية في تخزين المنتجات الفلاحية، وإبراز وتعداد فوائدها، تتناول هذه الورقة البحثية، بالدراسة والتحليل، هياكل تقليدية من النوع الجماعي والثابت، تُعرف بـ «الهُرِّي» أو «أكادير» أو «إكودار»... وبالتحديد «الهُرِّي» الموجودة بقرية «القلعة» بجبال شفشاون في الشمال الغربي المغربي.

إن مقارنتنا للمخازن الجماعية موضوع هذه الورقة البحثية، لن تتم على أساس قياس كفاءتها في أداء الوظيفة التي بنيت من أجلها فحسب، وهي تخزين وادخار المنتجات الفلاحية وإيداع الحلي والوثائق... إلخ، لكن أيضا باعتبارها تراثا معماريا. وبما أن هذا التراث يعتبر نتاجا لتفاعل مدخلات كثيرة، فالتعامل معه يجب ألا يقتصر فقط على البعد الجمالي والوظيفي للمباني، بل يجب أن يُدرك في سياقه التاريخي، وتتم قراءته وفق طبيعة المنظومة الفكرية التي أنتجته، وهو ما يقتضي الإحاطة بأهم العناصر التالية³¹:

- ← القيم الثقافية والمضامين الدينية ومدى تأثيرها على شكل وأسلوب المنشآت المبنية، وعلى المعمار التراثي ككل؛
- ← الخصوصيات البيئية، من صخارة ومناخ وتضاريس وتربة وغطاء نباتي...، ومظاهر اعتماد التراث عليها وتفاعله معها؛
- ← العلاقات السياسية السائدة وطبيعة المرحلة المستهدفة سواء في حالة السلم أو الحرب؛
- ← الجانب الوظيفي، وطبيعة المهمة الموكولة للبنية أو الصرح: اقتصاديا، واجتماعيا، وسياسيا، وثقافيا إلخ.

1- خصائص وتركيبية المخازن الجماعية المدروسة: تقنية خلاقة في تخزين وصيانة المؤن

²⁷Mobolade (A.J.), et al,2019,«Traditional methods of food grains preservation and storage in Nigeria and India»,Annals of Agricultural Sciences 64, p. 196.

<https://doi.org/10.1016/j.aoas.2019.12.003>

²⁸Ibid, p.196.

²⁹Ibid, p. 196.

³⁰Natarajan (M.), Santha (G.),2006,«Indigenous agricultural practices among tribal women»,Indian Journal of Traditional Knowledge,Vol. 5 (1), p. 118.

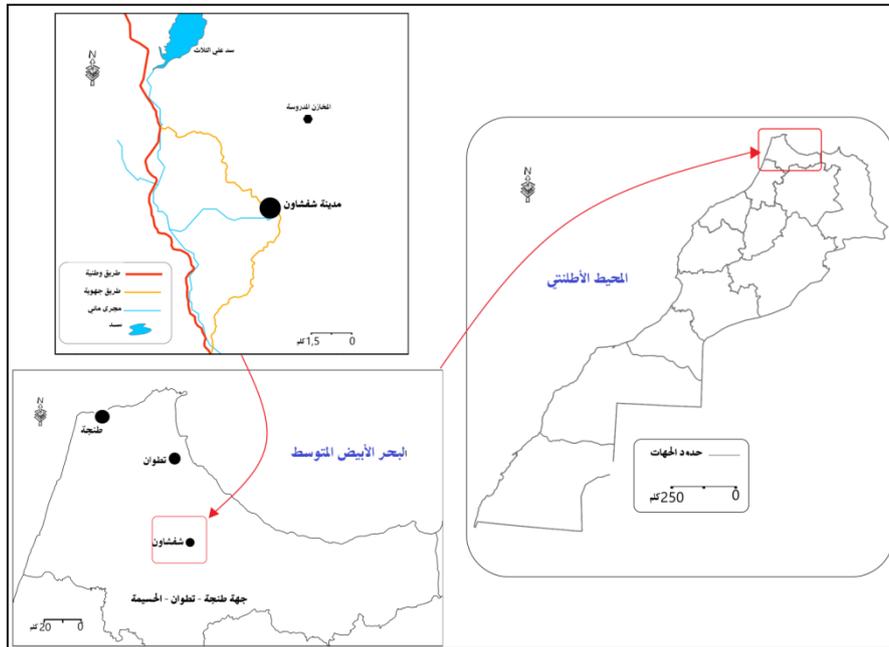
³¹الدكاري (عبد الرحمان)، 2014، «التراث المعماري بالمغرب: الذاكرة الجمالية ومظاهر الثمين»، مجلة أبحاث ودراسات التنمية، العدد الأول، مخبر الدراسات والبحوث للتنمية الريفية، جامعة محمد السادس للبشرية الإبراهيمية جوجوعرييح - الجزائر، صص 14-15.

بنيت المخازن الجماعية موضوع هذه الدراسة وفقا لضوابط جغرافية دقيقة، وبتوظيف مواد ودرائياتوكفايات محلية، وتم تصميمها وإدارتها بكيفية جعلتها تفي بالغرض الذي أنشئت من أجله، خاصة أيام الضيق والحرج³².

1-1- الموقع والموضع

تقع المخازن الجماعية المدروسة (الهرري) عند تقاطع دائرة العرض "35°11'45" شمال خط الاستواء وخط الطول "5°14'58" غرب خط غرينيتش، شمال غرب مدينة شفشاون بحوالي 7 كلم، بالسفح الشمالي لجبل "القلعة" (ارتفاعه 1616م)، وهي مخازن مدشر يحمل نفس اسم الجبل المذكور (مدشر القلعة). ويعد هذا المدشر من بين أكبرالمداشر في أحواز مدينة شفشاون؛ إذ بلغ عدد سكانه 2769 نسمة حسب إحصاء سنة 2004، كما أنه يتكون من 10 أنوية سكنية: "أقلية"، "السريفيين"، "عبد الرحمان"، "إمخشانن"، "إزرهان"، "إكورش"، "إمصماد"، "إمودنان"، "إمنصورن" و"بوقرار". وتقع المخازن بالضبط بالقرب من النواة السكنية الأخيرة (بوقرار)، وهو اسم مشتق من اسم المخازن (أقرار). وبحجمه الكبير هذا، يشكل مدشر "القلعة" فرقة كاملة (ربعا) من قبيلة "بني زجل" الغماريةوتخومها الشمالية الغربية مع قبيلة "الأخماس" الجبيلية.

خريطة موقع المخازن الجماعية المدروسة



المصدر: إعداد شخصي من طرف الباحثين

³²من أسباب أيام الضيق والحرج البشرية والطبيعية بالمنطقة نذكر: الفتن والحروب والأوبئة والكوارث؛ كالفيضانات والجفاف والقحط وزحف الجراد والقوارض... إلخ.

من حيث الموضع، بُنيت المخازن على ارتفاع نحو 1080 متر عن سطح البحر، وهو موضعيصعب الوصول إليه لكونه منحدرًا جادًا بالجزء الشمالي لجبل "القلعة"، وبالضبط بين السفحين الشمالي الشرقي والشمالي الغربي؛ مما يجعل موضع المخازن أقل تشميسًا، لاسيما خلال فصل الشتاء، إذ يُروى عن الساكنة أن أشعة الشمس لا تمسه إطلاقًا لمدة 40 يومًا تقريبًا، مما يخلق مناخًا محليًا باردًا. كما يتميز الموضع بشدة الانحدار، خصوصًا هوامشه، وبكثافة الغطاء النباتي؛ مما وفر للمخازن مناعة وحصانة طبيعيتين، إذ لا يمكن الوصول إليها إلا من جهة أسفل المنحدر حيث يوجد مدخل (باب) المخازن ومسكن الحارس. ويفسرتوفر مخازن القلعة الجماعية على باب واحد بدواعي تنظيمية وأمنية تتلخص في تسهيل عملية الحراسة ومراقبة الولوج إليه والخروج منه بشكل آمن ومرتب.

الصورتان 1 و2: موضع المخازن الجماعية لمدر "القلعة" بسفح جبل "القلعة"



تتموضع المخازن بالسفح الشمالي لجبل "القلعة"، تحديداً بين السفحين الشمالي الشرقي والشمالي الغربي، وهو موضع كثيف الغطاء النباتي وشديد الانحدار، لذلك تمت تحميّة الأرض بإقامة مصاطب متوازية بُنيت عليها مئات وحدات الخزن، غير أن جميعها قد تحدم واندرثر بفعل عوامل الدهر وانعدام الصيانة، ما عدا بناية خزن واحدة لا زالت شاهدة، وهي الظاهرة في الصورة 2. الصورة الأولى (1) من GoogleEarth، والثانية (2) بعدسة الباحثين (2020).

2-1- مواد البناء والهيكلة تعكس المعارف والمهارات الحيّاتية للساكنة المحلية

نظرا لتضرس الموضع، فقد استوجب بناء المخازن تهيئة المنحدر ببناء مصاطب تراتبية متوازية مدعمة بجدران من الصخور الكلسية المتراسة. كما أعدت أرضيتها منفصلة عن سطح الأرض عبر أعمدة خشبية، لحمايتها من السيالان المائي أثناء التساقطات المطرية ومقاومة الرطوبة مع السماح بمرور الهواء أسفل المخزن. وقد تشكلت ورفصته هذه الأرضية من ألواح خشبية مستندة على الأعمدة الخشبية التي تفصلها عن سطح الأرض ومغطاة بطبقة من الطين. أما الجدران، فبنيت باستعمال طوب مهيك³³، بعلو حوالي 1,8 أمتار بالواجهتين اللتين تشكلان طول البناية (طولها حوالي 3,3 أمتار)، وبارتفاع يصل إلى حوالي 3 أمتار بالواجهتين اللتين تشكلان عرض البناية (عرضها حوالي 1,9 أمتار)، حيث يتخذ الجدار، انطلاقا من علو 1,8 أمتار، شكلا مثلثا متساوي الساقين. وتُملط الجدران من الداخل والخارج بطين ممزوج بالتبن (الصورة 3).

أما بخصوص السقف، فقد تم تصميمه بواجهتين مائلتين في اتجاهين متعارضين، يمتدان نحو الأسفل بعيدا عن الجدران بحوالي نصف متر، وبدرجة ميلان تتراوح بين 36 و 40 درجة، لتسريع جريان مياه الأمطار من فوق السقف وصرفها بعيدا عن الجدران الطينية. وقد تألف السقف من مستويين؛ الأول أساسه ألواح خشبية متراسة مغطاة بطبقة من الطين، والثاني تكوّن من أعمدة خشبية ممددة نحو الأسفل، تتقاطع معها وتثبت بها تشكيلات من القصب، مشكلة بذلك مربعات صغيرة، تمت تكسيتهما بقش جاف ومتراص (الصورة 3).

من حيث هيكلتها الداخلية (الصورة 4)، قُسمت كل وحدة خزن (هرى) إلى أربعة أقسام (تسمى عَيينية؛ من عَيْن) يبلغ حجم كل واحد منها أكثر من متر مكعب. وقد جرت العادة أن يُخصص قسم للقمح وآخر للشعير وثالث لـ "أمركس" (وهو مزيج من القمح والشعير) ورابع للذرة Sorgho. وضمن تلك الأقسام الأربعة، أيضا، كان يُحفظ التبن المجفف والزبيب وما شابههما، إلى غير هذا، كالثقاني والفواكه الجافة، التي لم تكن كمياتها الضئيلة تتطلب أن يُخصص لها قسم مستقل، لذلك كانت تُخزن بأكياس أو بدونها جنبا إلى جنب مع المنتجات الرئيسية. أما السوائل، تحديدا زيت الزيتون، فكان يوضع في وعاء خشبي يُحفظ بدوره في قسم من أقسام كل وحدة خزن، على أن تُفرغ وتحفظ المنتجات الأخرى، من حبوب وبقطاني...، حواليه دون أن تصل إلى مستوى فم الوعاء للحيلولة دون تسرب تلك المنتجات إلى جوفه. كما لم تكن المخازن مخصصة لادخار المنتجات الفلاحية فحسب، بل كل ما هو ثمين ونفيس لدى السكان، من نقود وحلي ورسوم الأراضي وعقود البيع والشراء وغيرها، كل ذلك بفضل الأمن والأمان اللذين تمتعت بهما هذه المخازن نظرا لموقعها الحصين وحراستها المستمرة.

³³ يعرف محليا بالطوب أو المقدار، طوب مصنوع من طين ممزوج بالتبن باستعمال قالب خشبي مستطيل الشكل.

الصورة 3: الهيكل الخارجي لوحدة الخزن المرمة والمقامة على ركائز تفصلها عن الأرض والمبنية بمواد محلية (أحجار وقصب وخشب وطوب...) (2009)



الصورة بعدسة الباحثين (2009)

الصورة 4: البنية الداخلية لوحدة الخزن (المري) الصورة 5: مدخل المخازن، وفوقه يقع مأوالحضاي



الصورة 4 بعدسة الباحثين (2020)؛ والصورة 5 من أرشيف كارلوس بيريدارويج³⁴ Carlos Pereda Roig بمكتبة خوان

غويتيسولو Juan Goytisolo بمعهد ثريانتيس في طنجة:

<https://colecciondigitales.cervantes.es/digital/collection/FOCAPE/id/1738>

3-1- إدارة المخازن

نظرا لأهمية وقيمة المخازن في حياة سكان مدشر "القلعة"، لاحتوائها أعلى وأنفس ما أنتجته وحازته الساكنة من مواد ومؤن غذائية ونقود... فقد أحاطتها بحراسة دائمة كانت تُسند إلى رجليتسلح بهراوة أو بندقية ويستعين بكلابٍ مدربة

³⁴ ولد كارلوس بيريدارويج بمدريد سنة 1912 وتوفي في طنجة سنة 1978، تقلد عدة مناصب حيوية في منطقة الحماية الإسبانية بشمال المغرب. عن البكوري (معاد)، 2018، «جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لقبائل غمارة 1859 - 1956م»، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس-فاس، المغرب، ص 9.

عُرف بـ "الحضائي" (الحارس والمراقب). وهي مهمة لم تكن تُناط بأيّ كان، بل تُسند إلى شخص تأنس فيه "الجماعة" الثقة والإخلاص في العمل ومشهود له بالأخلاق الفاضلة والأمانة والاستقامة، ويلتزم بالمكوث بعين المكان ليلا ونهارا، حيث أعدت له مسكنا صغيرا يعلو المدخل الوحيد للمخازن (الصورة 5). وهي شروط كان من الصعب توفرها في شخص واحد، لاسيما شرط الإقامة الدائمة وحيدا في موضع يُعرف بقساوة الحياة من حيث العزلة والبرودة، خصوصا في فصل الشتاء. وكان "الحضائي" يُخطر مالكي المخازن بأي طارئ أو مستجد (سرقة، محاولة سرقة، انتهاء مدة انتدابه...) عبر رسالة مشفرة يبعثها من خلال إيقاد نار بموضع مجاور للمخازن. كما كان من شروط انتقاء حارس الهري أن يكون الرجل ملما بالقراءة والكتابة، وهي علامة على الاستقامة والمعرفة بالقانون العربي المنظم للهري، وكفاية تمكن الحارس من توثيق (كتابة) المعاملات التي كانت تجري بالمخازن الجماعية³⁵ من بيع وشراء ورهن... إلخ.

وإضافة إلى الحماية التي كان يوفرها "الحضائي"، فقد كان مستعملو الهري يغلقون مخازنهم بإحكام، عقب كل استعمال، بتعزيز الفجوات التي تفصل الباب الخشبي عن إطاره المثبت بالجدار بألواح خشبية صغيرة، للحيلولة دون تسلل القوارض والحشرات إلى داخل المخزن. كما اعتُبرت طريقة الإغلاق تلك بمثابة سُفرة خاصة بصاحب كل وحدة خزن، يعرف من خلال معاينتها في الزيارة اللاحقة لوحدة الخزن إن كان الباب قد فُتح ثم أُغلق من طرف الغير أم لا. والباب هذا، عبارة عن منفذ صغير، على شكل نافذة، يوجد على علو حوالي 1,3 أمتار، فلا يمكن الوصول إليه إلا عبر درجات مثبتة بأحد الجدران الخارجية للهري. وتعتبر هذه المتغيرة إحدى مظاهر التباين بينها وبين المخازن الجماعية بالأطلس الكبير التي يحتوي كل مخزن منها بابا واحدا³⁶.

أما القواسم المشتركة فتتعلق، أساسا، بالحصانة الطبيعية والحراسة الدائمة وطبيعة المواد المدخرة؛ ففي الأطلسين الكبير والصغير، حيث تم إحصاء حوالي 340 مخزنا جماعيا، كانت المخازن الجماعية، أو ما يعرف محليا بـ «أكادير» «Les Igoudars»³⁷، تبنى في مواضع يصعب الوصول إليها؛ إما بالكهوف وبوسط الحافات شبه العمودية أو فوق الأعراف

³⁵Camps (G.) et Vignet-Zunz (J.),1998, «Ghomâra», Encyclopédie berbère, document G44.

URL : <http://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/1923> ; DOI : <https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.1923>

³⁶العبدلاوي (محمد)، 2005، «تأملات في بعض طرق و وسائل الخزن التقليدية للمنتوجات الفلاحية بجبال الريف»، في: "تحولات الأرياف في جبال الريف بالمغرب"، منشورات مجموعة البحث الجغرافي حول جبال الريف، سلسلة دراسات مجالية رقم 2، الطبعة الأولى، مطبعة الخليج العربي، تطوان، المغرب، ص 99.

³⁷إن مصطلح «أكادير» مصطلح أمازيغي، ومعناه باللغة العربية «الحصن أو المخزن» ويجمع على كلمة «أكيدار أو أكودار»، وهو عبارة عن بناية ضخمة تشيد عادة في مشارف المجتمعات البشرية التي تنتمي إليها لأسباب أمنية، تحاط بسور وأبراج وتتخذ أشكال مختلفة".

العمري(نزهة)، 2019، «الحصون التاريخية "إكودار" ودورها في الاقتصاد القومي المغربي»، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ص 19.

الشاهقة... إلى جانب حماية الساكنة والحرس الخاص بها³⁸. وبالإضافة إلى "تخزين وادخار الممتلكات كيفما كان نوعها، من مواد غذائية وحلي ذهبية وفضية وعقود ونفائس مختلفة (...). فقد كانت للمخازن الجماعية وظيفة اجتماعية تتمثل في توحيد مكونات القبيلة وتنظيم فروعها وفخداها، وملجأ للساكنة في حالة القلاقل وإبان الصراعات، ووظيفة اقتصادية تتمثل في حماية غذاء الساكنة إبان سنوات القحط وحين انتشار الجراد"³⁹. ورغم تشابه بعض خصائص المخازن الجماعية للأطلس مع المخازن المدروسة بالريف الغربي (غمارة)، تبقى الأخيرة متميزة ومتفردة واستثنائية بشمال إفريقيا من حيث المعارف والمهارات والقدرات الموظفة، حيث لم يُعرف لها مثيل في سائر بلدان المغرب العربي، علما أنها كانت منتشرة بشكل كبير بشمال شرق إسبانيا في إقليم غاليسيا وأستورياس وفي بلدان الساحل الإفريقي وخاصة إفريقيا السودانية⁴⁰.

وكان "الحضاي"، الذي يسهر على مراقبة وحراسة المخازن، يتقاضى مقابلا سنويا، يؤدي من المنتجات المدخرة، خصوصا القمح، حُدِّد في المبدأ⁴¹ الواحد عن كل وحدة خزن. فقد كانت بعض الأسر تحوز أكثر من وحدة للخزن، وأخرى تحوز وحدة واحدة وأسر أخرى تتقاسم نفس الوحدة. فكان عدد الوحدات، حسب ما يُروى عن كبار السن، يُقدر بالمئات، غير أنها اختفت من الوجود ولم تبق منها سوى وحدة واحدة (كما تقدم ذكر ذلك وهي التي تظهر في الصور) معرضة بدورها للاندثار، لتوقف العمل بها وانعدام الصيانة رغم المزايا الكثيرة التي تتيحها.

2- مزايا وفوائد عديدة وفرتها ولا زالت للمخازن الجماعية المدروسة

ارتباطا بخصائصها الجغرافية، والمواد المستعملة في بنائها، وكيفية إدارتها...، فقد وفرت المخازن الجماعية لمدشر القلعة ومداسر محيطه أيضا (المنتمية لقبيلتي لغمارة وبني حسان) فوائد ومزايا عديدة.

1-2- محصنة طبيعياتعذر مدهمتها في فترات انعدام الأمن

بُنيت المخازن المدروسة في موضع حصين ومنيع لحفظ المحاصيل الزراعية من حبوب وقطاني وغيرها من المواد الغذائية كالزيت والعسل والسمن، وكذا لحفظ الأشياء الثمينة كالحلي والعقود والصكوك. هذا الموضع المتميز بأخذه الشديد وكثافة غطاءه النباتي، يوحيا بنشغال السكان بها جسد الأمن أكثر مما تنصرون، لتحصين المخازن ضد النهب والسرقة ومصائب عهد السبية. فبسبب الصراعات القبلية وما كان ينجم ويترب عنها من تسيب وأعمال عدوانية كالقتل والنهب والسرقة وإضرار النار وإتلاف المحاصيل الزراعية؛ كان التوتر "هو السائد في علاقات قبائل غمارة بمحيطها، سواء مع متبوة الريف أو الأخماس

³⁸الذكاري (عبد الرحمان)، 2014، مرجع سابق، ص 25.

³⁹نفسه، 25.

⁴⁰Peyron (M) et Vignet-Zunz (J), 1999, «Greniers», Encyclopédie berbère, 21, document G73.

.URL: <http://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/1780>;

DOI: <https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.1780>

⁴¹محليا يعادل المد حوالي 40 كلغ، وتُستعمل في قياسه وحدة محلية (إناء خشبي) تُسمى "السُّبِّي"، وهو يزن كيلوغرامين ونصف، على أساس أن الثمن يعادل سُبِّيَّان (5 كلغ) والرابع 4 سُبِّيَّات (10 كلغ).

واغزاوة وبني سعيد وحتى مع تطوان وشفشاون⁴². وحيث أن مدشرالقلعة الذي شيدت به المخازن (القلعة) يوجد بمحاذاة الحدود الفاصلة بين قبيلتي بني زجل الغمارية والأخماس الجبلية، فقد كان شديد التأثير بتقلب واضطراب العلاقة بين القبيلتين. فحسب الروايات الشفهية المتوافق عليها من طرف عدة مسنين من مدشر القلعة من قبيلة بني زجل ومدشر أمهارشين من قبيلة الأخماس، فقد كانت القبيلة الأخيرة تهاجم الأولى فتحرق البيوت وتقطع وتجثت الأشجار المثمرة وتتلغ المحاصيل الزراعية وتؤسّر الأطفال وتسيي النساء. وتتوافق هذه الروايات مع ما رصدته الكتابات التاريخية. فقد أورد موليراس أوجست أواخر القرن التاسع عشر أن قبيلة بني زجل تعرضت لهجوم غادر من طرف قبيلة "الأخماس" التي قتلت حوالي ثلاثين رجلا وغنمت غنائم كثيرة وأسرت العديد من النساء والغلما، فجمعت كلتا القبيلتين حلفاءها واتفتتا على موعد يقتتلان فيه. وبالفعل وقعت معركة بينهما كان فيها القرطاس يتطاير، وحينما شعر الغماريون (بني زجل) بقرب هزيمتهم انسحبوا تاركين المكان للخمسين الذين استغلوا الوضع فهاجموا "بني زجل" مرة أخرى وأحرقوا المداشر واختطفوا النساء والغلما⁴³. وبالتالي، فمن المرجح بشدة أن تكون هذه الصراعات القبلية هي التي حذت ودفعت بالسكان إلى التفكير في بناء مخازن جماعية في موضع يصعب مباحثته أو اختراقه.

وبالرغم من كون الشهادات التي أوردناها هنا لا تتجاوز التاريخ المعاصر، فإن البعض يُرجع بناء المخازن إلى عهد محنة الأدارسة حينما التجأوا إلى "القلعة" والمرتفعات المجاورة التي يصعب الوصول إليها كبني شداد وجبل الأقرع للتحصن بها⁴⁴، كما أن لجوء سكان المنطقة عبر التاريخ إلى القمم الجبلية المرتفعة الوعرة المشرفة على الوديان السحيقة قصد الاحتماء إبان الفتن، يعزز هو الآخر أطروحتنا بشأن دور التقلبات الأمنية في بناء المخازن المدروسة. وقد استمرت الأخيرة في أداء وظيفتها الأمنية خلال الفترة الكولونiale، خاصة إبان مواجهة السكان لقوات الاحتلال الإسبانية؛ إذ لجأت الأخيرة في إطار سعيها إلى إخضاع المنطقة والقضاء على مقاومة السكان القرويين، إلى إحراق المحاصيل وهدم مخازن الغلات الفلاحية وقصف الأسواق والاستيلاء على الماشية...⁴⁵. ونظرا لمناعتها وحصانيتها الطبيعية وصعوبة اختراقها، فقد شكلت الهري، ليس مخزنا للغلات الفلاحية فحسب، وإنما أيضا ملاذ وملجأ السكان من الهجمات والغارات المتكررة لقوات الاحتلال. في هذا الإطار، يروي مستجوبونا من كبار السن ممن عاصروا العقود الأولى من الفترة الكولونiale أن قوات الاحتلال الإسبانية اضطرت إلى قنبلة المخازن والغارة عليها، حيث يجتمى السكان، وقصفها جوا، غير أن قذائفها عادة ما كانت

⁴² البكوري (معاد)، 2018، مرجع سابق، ص 214.

⁴³ موليراس أوجست)، 2013، «المغرب المجهول (الجزء الثاني) اكتشاف جبال»، (ترجمة عز الدين الخطابي)، منشورات يفرز الريف، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، صص 247 – 248.

⁴⁴ العياشي (المريني)، 1986، «الفهرس في عمود نسب الأدارسة»، الطبعة الأولى، مؤسسة التغليف والطباعة والنشر والتوزيع للشمال، طنجة، المغرب، ص 86.

⁴⁵ البكوري (معاد)، 2018، مرجع سابق، ص 223.

تُخطئ الهدف وتندرج نحو قاع المنحدر الذي توجد به المخازن. كل ذلك جعل هذه الأخيرة تشكل مصدر أمن واطمئنان للسكان أكثر من بيوتهم، ليس على منتجاتهم الفلاحية وحليهم ووثائقهم... فقط، وإنما على أرواحهم أيضاً. ويكمن مصدر هذه الثقة في الحماية القوية التي تمتعت بها المخازن؛ فهي من جهة كانت محمية طبيعياً بفضل شدة التضرس والانحدار الشديد وكثافة الغطاء النباتي، إذ لا يمكن الولوج إلى موضعها إلا من منفذ واحد كان دائماً تحت مراقبة وحراسة "الحضاي" بمساعدة أسرته⁴⁶ أو من يجلب محله في حالة الغياب الاضطراري. ومن جهة أخرى ولأسباب عقدية وذهنية (انتشار الفكر الغيبي)، استمدت المخازن حمايتها، حسب الرواية الشفوية، من الأولياء الصالحين المدفونين بالمنطقة، وهم: "سيدي زجل"، و"سيدي الحاج عبد القادر" و"سيدي يوسف التليذي"، لشدة اعتقاد الساكنة المحلية في بركتهم التي ساعدتهم على طلب المنافع وجلب الرزق ودفع الأذى والمضار.

وبذلك تكون المخازن موضوع الدراسة قد ساعدت الساكنة على تخطي أحلك وأصعب الظروف الأمنية؛ وهي اضطرابات تسبب فيها جور وظلم المستعمر على القبائل، وجور الإنسان على الإنسان، إلى جانب الكوارث الطبيعية⁴⁷ خصوصاً التقلبات المناخية وما ينجم عنها من تردد سنوات الجفاف.

2-2- متكيفة مع التقلبات المناخية

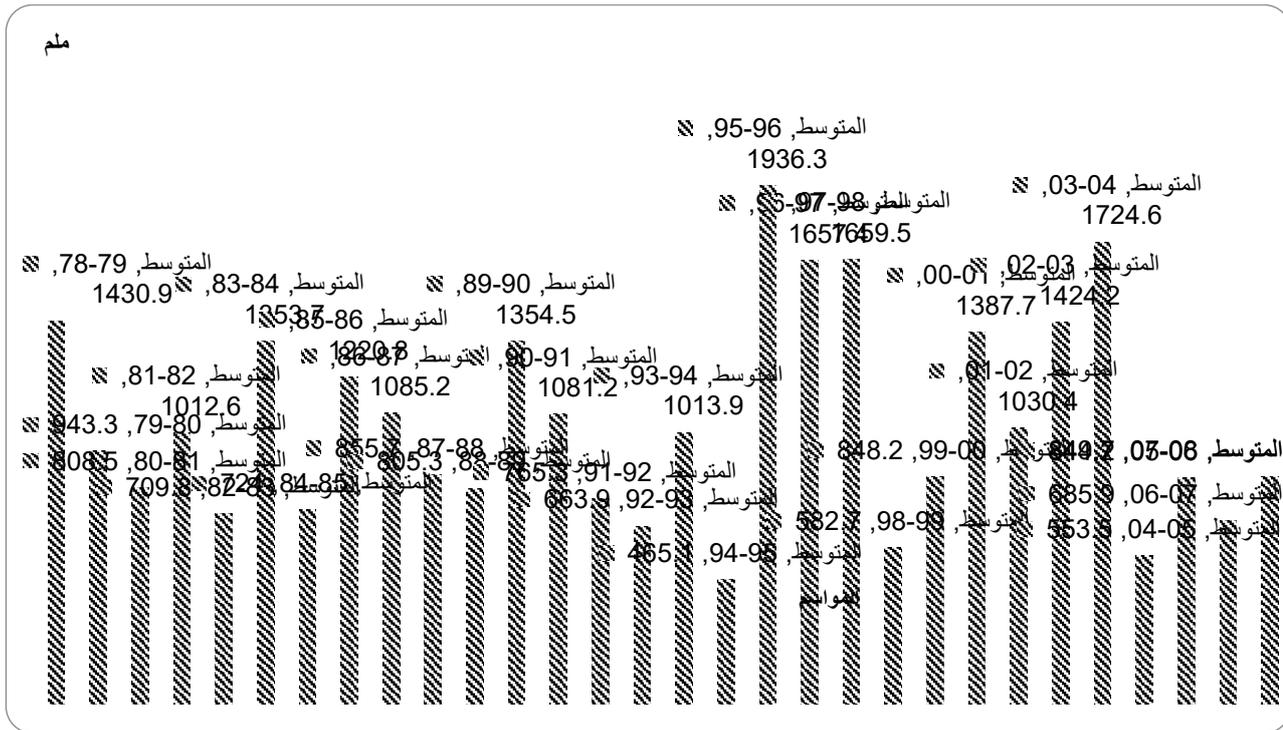
استناداً إلى معطيات المبيان 1، يبدو أن مناخ المنطقة، وتحديدًا التساقطات، تتفاوت كميًا من موسم فلاحى إلى آخر. فخلال الموسم الفلاحى⁴⁸ 1995-96 بلغت كمية التساقطات بمحطة باب تازة، القريبة من مدينة شفشاون (24 كلم)، ما مجموعه 1936,3 ملم، بينما لم تتعدَّ 451,1 ملم في الموسم الذي قبله، وخلال المواسم الثلاثين المدروسة سُجِّل الجفاف بالمحطة المذكورة في 18 موسماً مقابل 12 موسماً مطيراً.

مبيان 1: التغييرية المطرية/البينونية بمحطة باب تازة خلال فترة ما بين موسمي 1978-1979 و 2007-2008 (ملم)

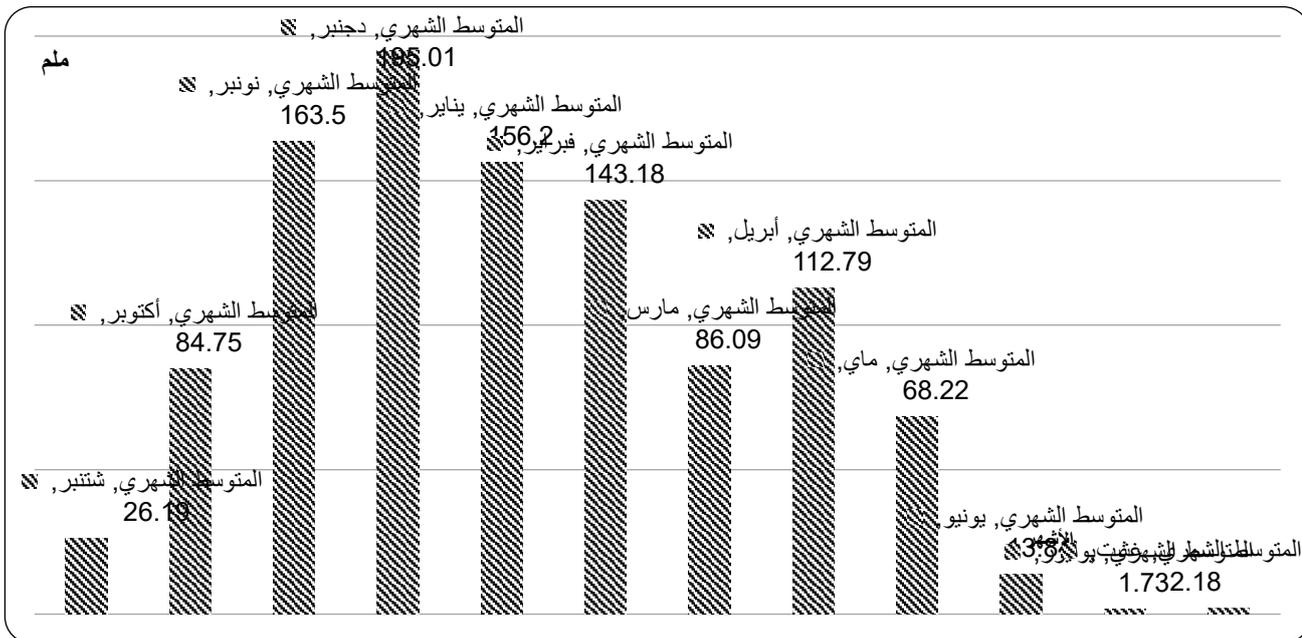
⁴⁶عموما مهمة "الحضاي" تتوارثها الأسرة أباً عن جد بموافقة مؤسسة "الجماعة" التقليدية.

⁴⁷البكوري (معاد)، 2018، مرجع سابق، ص 215.

⁴⁸يبدأ الموسم الفلاحى في فاتح شتنبر من السنة، وينتهي في 31 غشت من السنة الموالية.



مبيان 2: التوزيع الشهري لمتوسط التساقطات المطرية بمحطة باب تازة خلال فترة مابين موسمي 1979-1978 و 2007-2008 (ب.ملم)



مصدر المبيانان: استغلال شخصي لمعطيات وكالة الحوض المائي اللكوس، تطوان، 2016.

كما تتذبذب التساقطات داخل نفس السنة (المبيان 2)؛ من فصل لآخر ومن شهر لآخر. فالتساقطات تبدأ في الارتفاع منذ مطلع الموسم، وتصل ذروتها خلال شهر دجنبر، ثم تبدأ في الانخفاض تدريجياً إلى غاية نهاية الموسم مع بعض الانتعاش خلال شهر أبريل. كل ذلك يجعل الإنتاج الفلاحي متذبذباً من موسم لآخر. في هذه الحالة يصبح التخزين أمراً ضرورياً،

عبر تخزين معظم الإنتاج بعد الحصاد ثم استخدامه تدريجياً خارج موسم الحصاد⁴⁹. لذلك، فقد بنى سكان "القلعة" مخازنهم الجماعية بكيفية تجعلها متكيفة مع الظروف المناخية المحلية، وتستجيب لحاجياتهم وتساعدهم على التأقلم مع تقلبات المناخ. فمن جهة، أقيمت المخازن على إطارات خشبية تفصلها عن سطح الأرض، مما كان يحول دون تأثرها بالمياه الجارية السطحية ورطوبة التربة، وجعل لها سقف مضاعف ومزدوج الميلان، يمتد بعيداً عن الجدران بأكثر من نصف متر لتمكينها من تصريف مياه الأمطار بعيداً دون أن تؤثر على الجدران وعلى المنتجات المخزنة داخلها. ومن جهة أخرى حاول سكان المنطقة إيجاد بعض السبل للتأقلم مع التغيرات المطرية الفصلية، باتباع نظام زراعي يقوم على مباشرة الزراعة المتطلبية للرطوبة (زراعات مبكرة/بكرية) منذ مطلع الموسم الفلاحي ثم استبدالها بمزروعات صيفية تتحمل الجفاف (زراعات متأخرة /مازوزية) منذ فصل الربيع. لكن رغم ذلك ظل عدم انتظام التساقطات هاجساً يورق السكان؛ فهم لا يتوقعون أحوال المناخ للموسم الفلاحي اللاحق ولا حصيلته الزراعية، ولا يطمئنون حتى على محصول الموسم المعيش، خوفاً من أن تعصف به تقلبات المناخ (الجفاف، التساقطات العنيفة، الرياح القوية...) والآفات الأخرى التي تسببها الحيوانات البرية والجراد والحرائق والأمراض النباتية التعفنمية أو الطفيلية الخ، وبالتالي، قد يضيع هباء في أي لحظة. وللإشارة، بعض هذه الآفات يمتد تأثيرها على المنتجات الفلاحية إلى داخل البيوت والمخازن. لذلك، فإضافة إلى الجهود المضنية التي يبذلها المزارعون لإنتاج المحاصيل في الحقول، فهم يكافحون لحماية محصولهم داخل المخازن في مواجهة الآفات المختلفة. وقد قُدرت خسائر تخزين الحبوب في بعض مناطق العالم بخمس إجمالي الإنتاج⁵⁰. وبسبب هذه الإكراهات وغيرها، على شاكلة الاضطرابات الأمنية عبر التاريخ، كان لزاماً على سكان المنطقة إيجاد وابتكار حلول تكون فيها غلاتهم الفلاحية محصنة ضد السرقة ومحمية من التعفن والطفيليات والقوارض...⁵¹، وذلك عبر المخازن الجماعية، مما يضمن استدامة الغلات لأطول مدة ممكنة، تحسباً لنقص الإنتاج خلال الفصول الجافة والسنوات العجاف وغيرها من الطوارئ. وهي شروط توفرت جميعها في المخازن الجماعية المدروسة بالنظر إلى مزاياها الكثيرة، لاسيما فوائدها البيئية.

⁴⁹Adejumo (B.A.), Raji (A.O.), 2007, «**Technical appraisal of grain storage systems in the Nigerian Sudan savannah**», Agricultural Engineering International, International Commission of Agricultural Engineering (CIGR) Ejournal, No. 11, Vol. IX, p. 2.

<https://cigrjournal.org/index.php/Ejournal/article/view/966/960>

⁵⁰Sundaramari (M.), et al, 2011, «**Indigenous grain storage structures of South Tamil Nadu**», Indian Journal of Traditional Knowledge, Vol. 10(2),p.380.

<https://www.researchgate.net/publication/280712069>

⁵¹حسب الرواية الشفوية، التدابير والتقنيات التقليدية ومنها الحيوية، التي كانت تستخدم في إنتاج الغذاء وتخزينه وحماية المحاصيل من الحشرات والنباتات الضارة والطفيليات والآفات الأخرى، كانت صديقة للبيئة وتتميز بالكفاءة نسبياً؛ كالرماد والقطران والفزاعات، وبالتالي لم تكن لها آثار صحية وبيئية ضارة.

3-2- فعالة، آمنة وصديقة للبيئة

يتمثل الهدف الأساسي لكل طرق وهياكل تخزين المنتجات الفلاحية في "تأمين الحبوب من الحشرات والقوارض ومن نشاط الكائنات الحية الدقيقة"⁵²، فالمنتجات المخزنة تتدهور جراء "التفاعلات بين المتغيرات الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية على مستوى نظام التخزين"⁵³؛ لذلك من الضروري الحفاظ عليها باردة وجافة أثناء التخزين⁵⁴. وبشأن المخازن المدروسة، فإن موضعها بعلم مهم عن مستوى سطح البحر ويسفح جبل قليل التشميس، أسهم في خلق مناخ محلي بارد، وبيئة ملائمة للتخزين، ساعد على ذلك أكثر طريقة ومواد البناء؛ مما كان يحول دون حدوث الآفات وإصابة المنتجات بالتدهور والتعفن، الشيء الذي كان يقلل من فرص تعريضها للتلف ويرفع من عمر المنتجات المخزنة حيث كان بعضها (الحبوب) يصل إلى 7 سنوات، وفقا لتصريحات مستجوبينا.

إضافة إلى ذلك، أتاح النظام الدفاعي لهذه المخازن إمكانية تجنب الإصابة ببعض الآفات والأمراض بدل محاولة السيطرة عليها بعد هجومها؛ فأغنت عن استعمال الأدوية الاصطناعية والمواد الكيماوية، فكانت تجنب الإنسان خطر التسمم عن طريق استهلاك تلك المواد. لذلك، فالمنتجات المخزنة في مثل هذه الهياكل التقليدية التي حظيت بدائرة تهوية مهمة "آمنة لصحة كل من الإنسان والحيوان"⁵⁵، والهياكل نفسها غير مضرّة بالبيئة، لأنها مبنية ومهيأة من مواد طبيعية.

4-2- حاملة لقيم التعاقد وروح الجماعة

تعدد مزايا ودلالات المخازن الجماعية موضوع هذه الدراسة، فضلا عن استجابتها لحاجيات السكان بشأن مواجهة التقلبات الأمنية والمناخية، وانسجامها مع البيئة المحلية...، فهي تعكس حمة ووحدة السكان وتقديرهم لقيمة العمل الجماعي في مواجهة الإكراهات والكوارث الطبيعية وتحديات الحياة العامة. فبدل أن تُخزن الغلال بحيز السكن، فتنشغل كل أسرة بتفقد وحراسة غلاتها من الأمراض والطفيليات والسرقة، وقت انعدام الأمن، قررت "الجماعة" تنسيق وتوحيد جهودها ببناء مخازن جماعية، أسندت مهمة حراستها لشخص واحد في فترات السلم، تُعِينُهُ "الجماعة"، ويتعاون أفرادها على أداء مستحقاته ومراقبته اللصيقة.

5-2- غير مكلفة

⁵²Adejumo (B.A.), Raji (A.O.), 2007, Op. cit, p. 3.

⁵³Ibid, p. 3.

⁵⁴Mobolade (A.J.), et al, 2019, Op. cit, p.197.

⁵⁵Sundaramari (M.), et al, 2011,Op. cit, p.383.

تعتبر التقنيات والممارسات التي طورها الفلاحون صديقة للبيئة واقتصادية، لأنهم يعتمدون فيها إلى استخدام وتوظيف المواد المتاحة محليا⁵⁶. فالحجارة التي استُخدمت في تهيئة المصاطب التي أقيمت فوقها المخازن، والطوب والخشب اللذان استُعملا في البناء، والطين المستعمل في تبيط الجدران، والقش الذي استُخدم في تسقيف المخازن قبل أن تحل محله، جزئيا، الصفائح الزنكية خلال الأعوام الأخيرة من عمر تلك المخازن، جميعها مواد محلية لم تكلف أصحاب المخازن ماديا إلا القليل⁵⁷. كما أنها موجودة بعين المكان أو بمحيطه؛ يتعلق الأمر في الحالة الأخيرة بالقش والطين والطوب المهيكل (المقدار). فالأخير، مثلا، كان يُصنع بموضع قريب يوجد به الماء والطين وينقل إلى حيز الخزائن بواسطة الدواب.

إضافة إلى كل ذلك، فعملية بناء المخازن وتسقيفها، كانت تتم بأيادٍ وسواعد محلية وخبراء "معلمين" من عين المكان نظير مقابل مادي نقدي أو عيني مناسب، بل غالبا ما يكون رمزيا، أو في إطار التطوع أو ما يعرف بـ"توازة"⁵⁸، وفي هذه الحالة الأخيرة تكون عملية البناء والتسقيف مجانية يساهم فيها الرجال والنساء عبر توزيع المهام، إذ يتطوع المستفيد منها، فقط، بإطعام المتعاونين معه.

وفضلا عن كل ذلك، فقد أشارت بعض الدراسات في مناطق متفرقة من العالم⁵⁹، إلى أن الخسائر التي تلحق المنتجات الفلاحية ما بعد الحصاد، أي في مرحلة التخزين، تكون باهضة. وما دامت المخازن المدروسة قد قلصت من مخاطر تدهور وتلف المنتجات الفلاحية كما لو أنها خزنت في بيئة أخرى أو باستعمال مواد صناعية كالتى تستعمل حاليا، فإنها بذلك تكون قد قلصت من خسائر التخزين كثيرا، وهذا بحمد ذاته مكسب سوسيو-اقتصادي. وبالرغم من توقف هذه

⁵⁶Dhaliwal (R.K.), Singh (G), 2010, «**Traditional food grain storage practices of Punjab**», Indian Journal of Traditional Knowledge, Vol. 9 (3), p. 526.

<https://www.researchgate.net/publication/296772730>

⁵⁷Hmimsa (Y.), 2009, «**L'agrodiversité de l'agroécosystème à l'arbre : cas du Rif (Nord du Maroc)**», Thèse de doctorat en sciences naturelles, Université Abdelmalek Essaadi, Faculté des Sciences, Tétouan, p.58.

⁵⁸"توازة" أو "التويزة": عمل جماعي تضامني مجاني، تميزت به أحواز مدينة شفشاون عبر التاريخ؛ يقوم في إطاره أعضاء "الجماعة" (قبيلة، مدشر...) بتقديم العون والمساعدة لفائدة عضو منها في الأعمال الفلاحية؛ كالحرث والحصاد والدرس، أو في بناء السكن وتسقيفه وحفر الآبار... الخ.

⁵⁹Rajasheka, (Y.), et al, 2012, «**Botanicals as grain protectants**», Hindawi Publishing Corporation, Psyche J. Entomol.

<https://doi.org/10.1155/2012/646740>

Hall (D.W.), 1970, «**Handling and storage of food grains in tropical and subtropical areas**», FAO Agricultural Development Paper no. 90, Rome, Italy, 351 pages.

Parfitt(J.), et al, 2010, «**Food waste within food supply chains: quantification and potential for change to 2050**», Philos. Trans. R. Soc. B 365, p.p. 3065 –3081.

<https://doi.org/10.1098/rstb.2010.0126>

Adejumo (B.A.), Raji (A.O.), 2007, «**Technical appraisal of grain storage systems in the Nigerian Sudan savannah**», Agricultural Engineering International, International Commission of Agricultural Engineering (CIGR) Ejournal, No. 11, Vol. IX, 12 pages.

<https://cigrjournal.org/index.php/Ejournal/article/view/966/960>

المخازن عن أداء وظيفتها وتلاشي معظم وحداتها، فإن المتبقي منها يمكن أن يوفر منافع اقتصادية إضافية لفائدة المنطقة إذا تم استثمارها في أنشطة أخرى كالسياحة الثقافية.

6-2- قابلة لإعادة الاستثمار والتوظيف في أنشطة سوسيو-اقتصادية أخرى

تعد المعارف المحلية التقليدية للسكان ومختلف ممارساتهم المتأقلمة مع البيئة ومعتقداتهم وإنتاجاتهم المادية وغير المادية تراثا ثقافيا وعناصر مهيكلية ومؤنثة لهوية المجتمعات المحلية. وبالموازاة مع تزايد أهمية المعارف المحلية التقليدية لدى منظري التنمية وصانعي السياسات⁶⁰ بالنظر إلى الفرص الاجتماعية والاقتصادية التي تتيحها وانسجامها وتكيفها مع البيئات المحلية، فقد تزايد اهتمام السياح بما أنتجته المجتمعات المحلية والأمم عبر تاريخها، من إنتاجات مادية وغير مادية؛ لذلك أعادت منظمة السياحة العالمية التأكيد مؤخرًا على أهمية السياحة الثقافية، حيث تمثل أكثر من 39% من السياح الوافدين عبر العالم⁶¹. وفي إقليم شفشاون، حيث توجد المخازن المدروسة، كشفت دراسة ميدانية جامعية⁶²، أن أكثر من 80% من السياح، الوطنيين والأجانب، عبروا عن رغبتهم في اكتشاف التراث الثقافي للمنطقة. وفيما يخص أنواع التراث الثقافي التي تستهوي السياح، أكدت الدراسة ذاتها، أن التراث المعماري، الذي تندرج ضمنه المخازن موضوع هذه الدراسة، يأتي في الطليعة بنسبة 26,24%. بفضل ذلك، بدأ المهتمون من الباحثين الأكاديميين ومؤسسات المجتمع المدني وحتى متخذي القرار يولون بعض الاهتمام للتراث المادي واللامادي للمجتمعات المحلية، باعتباره عاملا للجذب السياحي، فتعالت الأصوات بضرورة إنقاذ ما تبقى من المخازن الجماعية لمدرش "القلعة"، لتكون شاهدة على عبقرية ودهاء مشييدها ولتعزز جاذبية منطقة شفشاون، لاسيما وأن "شهرة المخازن تجاوزت المستوى المحلي إلى ما هو وطني ودولي وحولتها إلى إحدى أهم المزارات السياحية المهمة ليس فقط بإقليم شفشاون بل في الريف الغربي أيضا"⁶³.

وتفاعلا مع هذه الأصوات، تمت إعادة هيكلة وترميم بضعة وحدات من المخازن الجماعية لمدرش القلعة، في إطار برنامج فضاء الاستقبال السياحي بإقليم شفشاون، تكلفت بها كل من جمعية "موفيموندو" الإيطالية والجمعية المحلية لمدرش "القلعة" بشراكة مع وزارة السياحة، بحجم استثمارات قدره 40000 درهم. وفي إطار البرنامج ذاته، تم إعداد مدارات سياحية تربط

⁶⁰Agrawal (A.),1995, «Dismantling the divide between indigenous and scientific knowledge», Development and Change, vol 26, Institute of Social Studies, Published by Blackwell Publishers, 108 Cowley Rd, Oxford OX4 1JF, UK, p.413.

<https://doi.org/10.1111/j.1467-7660.1995.tb00560.x>

⁶¹Richards (G.), 2018, «Cultural tourism: A review of recent research and trends», Journal of Hospitality and Tourism Management, Volume 36, p.13.

<https://doi.org/10.1016/j.jhtm.2018.03.005>

⁶²اعبيدو (جواد)، 2020، «التراث الثقافي ودوره في التنمية السياحية: دراسة حالة إقليم شفشاون»، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، المغرب، ص 217.

⁶³العبدلاوي (محمد)، 2005، مرجع سابق، ص 101.

بين، أو تمر عبر، مواقع ذات قيمة إيكولوجية وتراثية عالية، وأنشئت مآوي قروية عموماً ذات هندسة معمارية لإيواء السياح على طول هذه المسالك، فكان من أهمها المسلك الرابط بين مدينة شفشاون (نقطة الانطلاق) ومنتجع أقشور (نقطة الوصول)، مروراً عبر مخازن "القلعة" ومدشري "أغرمان" و"أوسلاف"، على امتداد حوالي 3 إلى 4 ساعات من المشي على الأقدام، معزاً بمأويين بكل من "القلعة" و"أوسلاف" لفائدة الراغبين في الاستراحة أو المبيت، إضافة إلى نشر مطوية تتضمن معلومات وخرائط وصور تخص المسار. وما يميز قيمة هذا المسلك، مقارنة بالمسالك الأخرى، كونه يوفر للسائح وصفة متنوعة؛ تجمع بين عبق التاريخ والتراث المنبعث من مخازن "القلعة"، والمناظر الطبيعية الخلابة لاسيما "قنطرة ربي" و"خوانق واد" "فاردا" ومياهه العذبة المتدفقة والتشكيلات النباتية المتنوعة والتغذية الطبيعية "بيو". غير أن عملية التهيئة التي استهدفت المخازن لم تشمل سوى وحدة تخزين واحدة كنموذج يدخل المخازن ومعه مسكن "الحضاي"، بينما تلاشت الوحدات الأخرى ولم يتبق منها حتى أطلالها. بل إن وحدة التخزين الوحيدة التي رمت قد تفكك سقفها العلوي وبدأت جدرانها تتدهور جراء التساقطات المطرية.

وفي مقابل المزايا الكثيرة والفوائد العديدة التي كانت توفرها المخازن المدروسة، شابتها عيوب قليلة. يتعلق الأمر بتسرب ماء المطر عبر السقف المصنوع من القش في حالة لم يركب بإحكام أو لم يجدد ويرمم كلما اقتضى الأمر ذلك، لاسيما في العقود الأخيرة مع ترسخ إكراهات تمرير المعارف التقليدية من جيل إلى جيل، لكن هذا العيب تم تجاوزه، نسبياً، من قبل بعض مالكي المخازن بعد دخول الصفائح الزنكية إلى المنطقة، حيث حلت محل القش في إقامة سقف المخازن. كما كانت المخازن تستوجب صيانة الجدران من حين إلى آخر عبر تمليطها، لاسيما من الخارج، إذا تأثرت بالتساقطات المطرية، كما أن تموضع المخازن في مستوى ارتفاعي عال، نسبياً، وبعدها عن السكن، شكل عبئاً بالنسبة لبعض المالكين، ولعل هذا من الأسباب التي جعلت البعض يُججم عن استخدام المخازن المعنية إلى جانب عوامل أخرى كثيرة أهمها سيادة الأمن، وتراجع قيم التعاون، وتحول القبيلة اقتصادياً ومحيطها من الاعتماد على الغلات التقليدية المعيشية إلى الاتكال على مداخيل الزراعة الأحادية "القنب الهندي"، حيث تسمح عائداً، عموماً، باقتناء جل الحاجيات من الأسواق الأسبوعية والمتاجر المحلية والمطاحن العصرية.

3- النتائج والتوصيات

رامت هذه الدراسة، أساساً، جرد وتحليل الفرص التي أتاحها الطرق التقليدية لتخزين المنتجات الفلاحية لفائدة البيئة والاقتصاد والمجتمع. وبعد دراسة وتحليل خصائص ومميزات المخازن الجماعية المدروسة، نستعرض عصارة ما توصلنا إليه وبعض المقترحات من أجل تثمينها.

1-3- النتائج

- شكل تخزين المنتجات الفلاحية عاملا رئيسا من العوامل المتدخلة في تحقيق الأمن الغذائي لقبائل جبال الريف الغربي، وعكست حالة المخازن الجماعية لمدرش القلعة بشمال مدينة شفشاون التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمنطقة، كما جسدت القيم التي ميزت المجتمع المحلي، وبنية النشاط الفلاحي القائم سابقا، أساسا، على بعض الزراعات والمغروسات المثمرة المعيشية، علاوة على أنها تثبت وجود دراية تاريخية بطرق الحفظ والتخزين للحبوب وغيرها بحالة جيدة لعدة سنوات، معبرة بذلك عن قدرتهم على التكيف مع الظروف المختلفة لتحقيق الاستقلال والأمن الغذائيين؛
- كانت المخازن الجماعية المدروسة تتميز بعدة مزايا، حيث أتاحت للاقتصاد والمجتمع والبيئة فوائد كثيرة، إذ أضحت إلى زمن قريب متكيفة مع الظروف الطبيعية وتقلباتها، فعالة، آمنة، تربية، رخيصة وصديقة للبيئة... الخ.
- تزايد الوعي مؤخرا بأهمية المخازن المدروسة، كتراث مادي، لكن ذلك لم يشفع لها للبقاء على قيد الحياة، فأخر وحدة تخزين، والتي سبق ترميمها، هي على وشك الاختفاء إذا لم يتم التدخل عاجلا لصيانتها.

2-3- التوصيات

- إعادة تشكيل وترميم حيز المخازن الجماعية بمدرش القلعة وفق اللوحات والصور والأشرطة التاريخية وتصورات الساكنة، للإبقاء عليها، على الأقل، كتراث مادي شاهد على التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للمنطقة بصون لها ذاكرتها الجماعية وتاريخها التراثي حول مسألة المخازن التقليدية واستغلالها.
- تحفيز وتطوير البحث العلمي حول الطرق التقليدية المحلية لتخزين المنتجات الفلاحية وحفظ المؤن، لما كان لها من فوائد بيئية وصحية ووظيفية.
- التعريف بالمخازن المدروسة أكثر من ذي قبل، كتراث مادي، وجعلها من عوامل التنمية المستدامة، كاستثمارها مثلا في إنعاش السياحة نظرا للاهتمام المتزايد بهذا المنتج السياحي، مع السعي لإدراج هذه المخازن الجماعية، بعد إعدادها والاهتمام بحيطها وفق النسق التقليدي، ضمن مسار سياحي ديدكتيكي جهوي.

خلاصة

ما ينجلي عنه الأمر في هذه الدراسة، أهمية تخزين المنتجات الفلاحية سابقا، كعنصر من العناصر المتدخلة في توفير الغذاء وتأمينه للقبائل، ونؤكد، أساسا، على وزن الطرق التقليدية في أداء هذه الوظيفة، ليس لفعاليتها فحسب، وإنما لفوائدها البيئية والصحية بالأساس، وهو ما كان يميزها عن الهياكل والبدايل الصناعية مؤخرا، لاسيما الحاويات البلاستيكية التي تضر بصحة الإنسان والبيئة على حد سواء. وارتباطا بذلك، نأمل أن يتعمق ويترسخ الوعي لدى السكان والمسؤولين والمؤسسات العلمية... بأهمية إحياء وتشجيع وتطوير العمل بالطرق التقليدية التاريخية في تخزين المنتجات الفلاحية، وأن تقدر الجهات الرسمية هذا التراث المادي المتأصل حق قدره، فتتخذ ما يكفل المحافظة عليه واستثماره في ما يعود بالنفع على الاقتصاد والمجتمع.

التطور التاريخي والتركيب الداخلي لمدينة نابلس، فلسطين

Historical Development and Internal Structure of Nablus City, Palestine

سوسن محمد شركسي - ماجستير الإحصاء التطبيقي وعلم البيانات -

جامعة بيرزيت - فلسطين :ssharkasi@birzeit.edu

د. حسين احمد الريموي - دائرة الجغرافيا - جامعة بيرزيت - فلسطين hrimmawi@birzeit.edu

ملخص:

تتناول هذه الدراسة التطور التاريخي والتركيب الداخلي لمدينة نابلس في فلسطين. ولتحقيق هدف الدراسة استعرض الباحثان من خلال المنهج الوصفي تتبع تاريخ المدينة عبر الحقب الزمنية المختلفة. ولمعرفة التركيب الداخلي لمدينة نابلس فقد تم استخدام التحليل العملي لبيانات الكثير من متغيرات مستويات التعليم ونوع المهنة وفئات الاعمار وحياسة السكن وملكيته وحجم الاسرة. نتج عن استخدام التحليل العملي خمسة عوامل فسرت 87% من التركيب الداخلي لمدينة نابلس. وتبين من الدراسة أن سياسة الاحتلال الاستيطانية أثرت على تحديد وتقييد توسعه المدينة في اتجاهات محددة. هذا بالإضافة الى تقسيم الأراضي الى مناطق أ - ب - ج كان له أثرا بالغا في توجيه امتداد المدينة مما أدى الى تشويه هذا الامتداد وحصره في أماكن معينة.

كلمات مفتاحية: نابلس، تطور تاريخي، تحليل عملي، امتداد مشوه.

Abstract:

This study tackles the historical development and internal structure of Nablus city, Palestine. Descriptive method was used to track the historical development of the city and factor analysis technique was also employed to find its internal structure through variables of education, profession, age, type of resident and its ownership and family size. After using factor analysis, five factors were extracted which explained 87% of Nablus internal structure. The study also revealed that Israeli settlement practices and the political division of land into sub areas of A, B and C were the main reasons behind the distortion of Nablus spatial growth which was consequently directed toward certain areas.

Keywords : Nablus, Historical Development, Factor Analysis, Distorted Expans

المقدمة

تعد المدينة مكانا حيويا يقطن به عدد كبير من السكان الذين هم بدورهم مدنيين بالطبع. يتوزع سكان المدينة في أحيائها حسب مستوياتهم الاجتماعية والاقتصادية وبناء على ما تفرضه الأحوال السياسية التي مرت بها المدينة. تهدف الدراسة الى تحليل التركيب الداخلي لمدينة نابلس بناء على بيانات التعداد السكاني لعام 2017 والتي وفرها الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني والمتضمنة بيانات تغيرات مستويات التعليم ونوع المهنة وفئات الاعمار وحياسة السكن وملكيته وحجم الاسرة كما جاءت على مستوى الاحياء الإحصائية في المدينة لعام 2017. كما تهدف هذه الدراسة الى توضيح أثر الجوانب السياسية التي مرت بها المدينة على تركيبها الداخلي وامتدادها الأفقي.

أهمية الدراسة:

نظرا لقلة الدراسات الحديثة والخاصة في تركيب المدن الفلسطينية، فان هذه الدراسة جاءت لتغطي بعض النقص في هذا المجال حيث انها تتناول التطور التاريخي والتركيب الداخلي لمدينة نابلس اخذين في الاعتبار الظروف السياسية والاقتصادية التي مرت بها المدينة ومقارنة نتائجه مع دراسات سابقة لنفس المدينة.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الى تحقيق الأمور التالية:

1. تتبع التطور التاريخي لمدينة نابلس.
2. تحليل التركيب الداخلي لمدينة نابلس بناء على بيانات تعداد عام 2017.
3. بيان أي من نظريات التركيب الداخلي تنطبق على التركيب الداخلي لمدينة نابلس.

مشكلة الدراسة:

خلال العقود التاريخية الماضية طرأت تغيرات على مختلف الجوانب الديمغرافية والاقتصادية والاجتماعية في مدينة نابلس تبدلت خلالها الحكومات المسيطرة وكان للحروب والهجرة القسرية والهجرة الداخلية من الريف الى المدينة اثرا بالغاً على عدد السكان وكذلك إحداث تغيرات في تركيب المدينة والنواحي الاجتماعية والاقتصادية. وتكمن مشكلة الدراسة في الحاجة الماسة لدراسة تطور المدينة التاريخي ودراسة تركيبها الداخلي وكذلك مقارنة تركيبها الداخلي للعام 2007 مع تركيبها الداخلي للعام 2017. كما ان هناك حاجة ماسة لدراسة مدينة نابلس التي تشهد تطورا عمرانيا كبيرا مع انها محاطة بالمستوطنات الإسرائيلية.

أسئلة الدراسة:

تسعى الدراسة للإجابة على الأسئلة التالية

- كيف تطورت مدينة نابلس تاريخيا عبر العقود الماضية
- ما هو التركيب الداخلي لمدينة نابلس بناء على معطيات عدة متغيرات وهي مستويات التعليم ونوع المهنة وفئات الاعمار وحياسة السكن وملكيته وحجم الاسرة كما جاءت على مستوى الاحياء الإحصائية في المدينة للعام 2017؟
- كيف أثر الاستيطان الإسرائيلي على امتداد مدينة نابلس؟
- أي من نظريات التركيب الداخلي للمدن تنطبق على التركيب الداخلي لمدينة نابلس؟

فرضيات الدراسة:

- تطورت مدينة نابلس تاريخيا تطورا متميزا عبر العقود الماضية تبعا لتغير الحكومات المسيطرة وتبعا لتغير النواحي الاجتماعية والاقتصادية التي مرت بها.

- التركيب الداخلي لمدينة نابلس يعتمد على معطيات عدة متغيرات وهي مستويات التعليم ونوع المهنة وفئات الاعمار وحياسة السكن وملكيته وحجم الاسرة كما جاءت على مستوى الاحياء الإحصائية في المدينة للعام 2017؟
- هناك أثر كبير للاستيطان الإسرائيلي على امتداد مدينة نابلس.
- يتماشى التركيب الداخلي للمدينة مع إحدى نظريات تركيب المدن.

حدود الدراسة:

تشمل الدراسة بيانات 33 متغيراً وهي مستويات التعليم ونوع المهنة وفئات الاعمار وحياسة السكن وملكيته وحجم الاسرة كما جاءت على مستوى الاحياء الإحصائية في المدينة لعام 2017. كما تشمل الدراسة احياء المدينة والبالغ عددها 48 حياً سكنياً كما جاءت من الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني للعام 2017 أيضاً خارطة رقم (1).

خارطة (1): مناطق الاحياء الإحصائية لمدينة نابلس عام 2017



منهجية الدراسة:

اتبعت الدراسة المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي كما يلي:

أ. المنهج التاريخي: تم استخدام هذا المنهج من اجل تتبع التطور التاريخي لمدينة نابلس لعدة قرون وحتى الوقت الحاضر.

وكذلك تتبع الحكومات المختلفة التي سيطرت على المدينة مثل الدولة العثمانية والانتداب البريطاني والحكم

الأردنيوالاحتلال الإسرائيلي ومن ثم الحكومة الفلسطينية.

ب. المنهج الوصفي التحليلي: تم تحليل بيانات التعداد للعام 2017 الخاصة في مدينة نابلس باستخدام طريقة التحليل

العاملية (Factor Analysis) لتحليل بيانات السكان من حيث التعليم والمسكن والمهن وحجم الأسرة والفئات

العمرية باستخدام برنامج التحليل الإحصائي SPSS حيث تستخدم هذه الطريقة الإحصائية التحليلية للبيانات الكبيرة

وتهدف الى تقليل عدد المتغيرات وتجميعها في عوامل نتيجة تحليل معاملات الارتباط بين المتغيرات بحيث تكون قيمة الجذر

الكامن (Eigen Value) للعوامل المعتمدة تساوي واحد صحيح او أكثر ويتم إهمال العوامل التي قيمة الجذر الكامن

لها اقل من واحد صحيح.

الإطار النظري والدراسات السابقة:

التركيب الداخلي للمدن:

تعد دراسة التركيب الداخلي للمدينة دراسة لاستعمال الارض ضمن مجالات متنوعة كاستعمال السكني والترفيهي

والصناعي والتجاري والتعليمي والصحي وغيرها منالاستعمالات. ويعتمد استعمال الارض على كثافة وتوزيع السكان

والمنشآت. لذلك قام الباحثون بدراسة الكيفية التي يتوزع بها السكان في أماكن المدينة المختلفة ونتج عن تلك الدراسات

نظريات أطلق عليها نظريات تركيب المدن ومن أهمها النظريات التالية:

1. نظرية الدوائر المتراكزة:

حيث عرف الباحث الأمريكي ارنستبيرجس (Burges) نظرية الدوائر المتراكزة على أن المدن تتوسع من مراكزها باتجاه

الأطراف على شكل حلقات نحو أطرافها (المنيس، 1994).

2. نظرية القطاعات:

وضح هويت (Hoyt) نظريته التي تفيد ان توسع المدينة يأخذ الشكل القطاعي او المحاور وليس حلقات كاملة الاستدارة. في هذه النظرية يتم توسع المدينة على امتداد المواصلات ابتداء من مركزها. وعرف هذا النوع باسم النمو المحوري واما النوع الثاني فيسمى النمو المركزي حيث تتجمع الطبقات الاجتماعية حول المركز التجاري كل منها على انفراد مشكلة قطاع. ومن خلال تحليل متوسط قيمة إيجار المساكن في هذه المدن توصل الى ان كل قطاع يتميز بقيمة إيجار تميزه عن غيره من القطاعات. فقيمة الايجار في ضواحي المدن هي الأعلى وربما تكون على شكل اسافين منطلقة من مركز المدينة. اما مناطق الايجار المتوسطة فتوجد بجانب مناطق مرتفعة الايجار الا ان مناطق الايجار المنخفض فتتوزع في كافة ارجاء المدينة (أبو صبحه، 2003؛ أبو علان، 2007).

3. نظرية النوى المتعددة:

تتلخص هذه النظرية التي جاء بها كل من هاريس واولمان في ان المدن تتكون من نوى متعددة تتمثل بوجود مراكز تجارية او تجمعات منفصلة لكل نواة ومع مرور الزمن يتم امتلاء الفواصل بينها وربما تنشأ مراكز جديدة او ضواحي مستقلة. يعد العامل الاقتصادي أهم عامل يؤثر في ظهور نوى متعددة في المدينة الواحدة بالإضافة إلى ارتباط بعض النشاطات مع بعضها البعض (أحمد، 2014).

بعد منتصف القرن العشرين شاع لدى الباحثين اجراء بحوث تناولت التركيب الداخلي للعديد من مدن العالم. واخرج الباحثون نماذج لقارات أوروبا وأمريكا اللاتينية وجنوب شرق آسيا وأفريقيا جنوب الصحراء والمدينة الإسلامية ومدينة المجر. فعلى سبيل المثال أظهر نموذج افريقيا جنوب الصحراء بان مدنه سريعة النمو ولكنها اقل تحضرا عن غيرها ويعود ذلك في انشاء مراكزها الى المستعمرات سواء كانت على شكل موانئ او مدن داخلية. وقد تميزت كل مدينة بوجود ثلاثة مراكز وهي مركز غير تقليدي وسوق موسمي ومنطقة تجارية انتقالية. وينطلق من مركز المدينة قطاعات تسكنها أقليات اثنية وقطاعات مختلطة الاثنيات. وفي بعض المدن تظهر عمليات التعدين والتصنيع، اما العشوائيات فتبرز في أطراف المدن (Donaldson, 2001, 16-20).

اما النموذج الأوروبي فيتميز بوجود مركزا للمدينة يكتظ بالمناطق السكنية ونشاطات المجتمع المختلفة وأماكن العبادة وتجارة التجزئة. ينمو مركز المدينة الأوروبي مع الزمن نحو الخارج بدون تخطيط. الا ان الأغنياء يحتفظون باحياء خاصة بهم في المركز. ولكن بعد الثورة الصناعية أصبحت المدن الأوروبية جاذبة لسكان الريف الذين قدموا اليها باحثين عن العمل، ولذلك اقام هؤلاء الفقراء احياء ذات كثافة سكانية مرتفعة وكأنها تعيش فترة ما قبل الثورة الصناعية. وفي جهات أخرى خارج المدينة نشأت مناطق صناعية حديثة وبجانبيها ضواحي. إضافة الى ذلك هاجر للمدن الأوروبية مهاجرين قدموا من المستعمرات الأوروبية قبل وبعد الحرب العالمية الثانية وهؤلاء شاركوا في إعادة اعمار المدن والبنية التحتية الأوروبية المهدامة (Adam & Fritzsche, 2012, 105- 107).

يتميز نموذج المدينة الإسلامية بمسجد كبير وسطها وتحيط به منطقة السوق ثم تأتي المناطق السكنية بشكل دائري ويتخللها بعض الضواحي التي يحتوي كل منها على مسجد وسوق وحمامات. وفي الخارج يوجد السور الذي يحمي سكان المدينة ويحيط بها كالسوار. وفي خارج السور يوجد السوق الأسبوعي ومقابر المسلمين ومقابر المسيحيين Hayaty & Monikhi, 2015, 933-954).

اما تركيب المدينة في أمريكا اللاتينية فقد جاء به كل من Griffin & Ford وهذا النموذج يجمع بين النمط التقليدي ومظاهر العولمة الحديثة وتمثل فيه كل من نموذج الدوائر ونموذج القطاعات وهذان النموذجان أبرزتا دور مركز المدينة المزدهر وخاصة عموده الفقري وهو التجارة. وفي هذا النموذج تتناقص نوعية المساكن كلما اتجهنا الى أطراف المدينة (Crowley, 1998, 127-130).

وفي جنوب شرق آسيا جاء (Mc Gee, 1967) بنموذج يتميز بنقطة ارتكاز تتمثل في موقع الميناء الذي انشأه المستعمر مع العلم ان الكثير من مدن هذه المنطقة لم تنطلق في نموها من موانئ. تنطلق مدن جنوب شرق آسيا نحو الأطراف على شكل قطاعات تحتلها المؤسسات الحكومية يتبعها في نفس الاتجاه احياء الأغنياء ومن ثم احياء السكان حديثي الثروة. وبعد ذلك تنطلق قطاعات احياء الطبقة الوسطى الاكثر اتساعا من حيث المساحة فتشكل احياء سكنية مختلطة الأعراق والمستويات المادية وبجانبيها قطاعات احياء المهاجرين الأجانب. تتشكل ضواحي الأغنياء في أطراف

المدينة ورغم ذلك تجاورها احياء العشوائيات وتكون على هيئة انصاف دوائر وفي خارج المدينة تتواجد مناطق تخصص للمنتجات الزراعية اللازمة لسكان المدينة.

وأخيرا جاء نموذج مدينة المجرة (Galactic City) وفيه يظهر في وسط المدينة القديم تجمعات سكنية اثنىة مختلطة ومتجاورة كما يجاورها مناطق سكن الناس المهمين وكل هذه التجمعات ترتبط ارتباطا كبيرا بطرق المواصلات. اما أطراف المدينة فتتشكل مناطق مدنيه محاطة بحراسة ويجاورها مراكز تسوق كبيرة. وفي بعض انحاء الأطراف تتواجد مناطق صناعية ومناطق ترفيهية وصناعات تقنية حديثة ومنها الصناعات الفضائية (Dee Ann, 2021)

دراسات السابقة بشأن التركيب الداخلي للمدن:

تناول عدد من الباحثين الفلسطينيين موضوع التركيب الداخلي لمدن فلسطينية ومن هذه الدراسات ما قامت به الأحمد، (2014) مندراسة تحليل للتركيب الداخلي لمدينة نابلس تبعا لبيانات التعداد للعام 2007 باستخدام التحليل العملي. وقد توصلت الدراسة الى أن طبوغرافية المدينة حددت اتجاهات النمو والتوسع وأيضا بناء المستوطنات كان له دور في اتجاهات التوسع، وكذلك خلصت الدراسة الى تحليل تركيب المدينة الداخلي من خلال ستة عوامل.

ومن ناحية أخرى فقد قام الريماوي (2007) بدراسة تحليل التركيب الداخلي لمدينتي رام الله والبيرة في فلسطين. واستخدم التحليل العملي للمتغيرات الخاصة في المستوى التعليمي والمستوى المهني للسكان بناء على بيانات التعداد للعام 1997 مشيرا لأهمية استخدام التحليل العملي لدراسة التركيب الداخلي وقد نتج بناء على استخدام التحليل العملي اربعة

عوامل مشبعة بحيث جذرها الكامن يساوي واحد صحيح أو أكثر، أطلق على العامل الأول مسمى تعليم متدن ومهن دنيا وقد فسر 33% من التركيب الحضري لمدينتي رام والبيرة، اما العامل الثاني فقد أطلق عليها مسمى تعليم عال ومهن عليا وقد فسر 23% من التركيب الداخلي للمدينة، والعامل الثالث أطلق عليه مسمى العمال الفنيون والكتابة وفسر 7% من

التركيب الداخلي، أما العامل الرابع فكان باسم عمال مهرة وزراعيون وفسر 6% من التركيب الداخلي لمدينتي رام الله والبيرة. ومن نتائج هذه الدراسة في أنه نظرا لامتداد المدينتين الافقي فقد أحاطت الاحياء الجديدة بمنطقتي الصناعة

للمدينتين وهذا يعني ضرورة نقلهما الى الخارج. وكذلك بينت الدراسة انه من الصعب بناء على البيانات المتوفرة لديها تحديد نظرية التركيب الداخلي التابعة لها المدينة.

أجرى أبو علان (2007) دراسة عن مدينة الظاهرية في فلسطين تضمنت تحليل التركيب الداخلي والتطور الحضري خلال فترات زمنية متتالية، واستخدم طريقة التحليل العاملي لتوضيح التركيب الداخلي للمدينة. نتج عن هذه الدراسة خمسة عوامل مشبعة فسرت 58% من التركيب الداخلي للمدينة وهي الأسر الميسورة و فسر 22.5%، والعامل الثاني الأسر الميسورة المثقفة وفسر 10% من تركيب المدينة، والثالث الأسر الفقيرة حيث كانت نسبة تفسيره لتركيب المدينة 10%، بينما العامل الرابع الذي كان باسم الأسر كبيرة الحجم فسر 8% من التركيب الداخلي، وأخير العامل الخامس أسر العمال فسر 7% من تركيب المدينة. أفاد الباحث الى أن تركيب المدينة الداخلي لا ينتمي الى أي من نظريات التركيب الداخلي حيث كان التطور الحضري للمدينة عشوائيا.

كما قام علاونة (2004) باستخدام طريقة التحليل العاملي لأنماط استخدام الأرض في بعض قرى مدينة نابلس ودراسة التركيب الداخلي لهذه القرى وقد تم استخدام التحليل العاملي في دراسة التركيب الداخلي لقرى مدينة نابلس بناء على المتغيرات التي تم جمعها نتيجة لتوزيع استبانة على السكان، وبلغ عدد المتغيرات 65 متغير تم استخلاص خمسة عوامل وهي تركيب الاسرة والخصائص العائلية والخدمات والعامل الاقتصادي والاجتماعي وخصائص المسكن. على مستوى الوطن العربي أجريت عدة دراسات ومنها دراسة دغرة وآخرين (2020) التي هدفت الى مقارنة التباين في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لمدينة عمان بناء على بيانات التعداد السكاني للعام 2015 مع بيانات العام 1979. وتم استخدام طريقة التحليل العاملي ل 38 متغيرا. اتضح ان هناك عاملين فسرا التباين في احياء في مدينة عمان وهما العامل الاجتماعي وفسر 56.8% والعامل الاقتصادي الذي فسر 28.7%، وكذلك بينت الدراسة وجود احياء جديدة في المدينة وكان التمرکز الاجتماعي والاقتصادي في الجهة الغربية من المدينة.

بالإضافة الى ذلك ما قدمه فخرو (1997) من دراسة لاستعراض نماذج التركيب الداخلي للمدن ومقارنتها مع التركيب الداخلي لمدينة الدوحة حيث تم استخدام المنهج النظري المقارن لدراسة نموذج التركيب الداخلي لمدينة الدوحة، واتضح

من الدراسة اهمية النماذج الحضرية في دراسة التركيب الداخلي، وأن هناك عوامل تؤثر على تركيب المدن الداخلي منها النظم والقوانين التخطيطية وكذلك العوامل الاقتصادية.

واستخدم الليمون، (2004) طريقة التحليل العملي والخرائط الجغرافية في دراسة التركيب الداخلي لمدينة مادبا في الأردن، وتم استخلاص خمسة عوامل فسرت ما نسبته 53.52% من تركيب المدينة الداخلي، وقد نتجت الدراسة الى ان تركيب مدينة مادبا بعيد عن نظريات التركيب الداخلي التي فسرت المدن الغربية كما ان عامل التركيب العشائري أثر على تركيبها الداخلي.

إن من أهم الأسباب المؤثرة على تركيب المدن الداخلية الفلسطينية هو وجود المستوطنات الاسرائيلية حولها. فكما جاء في تقرير وحدة السياسات والمشاريع التابع لوزارة العمل، الفلسطينية (2014)، فان الانتشار الجغرافي للمستوطنات خططت له الحكومة الاسرائيلية بحيث قسمت مناطق الانتشار بأن يضم القطاعالشرقي للضفة الغربية منطقتي طوباس والأغوار والقطاع الجبلي ويضم مدن نابلس، ورام الله، والقدس وبيت لحم، والخليل. وهذا يعني السيطرة على سلسلة طرق المواصلات التي تربط المدن الكبرى. اما قطاع التلال الغربية التي تضم أجزاء من تلال محافظات جنين وطولكرم وقلقيلية وسلفيت ورام الله والقدس يؤثر ووجود المستوطنات على اتجاه توسع المدن مما يؤدي الى تشويه مشهدها الطبيعي والعمراني والبشري.

لقد اختص هذا البحث بدراسة تركيب مدينة نابلس نتيجة للتطور التاريخي والامتداد الحضري لها حيث أفادت دراسات كثيرة عن غنى تاريخ مدينة نابلس واحداثه المتنوعة التي ادت الى تطورها الحضري فقد تضمن بحث علاونة سرد تاريخي لمستلمي امانة الحج في مدينة نابلس منذ بداية الفترة العثمانية حتى عام 1915 والتقسيم الاداري للمدينة في تلك الفترة. فقد عرض البحث صورة حقيقية عن موقع مدينة نابلس الاستراتيجي حيث كانت في الفترة العثمانية مركزا تجاريا وصناعيا، فكان لمدينة نابلس حصة في إمارة قوافل الحج من قبل عائلات مثل طوقان والنمر وآل فروخ وغيرهم، وكان لمرور قوافل الحج من المدينة دور كبير في تعزيز اقتصادها، حيث في دورة عودة الحجاج الى مدتهم وقراهم كانوا يستريحون في مدينة نابلس مما أيضا أثر على الجانب العمراني بها إذ أنشأوا الخانات مثل خان الفروخي وعدد من الوكالات والفنادق

وكذلك زيادة في عدد الحمامات العامة. وبما أن إمارة الحج كان بيد أمراء مدينة نابلس فهذا أغنى الجانب الصناعي بها فقد عززت وقتها صناعة الفخار والجلود لتوفير المياه للحجاج وايضا صناعة الصابون. فقد كان الحج موسما تجاريا للمدينة لبيع ما تحمله القوافل من بلاد فارس في اسواق نابلس وبالتالي كانت تسترد المدينة ما كان يترتب عليها من مبالغ مالية للجردة التي كانت تؤخذ من المزارعين في الريف وهذا يسלט الضوء على احد سلبيات إمارة الحج وهو تدهور وضع الريف في المدينة. ونتيجة لهذا النشاط التجاري في المدينة الذي يمتد طوال السنة نتيجة لقوافل الحجاج فقد ازداد عدد سكانها (علاونة، 2004).

نبذة تاريخية وجغرافية وديموغرافية عن مدينة نابلس:

جغرافيا يحتضن الوادي الذي يقع بين جبلي جرزيم جنوبا وعبال شمالا مدينة نابلس. كما أن امتدادها العمراني تسلق سفحيهما الى ان وصل الى قمة كل منهما. إضافة الى تميزها بموقعها الاستراتيجي الذي يتوسط إقليم المرتفعات الجبلية. وتلقب بقلب فلسطين لأنها تربط شمالها بجنوبها وغربها بشرقها فهي تبعد 69 كم عن مدينة القدس وتعد مفترق طريق رئيسي يمتد من الناصرة وجنين شمالا الى الخليل جنوبا، وغربا من مدينة يافا الى مدينة اريحا شرقا (الموسوعة الفلسطينية، 2015). وإضافة لموقعها المتميز فإنها تمتاز بوجود ينابيع المياه في سفوح جبلي عبال وجرزيم ومن أهم هذه الينابيع نبع رأس العين، ونبع بيت الماء، وعين الدفينة وعين الصبيان وعين القريون وعين العسل. كانت هذه الينابيع تكفي حاجة سكان نابلس قديما ولكن مع ازدياد اعداد السكان أصبحت تعتمد بشكل كبير على المياه الجوفية المستخرجة من وادي الباذان وآبار دير شرف.

من حيث التطور التاريخي لمدينة نابلس فتعود في بنائها الى الكنعانيين الذين أطلقوا عليها مسمى شكيم الذي يعني المنطقة المرتفعة التي تتمتع بالعزة وعدم الانقياد. وقد شهدت في القرن الرابع الميلادي مكانة مزدهرة واصبحت مركزا للأسقفية المسيحية. ونتيجة للاضطرابات بين المسيحيين واليهود في المدينة فقد تم طرد اليهود منها. وما بين سنتي 71-72 م تم بناء مدينة جديدة الى الغرب من مدينة شكيم بعد سيطرة الرومان عليها وهدمها بناء على أمر من الامبراطور فيسيسيان وأطلق عليها اسم نيابولوس.

جاء مسمى مدينة نابلس في رسائل تل العمارنة وفي تقارير الحاكم المصري تحتمس الثالث الذي عاش في الفترة ما بين 1479 الى 1425 قبل الميلاد. ورد مسماها في رسائل تل العمارنة على انها شاكمي الذي تحول فيما بعد الى شكيم وهو مسمى كنعاني اصيل. وتعرضت نابلس لغزو بابل أكثر من مرة الا ان الملك الاشوري اداد نيراري الثالث (805-782 ر.ق. م.) كان اول حاكم ذكر اسم فلسطين في كتاباته (أبو حلو، 2010)

استمر الصراع على فلسطين بين بلاد الرافدين ومصر فترات طويلة. كما ان نبوخذ نصر الكلداني حوالي 600 ق. م. (باقر، 1973). وفي عام 539 ق. م. خضعت نابلس كبقية أجزاء فلسطين لحكم الفرس وهؤلاء بدورهم عادوا اليها من عام 614 م الى 629م. اما الحكم اليوناني فقد امتد من عام 332 ق. م. الى عام 63 م. وقد امتد حكم الرومان الغربيون والشرقيون من عام 63م وحتى عام 614م. الى 638م. وفي هذا العام أصبحت تحت الحكم العربي الذي امتد متواصلا حتى عام 1099م حيث وقعت فلسطين تحت حكم الفرنجة حتى عام 1187م حين حررها القائد صلاح الدين الايوبي وبقيت على هذا الحال حين احتلها العثمانيون عام 1517م وبقيت تحت حكمهم حتى عام 1917م حين احتلها الإنكليز. وهؤلاء بقوا فيها حتى عام 1948م حيث تم انشاء دولة إسرائيل التي سيطرت على 78% من ارض فلسطين الانتدابية (وكالة الانباء والمعلومات الفلسطينية، 2022). الا ان نابلس أصبحت كسائر انحاء الضفة الغربية منذ ذلك التاريخ وحتى عام 1967م جزءا من المملكة الأردنية الهاشمية. ومنذ عام 1967م وحتى عام 1994م رزحت نابلس للحكم العسكري الإسرائيلي وبعد ذلك عادت لحضن الدولة الفلسطينية حتى الوقت الحاضر. سيتم القاء الضوء على مدينة نابلس ابتداء من عام 1948 وحتى الوقت الحاضر.

نابلس في الفترة بين 1948 الى 1967

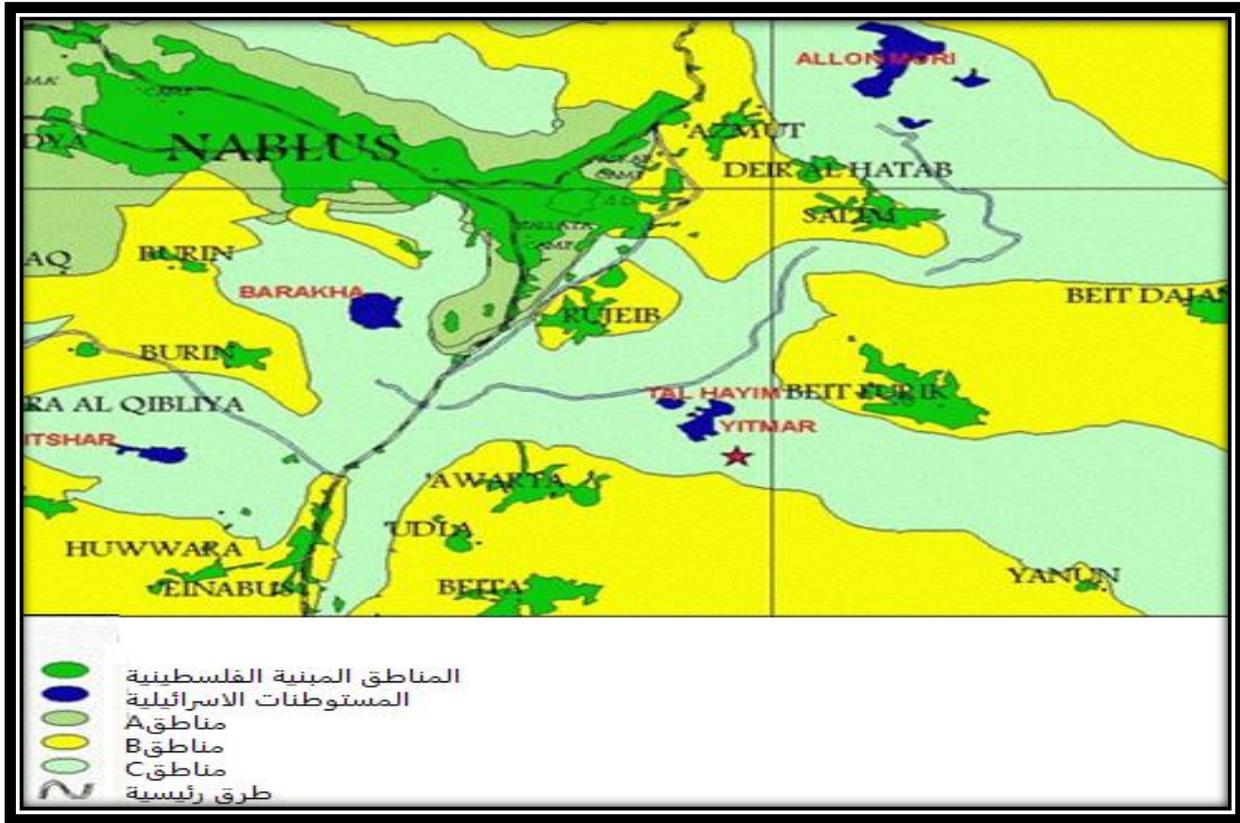
كما ذكر سابقا أصبحت مدينة نابلس تحت الحكم الأردني منذ عام 1948م وحتى عام 1967م. إثر حرب عام 1948م وفقدان 78% من ارض فلسطين والتهجير القسري لحوالي 800000 فلسطيني من ارضهم وقد لجأ الى نابلس الكثير من هؤلاء حيث أنشئ لهم ثلاثة مخيمات لجوء هي بلاطة وعسكر وعين بيت الماء. كان لهذا اللجوء سبب في زيادة عدد سكان المدينة. فعلى سبيل المثال كان عدد سكان مدينة نابلس عام 1945م أي قبل النكبة حوالي 35000

نسمة وفي عام 1961م قفز عدد السكان الى 4600 نسمة وهذه الزيادة ناتجة عن القدوم المفاجئ للاجئين وكذلك نتيجة للزيادة الطبيعية للسكان والهجرة من الريف الى المدينة. تشتهر مدينة نابلس بصناعة صابون زيت الزيتون وكذلك انتاج الزيوت القادمة اليها من ريفها الذي يشتهر بزراعة شجر الزيتون والكروم بمختلف أنواعها. ومما يجدر ذكره ان عدد مصانع الصابون (المصابن) بلغت حوالي ثلاثين مصنعا (الحلو، 2008). كما تشتهر مدينة نابلس بصناعة الحلويات المختلفة التي تستهلك محليا وتصدر الى خارج فلسطين أيضا.

نابلس في الفترة بين 1967م وحتى عام 1994م:

وقعت نابلس مثلها مثل بقية أنحاء الضفة الغربية تحت الاحتلال الإسرائيلي إثر حرب عام 1967م. ونتيجة لهذا الاحتلال هاجر حوالي عشرة الاف نسمة من سكان المدينة الى خارج فلسطين (الحلو، 2008). ونتيجة لهذا الاحتلال البغيض تقلص النشاط الاقتصادي في المدينة حيث أصبحت الضفة الغربية مغلقة تماما امام حركة السكان والبضائع سواء للتصدير او الاستيراد. كما انه منذ الوهلة الأولى للاحتلال العسكري الإسرائيلي لنابلس بدأت عمليات استيطانية كثيفة حول المدينة. وقد بلغ عدد المستوطنات في محافظة نابلس ثلاثة عشر مستوطنة يسكنها حوالي 18500 مستوطن. اما عدد البؤر الاستيطانية فقد بلغت 43 بؤرة، و 27 قاعدة عسكرية و 62 حاجزا عسكريا و 131 كيلو مترا من الطرق الالتفافية (مركز رؤيا للتنمية السياسية، 2019). تركز الاستيطان الإسرائيلي حول المدينة في ثلاث جهات هي الشرق والجنوب والشمال وكان لذلك تداعيات امتداد المدينة التي أصبحت تتمدد نحو المنطقة المتاحة وهي الغرب، خرطة رقم (2).

خريطة رقم (2) احاطة الاستيطان بمدينة نابلس وتقسيم الأراضي الى A و B و C.



المصدر: POICA, 2022

مدينة نابلس في ظل الدولة الفلسطينية: 1994 حتى الوقت الحاضر:

بعد توقيع اتفاقية أوسلو عام 1993م بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل أصبحت نابلس كغيرها من المدن الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة تحت حكم السلطة الوطنية الفلسطينية كونها صنفت على أساس انها مناطق أ. اما مناطق ب في المحافظة فقد أصبحت إداريا تابعة للسلطة الوطنية الفلسطينية وأمنيا تابعة لإسرائيل اما مناطق ج فقد بقيت تابعة للاحتلال الإسرائيلي إداريا وأمنيا. الا ان الحكومة الفلسطينية تقدم خدماتها خاصة التعليمية والصحية لسكان مناطق ج. الا انه نتيجة لفشل مفاوضات السلام بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل تحت الرعاية الامريكية عام 2000م انطلقت انتفاضة فلسطينية ثانية أطلق عليها مسمى "انتفاضة الأقصى" وكان ذلك ردا على اقتحام شارون لباحات المسجد الأقصى مباشرة بعد فشل مفاوضات واشنطن. بعد انطلاق فعاليات انتفاضة الأقصى من قبل أبناء الشعب الفلسطيني قامت إسرائيل بحصار واغلاق كامل لمدينة نابلس مثلها مثل بقية المدن الفلسطينية الأخرى. استمر

حصار مدينة نابلس حتى عام 2007م وقد واجه سكان المدينة وانشطتها الاقتصادية المختلفة تدهورا كبيرا. الا انه بعد عام 2007 أزيل الحصار والاغلاق الإسرائيلي عن المدينة التي اخذت تتعافى سكانيا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا وصاحب ذلك نشاط عمراني كبير وامتدت المدينة نحو أطرافها حيث أنشئت أحياء جديدة.

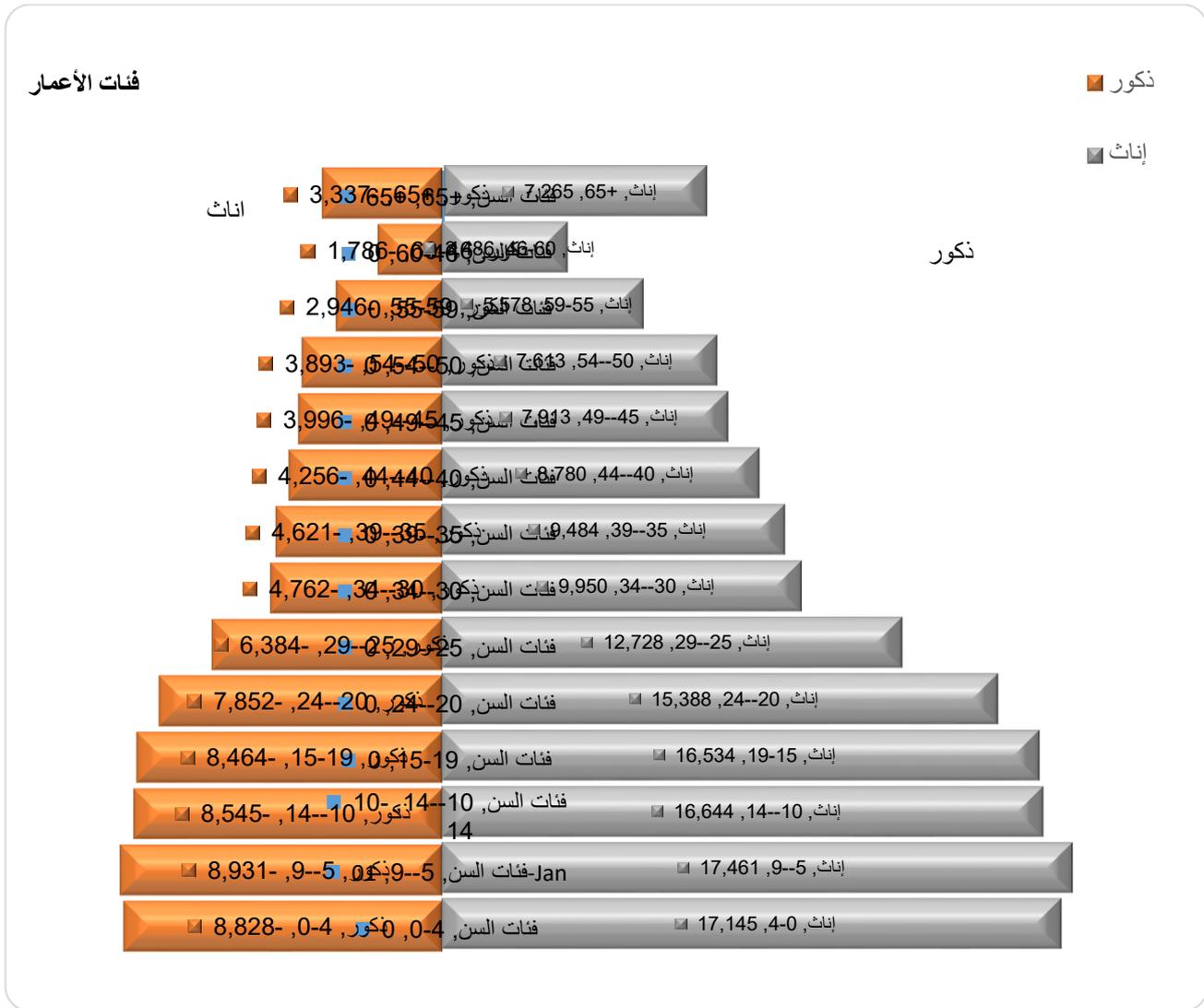
نبذة ديمغرافية عنمدينة نابلس:

عندما أصبحت بريطانيا منتدبة على فلسطين عام 1922م بقرار من عصبة الأمم قامت بأجراء احصائي للنفوس في فلسطين. ولقد اتضح من هذه الإحصائية ان عدد سكان فلسطين بلغ 16000 نسمة في ذلك العام جدول رقم (1). وقد اعادت اجراء التعداد السكاني عام 1831م حيث ارتفع عدد السكان الى 17000 نسمة وهذا ناتج عن الزيادة الطبيعية للسكان. استمر عدد السكان بالزيادة ليصل الى 23000 نسمة عام قبيل النكبة أي عام 1945م. وفي عام 1961م بلغ عدد سكان المدينة 46000 وذلك حسب ما جاء نتيجة لإحصاء السكان الذي قامت به الحكومة الأردنية. تعود الزيادة الكبيرة الى الزيادة الطبيعية للسكان والى قدوم الالاف من اللاجئين الفلسطينيين الذين طردوا من ديارهم قسرا عام 1948م، وكذلك الهجرة من الريف للمدينة لأنها ازدهرت في مجالات التعليم والتجارة وصناعات الزيوت النباتية والحرف. استمرت الزيادة السكانية في المدينة حتى وصل عدد السكان الى 126000 عام 2007. وبعد انفكك حصار واغلاق مدينة نابلس عام 2007م بدأ النشاط الاجتماعي والاقتصادي والتعليمي والصحي والعمراني يعود الى المدينة شيئا فشيئا وصاحب ذلك هجرة سكانية نحوها من مختلف أرجاء المحافظة ولذلك بلغ عدد سكان المدينة عام 2022م حوالي 171000 نسمة أي بزيادة قدرها 45000 نسمة. جدول رقم (1). بالنسبة لتوزيع سكان المدينة حسب النوع فيتضح من شكل رقم (1) ان اعداد الذكور أعلى من الاناث. ويعود السبب الى ان مدينة نابلس تستقطب الكثير من العاملين العزاب من المناطق المجاورة والذين يعملون في مختلف المهن. كما ان مدينة نابلس تحتوي على الكثير من مؤسسات التعليم العالي التي تستقطب شباب صغار السن وهم عزاب أيضا وهؤلاء يقطنون المدينة لتلقي العلم. ومن ناحية أخرى يتضح ان

قاعدة الهرم السكاني للمدينة عريضة وهذا يشير الى مجتمعها هو مجتمع فتي لان الشعب الفلسطيني يشجع الانجاب وكذلك هجرة صغار السن للمدينة يلعب دورا في فتوة مجتمع مدينة نابلس.

الجدول رقم (1): تطور سكان مدينة نابلس منذ بداية القرن العشرين وحتى الوقت الحاضر

المصدر	تعداد السكان	
Barron, J. B. 1922.	16000	1922
Mills, E. 1932.	17000	1931
الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2011	23000	1945
الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2011	46000	1961
الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2011	60000	1980
الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2021.	100000	1997
الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2021.	126000	2007
الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2021.	156000	2017
الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2021.	171000	2021



شكل رقم (1) الهرم السكاني لمدينة نابلس للعام 2017

التحليل العاملي (Factor analysis):

يهدف التحليل العاملي الى تحليل البيانات بناءً على مصفوفة الارتباط، بحيث يتم اختزال بيانات المتغيرات المشاهدة الى عدد قليل من العوامل وهذا يساعد على تفسير الظاهرة المدروسة. يتم تحديد العوامل المهمة من خلال ما يطلق عليه بالجذر الكامن (Eigen Value) وهو عبارة عن مجموع تربيع المتغيرات التي اشبعت (loaded) على كل عامل. يتم اعتبار أي عامل مهم إذا كانت قيمة جذره الكامن تساوي الواحد صحيح فما فوق، وفي نفس الوقت تستبعد العوامل التي جذرها الكامن اقل من الواحد الصحيح. اما من حيث تشبعات المتغيرات على العوامل المختلفة فيتم احتسابها إذا كانت قيمة تشبعها تساوي 0.50 وتستبعد المتغيرات ذات التشبع الأقل من 0.50. إضافة الى ذلك يوفر التحليل

العالمي النسب المئوية التي يساهم بها كل متغير في تركيب المدينة وكذلك مجموع ما تفسره العوامل المستخرجة من تباين للتركيب الداخلي للمدينة او تباين الظاهرة المدروسة. كما ان التحليل العاملي يوفر تشبعات احياء المدينة على كل عامل ومن خلال هذه التشبعات يمكن تحديد تشابه او اختلاف تلك الاحياء على خارطة احياء المدينة. وبالتالي يمكن تفسير الكيفية التي يتوزع بها سكان المدينة من خلال المتغيرات الداخلة في الدراسة. وفي هذه الدراسة تم توزيع تشبعات احياء المدينة الإحصائية كما يلي:

- من 0-0.99 تشبع منخفض
- من 1-1.99 تشبع متوسط
- من 2.00 فأكثر تشبع مرتفع

التحليل العاملي لبياناتمتغيرات مدينة نابلس:

اشتملت بيانات البحث على متغيرات الفئة الحالة التعليمية والمهنة وحيازة المسكن ونوع المسكن المأهول والفئات العمرية لسكان مدينة نابلس. بلغ عدد المتغيرات 33 متغيرا. تم الحصول على بيانات هذه المتغيرات من الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني للعام 2017 على مستويات الاحياء الإحصائية التي بلغ عددها 48 حيا. ومن حيث المتغيرات الداخلة في الدراسة فهي كما يلي:

- الفئة العمرية وتضمنت الآتي:
- صغار السن: السكان من عمر 0-14عام
- متوسطو السن: السكان من عمر 15-64 عام
- كبار السن وهؤلاء أعمارهم 65 عاما وأكثر.
- الحالة التعليمية وتضمنت: أمي، ملم، ابتدائي، إعدادي، ثانوي، دبلوم متوسط، بكالوريوس، دبلوم عالي، ماجستير، دكتوراه.

- المهنة الرئيسية واشتملت: المدراء، الاختصاصيون، الفنيون ومساعدو الاختصاصيون، الكتبة، العاملون في البيع والخدمات، العمال المهرة في الزراعة وصيد الأسماك، العاملون في الحرف والمهن، مشغلو ومجمعو الآلات والمعدات، المهن الأولية.
- حيازة المسكن واشتملت: ملك، مستأجر غير مفروش، مستأجر مفروش، دون مقابل، مسكن مقابل عمل.
- المساكن المأهولة: فيلا، دار، شقة، غرفة مستقلة، خيمة، براكيه/كرفان/بركس.

نتائج التحليل الإحصائي (العالمي) لبيانات الدراسة:

بعد استخدام التحليل العامليتم الحصول على خمسة عوامل والجذرالكامن لكل منها أكبر من واحد صحيح وتفسر هذه العوامل 87% من التركيب الداخلي لمدينة نابلس، وتدل هذه النسبة على أهمية المتغيرات المستخدمة وفعاليتها، وتبقى 13% من تركيب المدينة ويمكن تفسيره بمتغيرات غير داخلية في الدراسة. يوضح الجدول رقم (2) العوامل المستخرجة وتشبعات المتغيرات المختلفة والجذر الكامن لكل عامل ونسبة تفسير كل منها من تركيب المدينة الداخلي.

جدول (2): العوامل المستخرجة وجذورها الكامنة ونسب مساهمات كل عامل في تركيب المدينة.

الجذر الكامن			العامل
القيمة التراكمية	نسبة التباين %	الجذر الكامن	
64.533	64.533	20.651	العامل الأول
75.652	11.119	3.558	العامل الثاني
79.926	4.274	1.368	العامل الثالث
83.773	3.847	1.231	العامل الرابع
87.149	3.375	1.080	العامل الخامس

يبين الجدول رقم (3) قيم تشبع المتغيرات على كل عامل ويتم اعتماد التشبع الأعلى للمتغير فيما إذا كان له تشبع على

أكثر من عامل.

الجدول (3): قيمتشیع المتغیرات علی العوامل المستخرجة

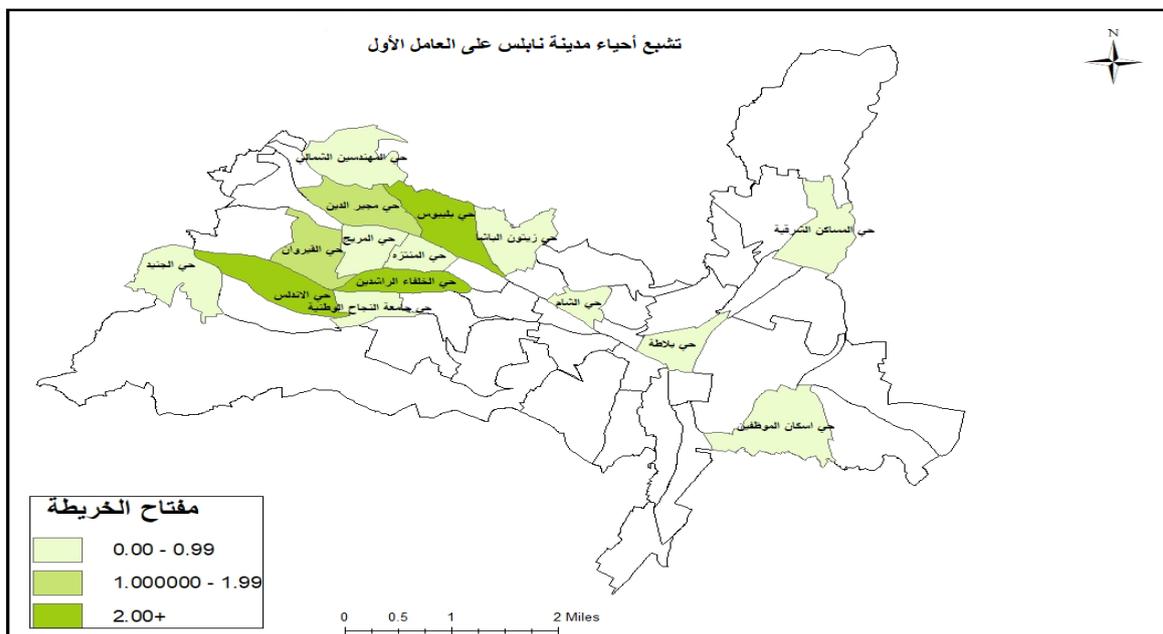
العامل الخامس	العامل الرابع	العامل الثالث	العامل الثاني	العامل الأول	متغیرات الدراسة
3.375	3.847	4.274	11.119	64.533	
			0.744		صغار
			0.723		متوسطو السن
			0.655		كبار السن
				0.718	ملك
			0.690		مستأجر غير مفروش
				0.733	مستأجر مفروش
		0.764			السكن دون مقابل
	0.677				السكن مقابل عمل
0.675					فيلا
			0.632		دار
				0.744	شقة
		0.795			غرفة مستقلة
-0.757					براكیه كرفان برکس
			0.844		أمي
			0.876		ملم
			0.882		ابتدائي
			0.812		إعدادي
				0.721	ثانوي
				0.821	دبلوم متوسط
				0.914	بكالوريوس
				0.892	دبلوم عالي
				0.952	ماجستير
				0.930	دكتوراه
				0.819	المدرء
				0.922	اختصاصيون
				0.859	الفنيون ومساعدو الاختصاصيون
				0.817	الكتابة
			0.692		العاملون في البيع والخدمات

	0.467			العمال المهرة – الزراعة – صيد الأسماك
		0.915		العاملون في الحرف
		0.761		مشغلو ومجمعو الآلات
		0.868		المهن الأولية

ومن خلال تشبعات المتغيرات على العوامل يمكن إطلاق مسمى لكل عامل. ومن حيث العوامل المستخرجة فهي كما يلي:

العامل الأول: وأطلق عليه مسمى ذوو التعليم العالي والمهن العليا، بجزر كامن يبلغ 11، وبقيمة تباين تبلغ 64.5%، مما يعني أن المتغيرات التي أشبعت على هذا العامل تفسر 64.5% من التركيب الداخلي لمدينة نابلس. ومن حيث التشبعات فقد شبع على هذا العامل ثلاثة عشر متغيراً، منها ستة متغيرات تعليمية وهي ثانوي، ودبلوم متوسط، وبكالوريوس، ودبلوم عالي، وماجستير، ودكتوراه. ومتغيران لحيازة المسكن وهما ملك، ومستأجر مفروش. ومتغير الشقة من حيث طبيعة المساكن المأهولة. وأربعة متغيرات مهنة وهي المدراء، والاختصاصيون، والفنيون ومساعدو الاختصاصيون، والكتابة. وتوضح الخريطة رقم (3) الأحياء التي شبعت على هذا العامل ومن ميزاتساكنها أن لديهم تعليماً عالياً ويمتثلون المهنة العليا كالمدرّاء والاختصاصيون ويسكنون الشقق التي إما تكون ملك أو استئجار. يتمركز سكن إقامة هؤلاء السكان في غرب المدينة، وكان لتواجد جامعة النجاح الوطنية التأثير على تشبع أحياء الجهة الغربية بالعامل حيث تجتذب السكان المتعلمين. وهناك تشبع ضعيف لأحياء المنطقة الشرقية على هذا العامل حيث اسكان الموظفين وكلية هشام الحجاوي اللذين لهما أثر في تشبع تلك الجهة لان ساكنهما من الفئة المتعلمة.

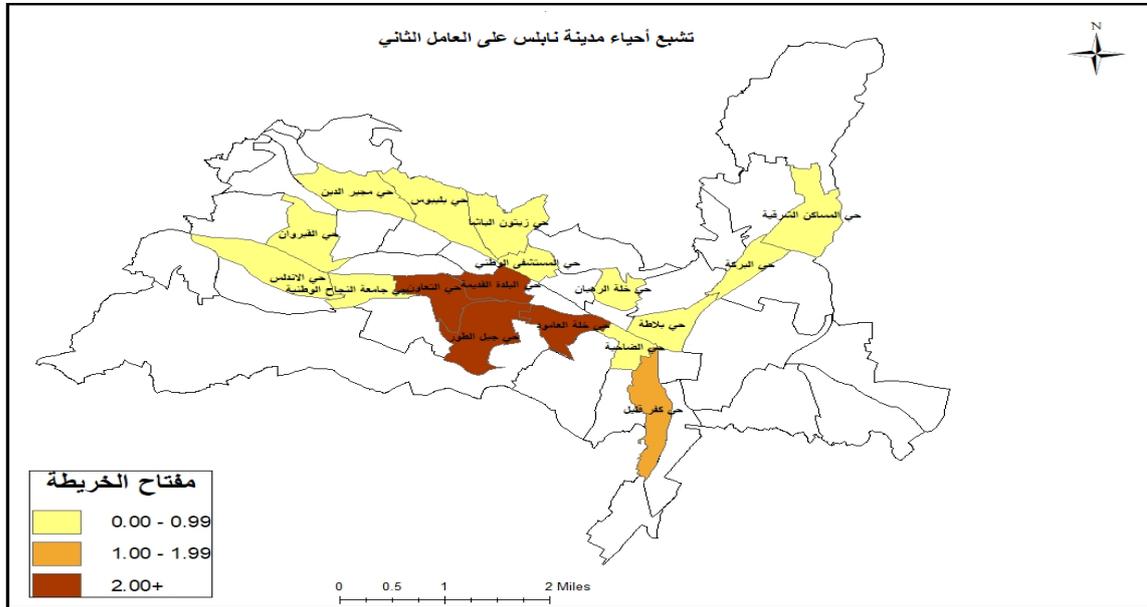
خريطة (3): تشبع أحياء مدينة نابلس على العامل الأول (ذوو التعليم العالي والمهن العليا)



العامل الثاني: وأطلق عليه مسمى ذوو التعليم المتدني والمهن الدنيا، بجذر كامن يبلغ 3.6، وبقيمة تباين تبلغ 11%، مما يعني أن المتغيرات التي أشبعت على هذا العامل تفسر 11% من التركيب الداخلي لمدينة نابلس. ومن حيث التشبعات فقد شبع على هذا العامل ثلاثة عشر متغيراً، منها ثلاثة متغيرات من حيث الفئة العمرية وهي صغار السن، ومتوسطي السن، وكبار السن. وأربعة متغيرات تعليمية وهي أمي، وملم، وابتدائي، وإعدادي. ومن حيث حياة السكن تشبع متغير واحد وهو مستأجر غير مفروش. ومتغير الدار من حيث طبيعة المساكن المأهولة. وأربعة متغيرات من حيث المهنة الرئيسية وهي العاملين بالحرف، ومشغلو ومجمعو الآلات، والمهن الأولية، والعاملين في البيع والخدمات. توضح الخريطة رقم (4) الأحياء التي شبع على هذا العامل ويكون سكانها من غير المتعلمين أو درجة تعليمهم متدنية ويمتثلون المهنة الأولية والحرفية والبيع ويسكنون الدور، ويفسر هذا العامل على أن السكان الذين يمتثلون المهنة الدنيا هم ربما ممن اكتسب المهنة أو الحرفة من الآباء والأجداد حيث تشبع على العامل جميع الفئات العمرية، وتقتن هذه الفئة في مساكنهم الخاصة ولا يكملون تعليمهم لعدم حاجة مهنتهم لدرجة علمية عالية ولاخراط الأبناء في العمل منذ الصغر. وهذه الأحياء تركزت في وسط المدينة واتجهت للشرق والشمال والشمال الغربي. وكانت أعلى درجات التشبع للأحياء وسط المدينة حيث البلدة

القديمة التي تعد مركزا تجاريا نشطاً في مدينة نابلس ويتواجد بها محلات الحرف الأولية والقديمة، بينما اتجاهها نحو الشمال والشمال الغربي وذلك لتواجد ورش الخراطة والميكانيك الممتدة على جانب الطرق الرئيسية، وبالنسبة للجهة الشرقية فنسبة من سكانها من اللاجئين الذين خرجوا من المخيمات وسكنوا المنطقة الشرقية ومنهم من يعمل في حرف مختلفة تخدم سكان المدينة وعابري الطريق. وتكثر ورش الميكانيك في هذه الجهة مثل شارع عمان. ويوجد نسبة من السكان من غير اللاجئين مثل القاطنين في حي كفر قليل وهذا الحي عبارة عن قرية تحمل نفس المسمى وقد امتدت اليها المدينة.

خريطة (4): تشيع أحياء مدينة نابلس على العامل الثاني (ذوو التعليم المتدني والمهين المتدنية)

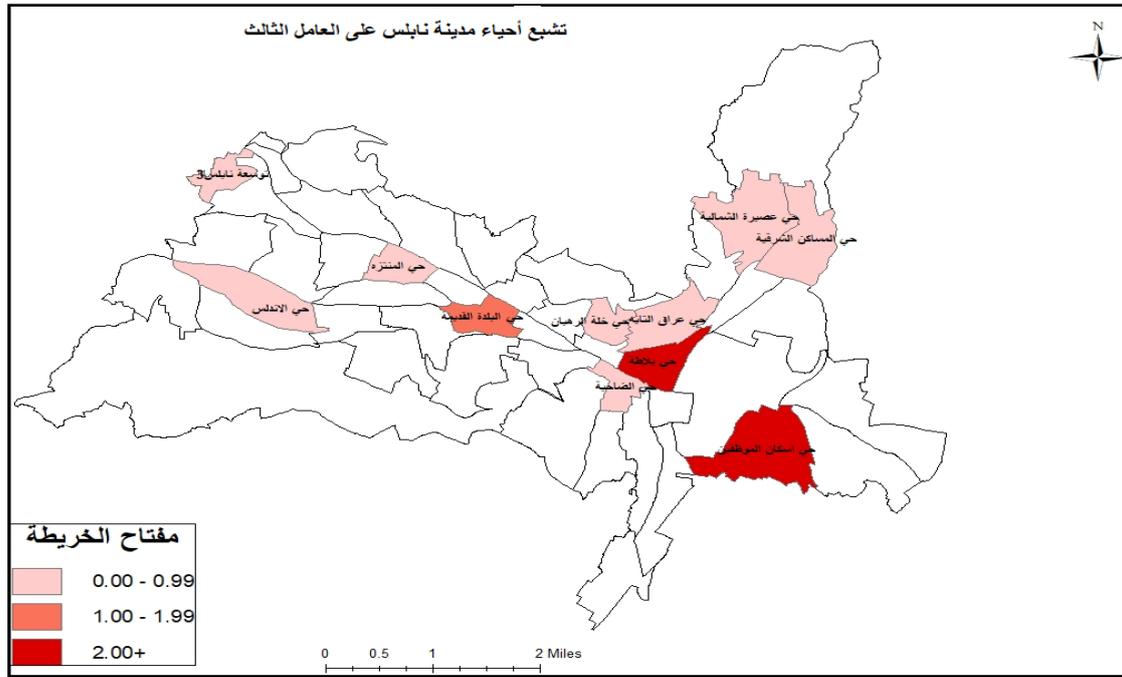


العامل الثالث: وأطلق عليه مسمى ذوو المسكن دون مقابلو الغرفة المستقلة، بجذر كامن يبلغ 1.4، وبقيمة تباين تبلغ 4.3%، مما يعني أن المتغيرات التي أشبعت على هذا العامل تفسر 4.3% من التركيب الداخلي لمدينة نابلس. ومن حيث التشيعات فقد شبع على هذا العامل متغيرين فقط، الأول من حيث حيازة المسكن وهو المسكن دون مقابل، والثاني من حيث طبيعة المساكن المأهولة وهو غرفة مستقلة.

وتوضح الخريطة رقم (5) الأحياء التي شبعت على هذا العامل والتي يكون سكانها من قاطني الغرف المستقلة أو يسكنون دون مقابل نتيجة سكنهم في نفس مكان العمل. وهذه الأحياء تركزت في شرق المدينة التي تكثر فيها الورش، فعمال

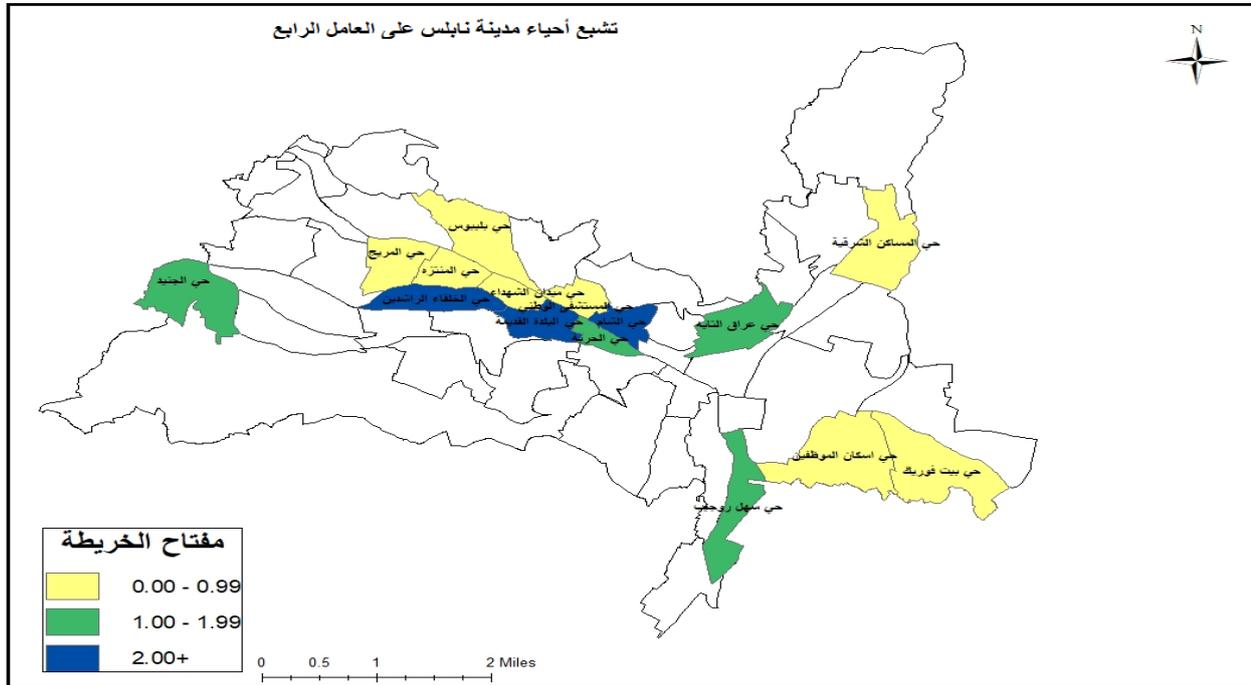
الورش يبيتون في الورشة، كما تشبع وسط المدينة بهذا العامل وجزء من غرب غربها مثل توسعة نابلس 3. حيث أن البلدة القديمة تقع في وسط المدينة ولا يمكن البناء بها أو حتى إدخال مواد البناء إلا بتراخيص مما يحد من إيجاد سكن للعمال.

خريطة (5): تشبع أحياء مدينة نابلس على العامل الثالث (ذوو المسكن دون مقابل والغرفة المستقلة)



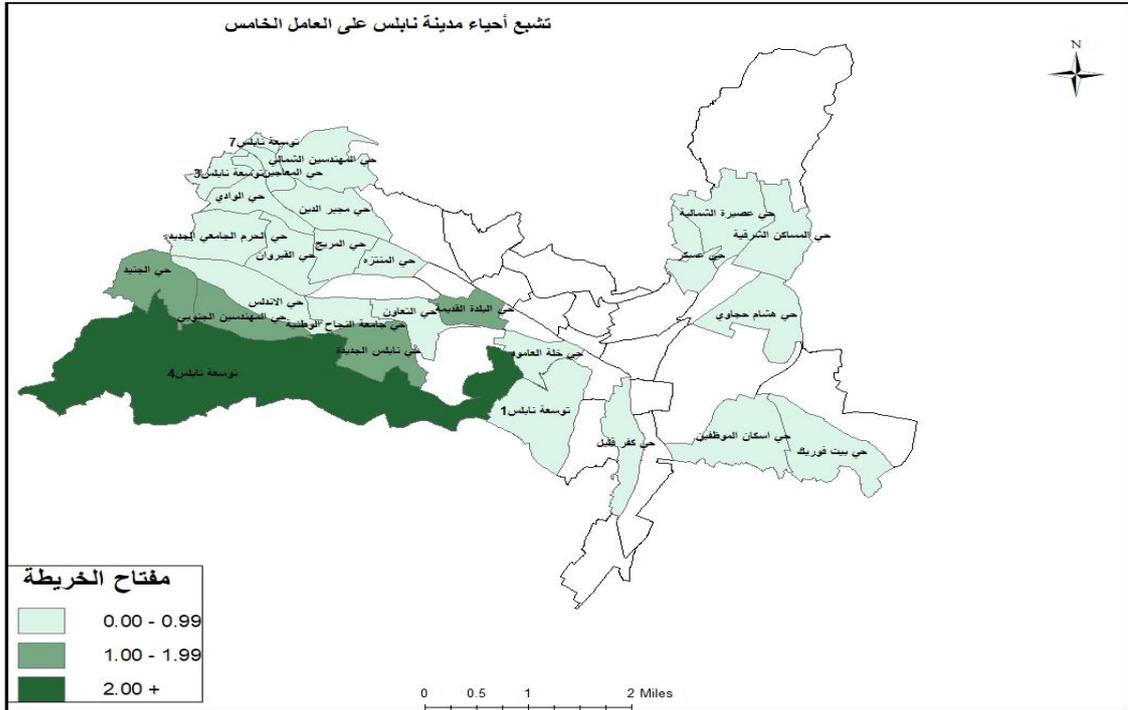
العامل الرابع: وأطلق عليه مسمى المزارعون والعمال المهرة، بجذر كامن يبلغ 1.2، وبقيمة تباين تبلغ 3.8%، مما يعني أن المتغيرات التي أشبعت على هذا العامل تفسر 3.8% من التركيب الداخلي لمدينة نابلس، ومن حيث التشبعات فقد شبع على هذا العامل متغيرين فقط، الأول من حيث حيازة المسكن وهو المسكن مقابل عمل، والثاني من حيث المهنة الرئيسية وهو العمال المهرة-الزراعة. وتوضح الخريطة رقم (6) الأحياء التي شبتت على هذا العامل والتي يكون سكانها من العمال المهرة أو المزارعين. وأعلى التشبعات كانت للأحياء في وسط المدينة، وهنا سيكون السكان من العمال المهرة كما في البلدة القديمة التي تضم عمال مهرة في مهن عديدة كالحلويات وغيرها. وتشبعت أيضا الجهة الغربية متمثلة في حي الجنيد الذي يعتبر منطقة زراعية. كما أن الجهة الشرقية للمدينة تشبعت بهذا العامل وذلك لوجود سهل روجيب الزراعي، وسهل بلاطة حيث تزرع البقوليات والخضروات.

خريطة (6): تشبع أحياء مدينة نابلس على العامل الرابع (المزارعون والعمال المهرة)



العامل الخامس: وأطلق عليه مسمى مالكي الفلل، بجذر كامن يبلغ 1.0، وقيمة تباين تبلغ 3.4%، مما يعني أن المتغيرات التي أشبعت على هذا العامل تفسر 3.4% من التركيب الداخلي لمدينة نابلس. ومن حيث التشبعات فقد شبع على هذا العامل متغير واحد فقد وهو مالكي الفلل، ويدل هذا العامل على رخاء معيشة السكان في الأحياء التي شبعت بهذا العامل، وتشبعت أحياء الجهة الغربية للمدينة وكانت أعلى تشبعها في الجنوب الغربي في حي توسعه نابلس أربعة، وذلك لأن الجهة الغربية للمدينة تتوفر بها البنية التحتية الجيدة والخدمات بمستوى أعلى من باقي المدينة. كذلك تشبعت الجهة الشرقية من المدينة بهذا العامل ويدل على امتلاك السكان لبيوتهم التي هي على هيئة فلل. ويظهر من الخريطة رقم (7) التي توضح أحياء مدينة نابلس التي شبعت على العامل على الخامس، أن أطراف المدينة تحولت الى ضواحي راقية.

الخريطة (7) تشبع أحياء مدينة نابلس على العامل الخامس (مالكي الفلل)

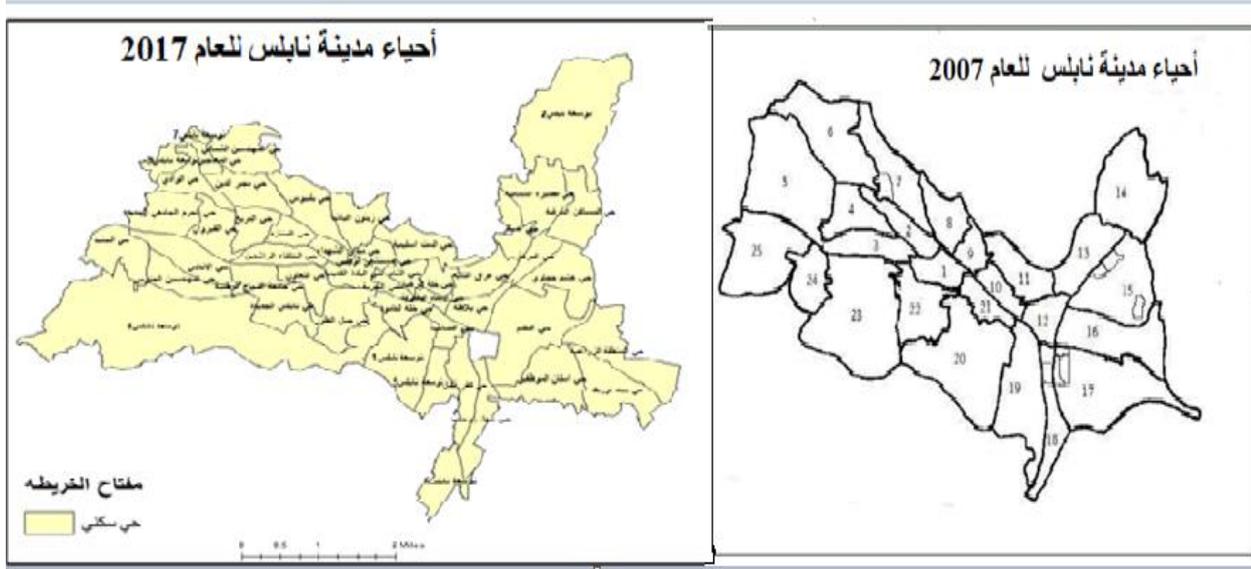


نتائج الدراسة:

1. بعد استخدام التحليل العملي ل 33 متغيرا لمدينة نابلس التي تتكون من 48 حيا احصائيا نتج خمسة عوامل فسرت 87% من التركيب الداخلي لمدينة نابلس استنادا على بيانات التعداد السكاني للعام 2017 كما وفرها الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. وتبقى نسبة 13% من التركيب الداخلي للمدينة تفسرها متغيرات غير داخلة في الدراسة.
2. من خلال نتائج التحليل العملي تبين أهمية مركز المدينة الذي يعد مركزا اقتصاديا نشطا.
3. تمتاز أحياء الجهة الغربية من المدينة بأنها أحياء جديدة وتكثر بها الفلل، وهذا يعني أن أطراف المدينة تحولت الى ضواحي سكنية حديثة تتوفر فيها البنية التحتية والخدمات.
4. أثرت السياسات الداخلية على توزيع السكان، فاهتمام البلدية في المنطقة الغربية من ناحية الخدمات والبنى التحتية جعل منها مناطق حديثة يتوجه اليها السكان ميسوري الحال وذوي التعليم العالي في حين يتمركز السكان ذوي المهن الاولى في شرق ووسط المدينة.

5. أثر الاحتلال الإسرائيلي على طبيعة توسعة المدينة، فوجود المستوطنات من ثلاثة جهات الشمال والجنوب والشرق حد من توسعة المدينة من هذه الجهات في حيت تركز توسع المدينة نحو الغرب.
6. أثرت اتفاقية أوسلو على توسعة المدينة وذلك من خلال الاتفاق على تقسيم الأراضي الفلسطينية إلى أراضي A, B, C، وتم فرض قيود على أراضي C من قبل الاحتلال الإسرائيلي بعدم ضمها في حدود أي مخطط هيكلي، والتي حالت دون توسع المدينة شمالا لوجود أراضي C في شمال المدينة.
7. تشابهت نتائج دراسة الأحمد (2014)، التي اختصت بدراسة التركيب الداخلي لمدينة نابلس استنادا على بيانات التعداد السكاني للعام 2007، مع نتائج الدراسة الحالية من ناحية تركز النشاط التجاري في مركز المدينة (البلدة القديمة). استخدمت الأحمد 27 متغيرا لمستويات التعليم ونوع المهن وحيارة المسكن وطبيعة السكن. احتوت مدينة نابلس عام 2007 أيضا على 25 حيا احصائيا. ونظرا للنهضة العمرانية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية التي حدثت في المدينة ونظرا لتوسعة المدينة في الأطراف لتصبح 48 حيا احصائيا. اما من حيث المتغيرات فقد أصبحت 33 متغيرا. على أي حال تشابهت نتائج دراسة الأحمد مع نتائج هذه الدراسة في ثلاث عوامل هي عامل التعليم العالي والمهن العليا وعامل التعليم المتدني والمهن الدنيا وعامل المزارعون. اما من حيث الاختلاف فقد أعطت هذه الدراسة عاملين جديدين هما عامل مالكي الفلل وعامل الذين يسكنون في غرف منفردة ولا يدفعون اجرا مقابل ذلك. يعود هذا إلى النهضة التي شهدتها مدينة نابلس بعد انحسار الحصار والاعلاق الإسرائيلي عنها عام 2007 مما أتاح للأسر الميسورة ان تبني مساكن خاصة بها على شكل فلل في غرب المدينة. إضافة الى ذلك أصبحت المدينة تستقطب الايدي العاملة من الريف للعمل في الحرف المختلفة ونظرا لمحدودية دخل هؤلاء اضطروا للسكن في غرف منفردة غير مدفوعة الاجر وربما تكون واقعة ضمن أماكن الحرف التي يعملون بها.
8. أسباب محدودية التوسعة، وذلك لعدم زوال الأسباب السياسية المتمثلة في بناء المستوطنات وتقسيم الأراضي الفلسطينية وقيود مناطق C. توضح الخريطتين رقم (8) توسعة مدينة نابلس ما بين 2007-2017 ويتضح أن تركز التوسعة كان في الجهة الغربية.

خريطة رقم (8) توسعة مدينة نابلس في الفترة ما بين 2007-2017



نتيجة الظروف السياسية غيرالمستقرة في فلسطين عامة وفي مدينة نابلس خاصة، والتي أثرت ومازالت تؤثر في ديمغرافية السكان وتوسع المدينة، وجعلت امكانية توسعتها من جميع الجوانب أمر لا يمكن تنفيذه وإنما فقط الجهة الغربية التي تتوسع بها المنطقة وتوسعها أعلى منه في باقي الجهات وبينما الجهة الشمالية لا يمكن التوسع بها، مما فرض عدم امكانية وضع نظرية تطبق على مدينة نابلس وهذا يعني أن تركيب المدينة الداخلي لا ينطبق على أي نظريات التركيب الداخلي للمدن.

المراجع:

- أبو علان، أحمد إسماعيل. 2007. التطور الحضري والتركيب الداخلي لمدينة الظاهرية في فلسطين. رسالة ماجستير في الجغرافيا. كلية الدراسات العليا، جامعة بيرزيت، فلسطين.
- أحمد، غدير محمد. 2014. تحليل التركيب الداخلي لمدينة نابلس باستخدام التحليل العاملي - دراسة في جغرافية المدن. رسالة ماجستير في الجغرافيا، كلية الدراسات العليا، جامعة بيرزيت، فلسطين.
- باقر. طه. 1973. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة. بغداد، دار الوراق للنشر.
- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. 2017. التعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت. رام الله، منشورات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني.

الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. 2021. عدد السكان المقدر في منتصف العام لمحافظة نابلس حسب التجمع 2017-2026. رام الله، منشورات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني.

الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. 2011. كتاب محافظة نابلس الاحصائي السنوي (3). رام الله، منشورات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني.

الحلو، مسلم. قصة مدينة نابلس. 2008. فلسطين. رام الله، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دائرة الاعلام والثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية.

دغرة، أريج وبرهم، نسيم والحوالدة، حمزة. 2020. تحليل البيئة الاقتصادية والاجتماعية لمدينة عمان. مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية). فلسطين، جامعة النجاح، مجلد 34، عدد 1، 6-28.

الريماوي، حسين. 2007. التطور التاريخي وتحليل التركيب الداخلي لمدينتي رام الله والبييرة- دراسة في جغرافية المدن. مجلة العلوم الاجتماعية. فلسطين، جامعة الكويت، مجلد 35، عدد 4، 159-193.

علاونة، رياض حسن. 2004. أنماط استخدام الأرض واتجاهات النمو العمراني والتركيب الداخلي في بعض قرى محافظة نابلس. رسالة ماجستير في الجغرافيا، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

فخرو، ناصر عبد الرحمن. 1997. مقارنة التركيب الداخلي لمدينة الدوحة مع النماذج العامة لتراكيب المدن. مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية. عدد 9، 181-216.

الليمون، سامي عوض. 2004. التركيب الداخلي لمدينة مادبا. رسالة ماجستير في الجغرافيا، كلية الدراسات العليا. الجامعة الأردنية، الأردن.

مركز رؤيا للتنمية السياسية. واقع الاستيطان في محافظة نابلس. 2019.

<https://vision-pd.org/archives/327314> الاسترداد 2022-2-15

نابلس(مدينة). (2015). الموسوعة الفلسطينية. <https://www.palestinapedia.net>

الاسترداد 2022-1-20

وحدة السياسات والمشاريع. 2014. المستوطنات الإسرائيلية وآثارها الاقتصادية والاجتماعية على الأراضي الفلسطينية وقطاع العمل. رام الله: وزارة العمل.

وكالة الانباء والمعلومات الفلسطينية. (2022).

https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=2215. الاسترداد 2022-2-15

المراجع بالإنكليزية:

- General Abstracts of the census of 1922. Jerusalem, Greek .1922Barron, J. B. Report. Covent Press.
- Investigating the Characteristics and .2015 Hayaty, Hamed & Monikhi, Fatemh. Principles of Islamic City based on Islamic Literature. International Journal of humanities and Cultural studies. Special issue. Ghana, University of Education, December,933-954.
- Adam, Brigitte & Fritzsche, Stefan. 2012. The European City- A Model for Future Development and its Elements. DIE ERDE: Journal of the Geographical Society of Berlin, Vol.143, No. 1-2, 2012, 105-107.
- Crowley, William. Modeling The Latin American City. Geographical Review. Vol.88, No.1, 1998, 127-130.
- Dee Ann, Newel. Urban Models. 2021. <http://newellta.weebly/urban>.
- Donaldson, Ronnie. 2001. A Model for South Sahara Urban development in the 21st Century. 20th South African Transport Conference. South Africa, 16-20 July,
- Monitoring Israeli Colonization Activity in the Palestinian Territories: POICA. 2022. Israeli settlement Activity in Yanoon Al Foqa Village, Nablus <http://poica.org/2001/04/israeli-settlement-activity-in-yanoon-al-foqa-village-nablus/>. Retrieved 17-2-2022.
- Mc Gee, T. G. 1967. The Southeast Asian City: A Social geography of Primate Cities of Southeast Asia. Thailand, White Lotus.1967.
- Mills, E. 1932. Census of Palestine, 1931: Population of Villages, Towns and Administrative Areas. Jerusalem, Greek Covent and Goldberg Presses.

مقابلات:

جاسر سعد. أستاذ مشارك، جامعة بيرزيت، فلسطين، 2021/12/28.

وثيقة توجيهية لمثال صيانة وإحياء قرية الزريبة العليا (ولاية زغوان)

Guidance document for an example of conservation and revitalization of the village of Zriba El Olayya

(Governorate of Zaghuan)

ياسين الحلواني

أستاذ مساعد للتعليم العالي مؤهل في التعمير

جامعة قرطاج، المعهد العالي للفنون الجميلة بنابل

ملخص:

يتمثل البحث في مشروع خارطة طريق لصياغة وإنجاز مثال صيانة وإحياء، حسب ما تنص عليه مجلة حماية التراث الأثري والتاريخي والفنون التقليدية، ولكن أيضا باعتبار مبادئ التشاركية والحكومة المحلية، لقرية الزريبة العليا الموجودة ببلدية الزريبة من ولاية زغوان في الشمال الشرقي للبلاد التونسية، والتي يتهددها الانهيار اليومي لنسيجها الحضري الذي يتمتع بخصوصيات معمارية ومشهدية ثرية ومتفردة يتعرض لها الباب الأول من المقال، فيما يخص باب الثاني للمرجعيات التقنية والقانونية لمثال الصيانة والإحياء، فيما تختتم الدراسة في بابها الثالث في شكل خطة تنفيذية للملامح التفصيلية للمثال وأهم ما يتطلبه من أشغال.

كلمات مفتاحية: إحياء-مثال صيانة وإحياء- حوكمة محلية- تدبير حر- وصلاتية مشهدية

Abstract:

This research displays a project of roadmap for an elaboration and implementation of a Preservation and Enhancement Plan according not only to the Archaeological and Historical and Traditional Arts Code but also in accordance with the principles of participatory and local governance, of Zriba Ulya village located in the municipality of Zriba In Zaghouane governorate (in the North Eastern part of Tunisia). The village is threatened by the daily lapse of its urban fabric featured by its rich and specific architectural landscape; which is exposed in the first chapter. The second part of this study deals with technical and legislative references of the Preservation and Enhancement Plan. The research ends with a third chapter in the form of an implementation outline for detailed features of the Plan and its mostly- required work.

Key words: Enhancement- preservation and enhancement plan- local governance- participatory approach- landscape- landscape sequentiality.

مقدمة:

رغم ما تتميز به قرية الزريبة العليا من خصوصيات معمارية وحضارية ومشهدية ومن عناصر تراث ثقافي لامادي، فإنها تعيش على وقع الانهيار اليومي لمبانيها المختلفة، باستثناء محاولات "ترميم" الجامع والزاوية، وفي المقابل تشهد في عدد من مساكنها تدخلات ذات طابع "سياحي"، في شكل "مقهى-مطعم" وأخرى يراد لها أن تكون "إقامات سياحية"، لا تجد التأطير القانوني والتقني ما يجعلها تهدد جاد للقيمة التاريخية للقرية.

وبناء على ذلك وحتى تتمكن من المحافظة من جهة على القيمة المعمارية والفنية والأثري للقرية، وتتمكن من جهة ثانية من ترميم هذا التراث وجعله رافعا تنمويا في المنطقة، ونحوه إلى مرجعا لمعمارنا وعمراننا المعاصر الذي لا يزال يفتقد إلى ترتيب عامة للبناء ومقرّرات بلدية للخصوصيات المعمارية، نتقدم بهذه المحاولة التي ترتقي إلى التعريف بالتراث المعماري والحضري المميز لقرية الزريبة العليا وتقديم مقترح وثيقة مرجعية توجيهية لإنجاز مثال صيانتها وإحياءها، كما تنص عليه مجلة حماية التراث الأثري والتاريخي والفنون التقليدية، وذلك لتحقيق الأهداف المحددة التالية:

(1) - المحافظة على التراث المميز وقيمه المعمارية والفنية والأثرية والمشهدية،

(2) - تأطير التدخلات في القرية في صميمة تناسق عامة، وفي سيناريو صيانة وإحياء ودمج في المحيط المباشر والواسع، والدفع نحو تميمها بأفضل الأوجه الممكنة لتكون رافعة تنمية مستدامة في الجهة،

(3) - جعل هذا التراث مرجعا دقيقا لصياغة المقرر البلدي للخصوصيات المعمارية لبلدية الزريبة (مدنھا وقراها) ومن خلالها لمدينة حمام الزريبة التي يغيب عنها الطابع المعماري المميز بشهادة مثال تميمتها العمرانية ومراجعتھ (الهلواني، 2010).

ويمثل المقال مشروع خريطة طريق لإنجاز مثال صيانة وإحياء لقرية الزريبة العليا، ويتكون من ثلاث أبواب: يعرض الباب الأول المميزات الحضريّة والمعماريّة والمشهدية لقرية الزريبة العليا، ويتعرض الباب الثاني لمرجعيات مثال الإحياء والصيانة ومكوناته وإجراءات صياغته، وبناء على ما عرض في الأبواب السابقة يعرض الباب الثالث موجز خطة تنفيذية في شكل توجهات لصياغة التقرير التقديمي للمثال ومخطط لمختلف مكونات تراتيبيه ومجمل الأشغال التي يجب إنجازها لتحقيق النتائج المرتقبة منه.

الباب الأول: بسطة معمارية وحضريّة حول قرية الزريبة العليا

يقدم هذا الباب ما يميز به النسيج الحضري لقرية الزريبة العليا، في إطار بيئتها، حتى يكون مؤهلا لاعتباره مجموعة تاريخية وتقليدية، خاصة على معنى مجلة حماية التراث الأثري والتاريخي والفنون التقليدية، ونعتمد في ذلك على ما توصل له البحث من وثائق وخاصة أطروحة المرحلة الثالثة في الهندسة المعمارية (Ayadi, 1984)، والتي نلمس صداها في جل الدراسات والوثائق التي تلتها وخاصة المتعلقة بالمعمار.

I- الموقع والموضع:

تقع الزريبة العليا ضمن المجال الترابي لبلدية الزريبة، جنوب مدينة حمام الزريبة مركز البلدية، تفصل بينهما حوالي ثلاثة كلم، والتي تقع بدورها جنوب شرق مدينة زغوان عاصمة الولاية على مسافة ستة كلم، وتقع جنوب غرب تونس العاصمة على مسافة 66 كلم. ويربط بين الزريبة العليا ومدينة حمام الزريبة مسلك فلاحى متعرج تحول منذ سنوات قليلة إلى طريق معبد متوسط الحالة، وهي تبعد كذلك عن قرية جرادو حوالي 10 كلم.

تتركز بين قدمي جبل الفارسي من جهة وجبل القلعة من جهة ثانية، مما منحها وقاية عالية من الرياح الشمالية-الغربية ومناخ موضعي جيد للصحة، ويمكنها ارتفاعها 312م، من التمتع بنسمات بحرية رغم الـ30 كلم التي تفصلها عن البحر. كما يجعلها موضعها المعلق والمخفي بدرجة عالية أقرب إلى ما سماه أحد الباحثين والشخصيات المصادر المحلية: "[...] بالقلعة الحصينة وعش النسر [...]"⁶⁴، ويظهر الشكل العام للقرية، على حد تعبير النوري العيادي (Ayadi, 1984, p91)، مثل "سرج حصان عربي" (شاهد 1)، متبعة في هيكلتها حركة خطوط تساوي الارتفاع، فطيف القرية يحضن هيئة قدم الجبلين ويتزواج بشكل جيد مع المشهد الطبيعي.

II- بعض المعطيات حول تاريخ القرية:

لا نجد من الروايات التاريخية شيء يذكر حول نشأة القرية سوى الحكاية التي تربط القرى الجبلية الثلاثة بالمنطقة، وهي حكاية متداولة بين السكان وفي العديد من الدراسات، وهي قرية الزريبة العليا وقرية جرادو وقرية تكرونة (التي تعود تراثيا لبلدية النفيضة من ولاية سوسة)، وهي قرى ذات ملامح وخصوصيات كثيرة مشتركة. وتقول الرواية بأن ثلاث أخوة قدموا في القرن السابع عشرة من الساقية الحمراء بالمغرب واستقر كل منهم بموقع من المواقع الثلاثة وبنى مسكن يسمونه "القلعة"، فيما أسسوا بينهم نوع من "الاستراتيجية الدفاعية" والتواصلية المشتركة من خلال الدخان ولونه للتبليغ عن أي خطر محقق أو طارئ أو فرح⁶⁵.

⁶⁵ أوردها جون غروسان عن ويليام مارسي وبعده النوري العيادي، كما ذكرها علي الجري وأعاد التطرق لها محمد العربي رقاظ عن ويليام مارسي وعبد الرحمان قيقة.

وتمثل قرية الزريبة العليا النواة الأولى والأصلية لنشوء أهم الكيانات الحضرية لبلدية الزريبة المعاصرة، حيث تحول سكانها إلى الموقع الحالي لمدينة حمام الزريبة بناء على توجه سياسي لتلك الحقبة أراد "تحديث" التجمعات السكانية للعديد من القرى الجبلية ومجانستها وذلك بهدف تسهيل مراقبتها وإدماجها في نسق الحياة الوطنية الجديدة⁶⁶، وقد انطلق هذا المسار خاصة بتحويل مقر المدرسة، التي أعلنت إحدى قاعاتها حينها "آيلا للسقوط"، وإقامة مصنع الفليور الذي استقطب حوالي 65 عاملا من سكان القرية في بداية خمسينيات القرن العشرين (Grossin, 1953, p64) وقد كان تعدادهم في نفس السنة حوالي 854 ساكن (Grossin, 1953, p61)، إضافة إلى تطور استقطاب منبع المياه المعدنية الحارة⁶⁷، وقد انبثق عن هذه التغيرات على الأقل ثلاث كيانات حضرية واضحة: مدينة "حمام الزريبة" وقرية "الزريبة قرية" والمنطقة السكنية والسياحية حول الحمام، إضافة إلى القرية الأصلية التي استقر بها بعيد مغادرة سكانها مجموعات من الرحل ثم بعد ذلك أصبحت شبه خالية من السكان مع تردي وضع بناءاتها.

III- الأنشطة الاقتصادية:

اعتمد الاقتصاد الزربي على مقاربة "إدماجية" للمقومات الطبيعية لبيئته المباشرة والممتدة، حيث نجد الفلاحة التي تستند بالأساس على الزيتون وتربية الماشية وإنتاج العسل، وهو ما تذك المصاد (الحشاشي، 1994، ص170)، حيث كانت تمتلك كل عائلة تقريبا بقرة أو عدد من الأبقار وحمار وقطيع من الماعز... كما جهز كل بيت بجهاز نسيج الصوف أو الحلفاء وبمختلف أدواتها المكملة، وتنتج النساء خاصة حاجيات عائلتهن من "القشايية" والأغطية الصوفية، وخلافا لقرية جرادو كانت تنتج قرية الزريبة العليا من مادة الحلفاء، التي يقع جمعها من البيئة المحيطة، حصير يسمى "حصيرة عبادي" (الأبيض، 2020)، بسمك وتقنية تجعله أقرب للمرتبة ذات الطابع الصحي المعاصر، يتم بيعه في تونس وزغوان والنفيضة...

⁶⁶ لقد عرفت العديد من القرى والبلدات البربرية عبر البلاد صيرورة مماثلة أو مشابهة؛ مثل "الدويرات" من ولاية "تطاوين" بالجنوب التونسي...

⁶⁷ منبع المياه المهنية الحارة؛ "الحمام": يوجد جنوب غرب مدينة حمام الزريبة التي تستمد تسميتها منه، وشمال غرب قرية الزريبة العليا، ويعود هذا المنبع إلى العصور القديمة، وهو مرتبط جيولوجيا بظاهرة "بشق القباب الجوراسية". ويعتبر مستوى الماء لهذه العين حاليا منخفض مقارنة بمستواها في العهد الروماني، ويعود ذلك لانسداد بعض الشقوق برواسب كربونية. يتراوح معدل تدفق المياه بهذه العين بين 6 و25 ل\ث بدرجة حرارة 46°، وهي كبريتية ذات درجة إشعاعية مرتفعة، مما يعطيها منفعة طبية هامة... وهو يستقطب حوالي مليون زائر سنويا.

كما كانت القرية تساهم في صناعة الفحم الخشبي المميز للمنطقة بكميات هامة. ويتطرق الكاتب المحلي، وهو احد الشخصيات المصادر من السكان الأصليين للقرية، الذي تمكن نشر كتاب حول تراث القرية، عن العديد من الحرف والمهارات المميزة مثل: "صانع مغارف العود: يصنع مغارف صغيرة للأكل وأخرى كبيرة لتحريك الطعام وتصنع من أغصان شجرة الزعرور." (الأبيض، 2020)، وكذلك مجموعة من الصناعات الذين يحدقون تقنية اقتطاع حجارة رملية تسمى "السميد" ويصنعون منها أدوات لصقل السكاكين وأدوات الحفر وقطع الشجر... وقد عرفت منتجاتهم إقبالا واسعا من المدن المجاورة، إضافة إلى اقتناء أهل القرية لمثل هذه الأدوات لصقل سكاكينهم وأدواتهم المنزلية (الأبيض، 2020).

IV- النسيج الحضري لقرية الزريبة العليا:

يتكون النسيج الموروث من حوالي 100 مسكن (Grossin, 1953, p61) وعدد من المرافق الجماعية على غرار الجامع والزاوية ومركز بريد وكتاب ومقهى... تنتظم في مجملها حول عدد من الساحات العمومية: الرحبة وبطحاء الزاوية وبطحاء الفجة... وهي أفضية عمومية مشتركة لعبت دورا هاما في الحياة الجماعية لأهالي الزريبة، إذ مثلت الرحبة مكان اجتماع السكان للاحتفال بزفاف أبناءها ولحضور بعض العروض الفرجوية، كما يجتمع بها رجال القرية لنقاش القضايا الخاصة بحياتهم المشتركة، أما بطحاء الزاوية فقد جمعت حولها عدد من المرافق وقد مثلت كذلك مكان التقاء واستراحة. واحتضنت بطحاء الفجة مركز البريد والبرق والهاتف وعدد من المحلات التجارية، التي فاق عددها الجملي في القرية 14 محل⁶⁸، وشكلت هي أيضا مكان للاحتفالات الجماعية وخاصة الأعراس⁶⁹.

⁶⁸ مكرم بالحاج الصغير: رئيس جمعية صيانة الزريبة العليا وعضو مجلس بلدية الزريبة.

⁶⁹ "قبل يوم العرس تنصدر العروس مع صاحباتها بالفجة على أنغام الطبل ثم تذهب بعد ذلك الى الحمام [...]"، الأبيض (محمد بن علي)، "مختصر من العرس التقليدي بالزريبة العليا قديما"، ضمن صفحته على الفايس بوك باسم ولد الفجة، 12 و18 ديسمبر 2016.

وقد انتظمت النواة الأولى للقرية حول عنصرين أساسيين مثلا القلب النابض للحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية بها؛ (1)- الرحبة التي اتخذت موقعا مركزيا في ملتقى المحوران الرئيسيان للنسيج، (2)- المسجد الجامع الذي أقيم على بعد أمتار منها، ثم تمحور التوسع العمراني في مرحلته الأولى، شرق النواة الأصلية، حول زاوية سيدي عبد القادر وبطحائها ليتشكل المركز الجديد للقرية الذي سجل وجود بعض المرافق مثل الكتاب ومقهى وبعض المتاجر... كما شهدت قرية الزريبة العليا مد ثان من النمو العمراني في ناحيتها الغربية، جاء نتيجة لتمتينها لعلاقات تجارية مع محيطها الخارجي وتركيز المدرسة الابتدائية، لتظهر بهذا القطاع من القرية بطحاء الفجة حيث تركز مرفق جماعي جديد وانتظمت العديد من الأنشطة... تتبع المحاور الرئيسية المهيكلة للنسيج نسق المنخفض بين جبلي القلعة والفارسي، فيما تتعامد معها الفرعية في اتجاه مرتفعات الجبلين المذكورة، ويغلب على ملامحها طابع المدرجات، ويمكن مشاهدة اليوم في حيزها تبليط بمسطحات حجرية كبيرة أنجزت من قبل إدارة الأشغال العمومية (Grossin, 1953, p61) زمن الاحتلال الفرنسي.

V- مميزات المسكن الزريري:

ينفذ عادة للمسكن الزريري من خلال سقيف، في شكل مدخل معقف يمكن في آن واحد من النفاذ للمسكن ومنع النظر الخارجي بهدف حماية خصوصية العائلة، وهي تمثل بذلك عنصر وسطي بين الحيز العمومي والحيز الخاص. وتفضي إلى حوش أو أكثر تتركز حوله غرف السكن وحجرات خزن المواد والأدوات الفلاحية ومبيت الحيوانات (شاهد 2). وتظهر غرفة السكن بالدار الزربية في شكل مستطيل طولي يعلوه قبو متقاطع، ينقسم إلى ثلاث مساحات: مساحة مركزية تخصص عادة للجلوس والراحة والعمل الحرفي النسائي، ويحدث تحت أرضيتها أحيانا شونة⁷⁰ تحت أرضية تخزن فيها المحاصيل الفلاحية، خاصة عندما يكون هناك خوف من السرقة، أما في المجالين الجانبيين فتوجد دكانة أو سدة في كل جهة تمثل أفضية نوم العائلة، مع وجود شونة تحت سقف إحداهما.

VI- مواد وتقنيات البناء في الزريبة العليا:

⁷⁰شونة (Grenier): تكون تحت أرضية بالكامل أو جزئيا، حجرة تحدث تحت مصطبة "الدكانة" وتخصص لخزن بعض المواد أو الأغراض المنزلية أو لوظيفة صحية...

لقد تمكن سكان القرية عبر الأجيال من تطوير تقنيات ومهارات بناء خصوصية تعتمد خاصة على الاستغلال المحكم للمصادر الطبيعية المتوفرة في المحيط المباشر للقرية، فاستعملت الحجارة التي استقطعت من الجبال المجاورة وصنع الجير في أفران أعدت للغرض وجلب الرمل الجيد للبناء... "يحمى حجر النفرة" في كوشة من الحطب فنتحصل على الجير العربي. كذلك يحمى حجر "الصوان الأزرق" فيصبح جيرو أبيض.⁷¹

وقد شيدت السقوف والسكائف المستوية من جذوع الشجر (شاهد 3)، كما طورت تقنية بناء الأقواس والأقبية والقباب... فعلى سبيل الذكر يعتمد بناء القبو، في أحد تنويعاته، في قرية الزريبة على طبقة تنجز من الآجر الصغير يربطه بوصلات من الجبس، وفوق هذه الطبقة الأولى المقوسة والمرتكزة على الجدران الجانبية، يقع بسط طبقة ثانية من الحجارة الصغيرة مع ملاط من الجير يطل من الخارج بالجير الأبيض.

VII - نماذج من المرافق الجماعية:

يمثل المسجد الجامع، إلى جانب زاوية سيدي عبد القادر والمدرسة الابتدائية، أحد أهم مرافق القرية، يوجد في موقع قريب من الرحبة، وقد كان مسبوق في النهج الذي يطل عليه بساباط⁷²، ويمكن النفاذ له من خلال سقيفة تفضي إلى صحن مكشوف يوزع المرور يمينا إلى بيت صلاة الرجال تعلوها ثلاث أقبية طويلة وبالجبهة المقابلة مiazza. كما يمكن المرور يسارا إلى بيت صلاة النساء إضافة إلى درج يفسح المجال للصعود إلى بيت صلاة ثانية للرجال بالطابق العلوي، وتتميز مثذنته بقطاع أفقي مربع وهي ذات ارتفاع متوسط (شاهد 4)، علما أن هذا المرفق وقع ترتيبه سنة 2021 وإعلانه ضمن مجموعة من العالم التاريخي والأثري المحمية⁷³.

ويبدو مثال زاوية سيدي عبد القادر مربع الشكل وتتوسطه قبة مركزية كبيرة تسم مجال مربع وسط الحيز وترتكز على أربعة أعمدة بما يجزء حيز الزاوية إلى أربعة مربعات فرعية في الأركان الأربعة تغطيها أربعة قباب صغيرة، إضافة إلى أربعة مستطيلات تتقدم الواجهات الأربعة للحيز، أحدها يتقدم محراب من جهة القبلة والثاني الباب الرئيسي والبقية نوافذ، ويغطي كل منها قبو، وهي صميمة مميزة لحيز الزاوية ترتبط بنظام بناءها الهيكلي وأغطيها (شاهد 5)، وقد شيدت حوال 1887 بإشراف بناء أصيل دار شعبان الفهري⁷⁴.

VIII - المشهد الحضري:

من الناحية المشهدية تتميز القرية، نظرا لموقعها وموضعها وطوبوغرافيتها، بتداول وصلات كثيرة ومتنوعة داخل النسيج تتخللها فتحات مؤطرة على أجزاء مرتفعة أو منخفضة من القرية وكذلك فتحات على محيطها المباشر والممتد (شاهد 6) ووصلات مؤطرة بساباط، كما تتميز بالعديد من المشاهد المفتوحة خاصة من جهة بطحاء الفجة في اتجاه الشمال وكذلك من جهة بطحاء الزاوية في اتجاه الجنوب يصل في الكثير من الأوقات حد مشاهدة البحر بعيدا في الأفق، إضافة إلى أعلى قمة في النسيج من جهة جبل "القلعة" وهو ما نجد صداه في تعبير جون غروسان حين يقول بأنك في ذلك الموضع تجد نفسك أمام ما يشبه الصورة الجوية حيث تظهر حقول القمح والشعير في موسمها بذلك الانسجام الأخضر العذب (Grossin, 1953, p61).

إن هذه المراوحة بين مخفي-واضح ومغلق-منفتح وداخلي-خارجي وسفلي-علوي وعممة-نور... يجعل من الجولة في القرية عبارة عن "مشاركة في شريط سينمائي" من طراز خاص، وهو ربما ما يفسر أن الموقع استطاع أن يستقطب في أكثر من مناسبة تصوير شريط سينمائي وعمل تلفزيوني، كما نلاحظ اليوم بسهولة التحول التدريجي لجزء مهم من نسيج القرية إلى ما يشبه "ديكور سينمائي وتلفزيوني" وهو ما يتطلب التدقيق والتأطير.

الباب الثاني: خلفيات وإجراءات وتوجهات مثال الصيانة والإحياء

يعتبر مثال الصيانة والإحياء وثيقة تقنية-قانونية ذات طابع إلزامي، ويقدم جملة من التوجيهات والتدابير، في خطة تناسق عامة وفي أمثلة تفصيلية دقيقة، وذات قابلية عالية للتنفيذ على مدى زمني معين وفي إطار مشاريع وتدخلات للدولة والبلدية وكل الجهات ذات الصلة، من شأنها أن تمكن من صون القرية وإحيائها، ويقع في نفس مستوى مثال التهيئة العمرانية في سلم تراتب أدوات التهيئة العمرانية، ويعوضه في حدود المنطقة المصونة، فهو يترجم اختيارات صيانة التراث التاريخي في تعبيراته المادية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية كوحدة عمرانية ويقدم منوال تصرف حضري ديناميكي للمجموعة (قرية أو مدينة أو حي...) في مختلف أبعاده، فالمثال ينظم بشكل تفصيلي (مبنى بمبنى) مقتضيات الصيانة والهدم وإعادة البناء وكذلك إعادة تشكيل الأفضية العمرانية العمومية، ويحتوي بناء على ذلك على ترتيب فائق الدقة للبناءات والأفضية حسب درجة أهميتها المعمارية وجودة معالجتها وأصالتها. وليس الهدف هنا مجرد "تحنيط" للتراث الحضري ووقف كل تحولاته المختلفة ولكن حمايته من خلال التمكن من تجديده وتطويره لمقتضيات الحياة الحضرية المعاصرة.

I- الخلفية التشريعية التونسية لمثال الصيانة والإحياء:

ويخص هذا المثال، في التشريع التونسي، المجموعات التاريخية والتقليدية بصفتها، مناطق مصونة، والتي تعرفها المجلة في الفصل الثالث كما يلي: "يقصد بالمجموعات التاريخية والتقليدية مجموعات العقارات المبنية وغير المبنية المنعزلة أو المتصلة من مدن وقرى وأحياء التي تعتبر بسبب عمارتها أو وحدتها أو تناسقها أو اندماجها في المحيط ذات قيمة وطنية أو عالمية من حيث طابعها التاريخي أو الجمالي أو الفني التقليدي".⁷⁵، علما أن هذه المناطق المصونة يجب أن تحدث وتحدد بقرار مشترك بين الوزير المكلف بالثقافة والوزير المكلف بالتعمير بعد أخذ رأي اللجنة الوطنية للتراث، ويعد مثال صيانتها وإحيائها في أجل خمس سنوات من تاريخ نشر قرار التعيين بالرائد الرسمي، وهو قابل للتجديد⁷⁶، وإضافة إلى مقتضيات مثال الصيانة والإحياء تخضع العديد من الأشغال (مثل أشغال الشبكات الكهربائية والهاتف ووضع الألواح الدعائية...)، داخل المناطق المصونة، للترخيص المسبق للوزير المكلف بالتراث¹.

⁷⁵الفصل 3 من القانون عدد 35 لسنة 1994 مؤرخ في 24 فيفري 1994، المتعلق بإصدار مجلة حماية التراث الأثري والتاريخي والفنون التقليدية.

⁷⁶ الفصل 16 من القانون السابق.

ويتكون مثل الصيانة والإحياء حسب الفصل 22 من مجلة حماية التراث الأثري والتاريخي والفنون التقليدية من: "مثال قطع الأرض ومن تراتيب تنظيمية ويشتمل بالخصوص على البيانات التالية: (1) - العقارات المبنية أو غير المبنية الواجب الحفاظ عليها، (2) - العقارات المتداعية الواجب تهذيبها، (3) - المباني الواجب هدمها كلياً أو جزئياً لغرض أشغال عمومية أو خاصة، (4) - القواعد الهندسية الواجب احترامها، (5) - البنى الأساسية والتجهيزات الضرورية، (6) - القواعد الخاصة بتهيئة الساحات العمومية، (7) - الأنشطة الممنوعة لعدم استجابتها لمقتضيات الحفاظ على المناطق المصونة اعتباراً لخصوصيات تلك المنطقة".⁷⁷ ويخضع إعداد مثال الصيانة والإحياء لنفس الإجراءات التي يخضع لها مثال التهيئة العمرانية.

II - إجراءات مثال الصيانة والإحياء:

وبناء على ما سبق تعد الجماعة العمومية المحلية المعنية، في هذه الحالة البلدية (من المفترض مع المعهد الوطني للتراث)، مشروع مثال الصيانة والإحياء بالاشتراك مع المصالح المختصة ترابياً، وتكون في هذه الحالة المصالح التابعة للوزارة المكلفة بالتراث والوزارة المكلفة بالتعمير، يحال ملف مشروع مثال الصيانة والإحياء في خطوة ثانية على المؤسسات والمنشآت العمومية المعنية وعلى المصالح الإدارية الجهوية أو المركزية (عند الاقتضاء) للإدلاء برأيها وملاحظاتها الخاصة بالمثال، وذلك في مدة أقصاها ثلاثة أشهر من تاريخ اتصالها به، يعرض على أعقابها على المجلس البلدي بالزريعة الذي يأذن بتعليقه بمقر البلدية ليطلع عليه العموم ويتم إعلان استقصاء بوسائل الإعلام المرئية والمسموعة والرائد الرسمي لمدة شهرين، يقوم على إثرها رئيس البلدية إحالة مشروع المثال إلى المصالح المعنية بصفة مباشرة مرفقاً بالملاحظات والمعارضات الناتجة عن الاستقصاء⁷⁸.

⁷⁷ الفصل 22 من القانون السابق.

⁷⁸ الفصل 16 من القانون عدد 122 لسنة 1994 مؤرخ في 24 فيفري 1994، المتعلق بإصدار مجلة التهيئة الترابية والتعمير.

كما يحال المشروع آليا على المصالح المركزية لتدخل عليه عند الاقتضاء التعديلات الضرورية لتجعله متناسقا مع بقية أمثلة تهيئة المناطق المجاورة ومتلائما مع التراتيب العمرانية الجاري بها العمل. كما يتولى إحالة المشروع على المصالح الجهوية التابعة للوزارة المكلفة بالتعمير. ليحال في مرحلة نهائية بعد استكمال كل الإجراءات مرفق بكل الملاحظات والمقترحات المنبثقة عنها: ملاحظات المنشآت العمومية واعتراضات التي أسفر عنها الاستقصاء ورأي المصالح الجهوية، على المجلس البلدي للمداولة، لتتم المصادقة على المثال⁷⁹، بأمر من الوزير المكلف بالتراث والوزير المكلف بالتعمير بعد أخذ رأي اللجنة الوطنية للتراث⁸⁰.

III- مكونات مثال الصيانة والإحياء:

يعتبر مثال الصيانة والإحياء مستند لتعيين وحماية التراث الحضري، وهو وثيقة تعمير للمنطقة المصونة يحتوي في إطار تدبيره وأشغاله العملية كل الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والوظيفية والثقافية، وهو كذلك دليل للترميم والتممين أو الإحياء، ويتكون من:

III-1. تقرير تقديمي: وهي وثيقة تأليفية ذات طابع "بيداغوجي" تقدم تحليل شامل ودقيق للمنطقة المصونة، قرية الزريبة العليا في الحدود التي ستضبطها الأشغال والدراسات: التاريخ الحضري والاجتماعي ومواد وطبيعة البناء في علاقة بمعيشه ومصادره خاصة المتواجدة في المحيط المباشر والممتد للقرية والأفضية العمرانية العمومية ومميزات المشهد الحضري ومختلف وصلاته ومشاهده والعناصر التراثية اللامادية التي ارتبطت بالموقع بما في ذلك الروايات الشفوية والأساطير والملاحم... كما يعرض التمشي المنهجي في مسار دراسة وإجراءات المثال ويفسر مجموع اختياراته وتدابيره، إضافة إلى مقترح خطة عمل زمنية تفصيلية مرجعية لتنزيل المثال حيز الواقع.

⁷⁹ الفصل 17 من القانون السابق.

⁸⁰ الفصل 17 من القانون عدد 35 لسنة 1994 مؤرخ في 24 فيفري 1994، المتعلق بإصدار مجلة حماية التراث الأثري والتاريخي والفنون التقليدية.

III-2. الوثائق الخرائطية: وتتمثل خاصة في مثال تهيئة تفصيلي أو مثال قطع الأرض أو المثال الترتيبي، يكون في مقياس 1\500 أو ربما في 1\200 ويضبط مستقبل كل بناء من مباني القرية (مجال المنطقة المصونة)، تلك التي سيقع حمايتها نظرا لمميزاتها المعمارية وتلك التي تظهر خصوصيات حضرية تفترض الوقاية والبناءات غير المحمية والتي يمكن إعادة بنائها والبناءات التي سيقع تعويضها، كما يحدد المثال موضع البراحات الحضرية التي يجب المحافظة عليها وتلك التي يمكن أو يجب إحداثها والأشجار المحمية... إنها الوثيقة المرجعية لمثال الصيانة والإحياء. يرافقه مثال توزيع الارتفاعات أو تنطيق، في نفس مقياس سابقه ومكمل له، يحتوي على توزيع الوظائف حسب الجزيرات والأفضية العمرانية العمومية وارتفاعات المباني الموجودة والمبرجة، وذلك بهدف إدماج متناغم للكنتل في المشهد الحضري.

III-3. تراتيب أو ما تسميه مجلة التراث الأثري والتقليدي بالقواعد الهندسية: وتتطرق إلى قواعد صيانة التراث (تقنيات تقليدية وأغطية وواجهات تجارية ولافتات إشهارية ومعالجة أرضية وأثاث حضري...) وكذلك القواعد التي ستخضع على البناءات المحدثه والبراحات الحضرية.

III-4. وثائق أخرى أو ملاحق: وتحدد المرافق الصحية ضمن المنطقة المصونة والتغيرات التي ستتمس بعض البناءات والارتفاعات والأفضية التي ستخضع لتدابير خاصة...

وتتجسد الصيانة في عدد من الأعمال أو التدابير المتعارف عليها والتي توظف بشكل متوازي أو عدد منها أو يمكن أن يعتمد على إحداها فقط، وتمثل أساسا في أعمال التجديدⁱⁱ والتهديبⁱⁱⁱ وإعادة الهيكلة^{iv} وإعادة التأهيل^v وإعادة التوظيف^{vi} والترميم^{vii}... غير أن المقترح يذهب، إضافة إلى التدابير المذكورة والممكنة، في التفاعل مع متصورة طرحها جلال عبد الكافي (Abdelkafi, 2014, p10-11): وهو إعادة التجدد أو الإنبعاث أو الإحياء⁸¹ (مصطلح مستعمل في معجم مجلة التراث على معنى الإبراز والتثمين)، وهو مصطلح مقترض من علم الأحياء، ويفترض خاصة البحث في السمات "الجينية" للنسيج والمعمار والذهاب في عودته للحياة من خلال هذه السمات في هيئة مرئية نابعة منها وتستجيب للواقع والوظائف الجديدة التي سيلعبها النسيج الحضري والمعماري، إنها عملية تطويع المجموعة التاريخية لحاجيات الحياة المعاصرة، وهو عبارة أخرى عملية تنشيط اقتصادي تهدف إلى إحداث مداخيل مالية للبلدية وخلق مواطن شغل للسكان، وهي عملية إعادة تهيئة للحيز ذات طابع مستدام حيث يمنع استخدام السيارات داخل الأنسجة ويكون الحرص على التحسين الحذر للسكن وصيانة التراث الثقافي (Abdelkafi, 2014, p12).

وتقترح هذه الوثيقة التوجيهية أن يستند المثال إلى المبادئ الثلاث التالية: (1) - **التشاركية**: يجب أن تتم صياغة المثال ومختلف أشغاله ومكوناته بمنهجية تشاركية تفاعلية مع السكان المحليين العاديين وخاصة من أصحاب الملكيات في القرية والشخصيات المصادر والكفاءات العليا من أبناء الجهة والمجتمع المدني والسلطة المحلية والإدارات العمومية الجهوية المعنية... (2) - **المحتوى المعرفي العالي**: يجب الحرص على أن يكون منطلقات اختيارات المشروع بمحتوى معرفي عال بما من شأنه أن يجعله عنصر فاعل في تنمية شاملة للمنطقة، حتى لا تسقط النتائج النهائية في فخ "الفلكلور" والمنحى "السياحوي" السطحي، ويكون هنا خاصة على مستوى منطلقات المشروع والوظيفة أو الوظائف التي سيقع إدماجها في النسيج. (3) - **الإدماجية**: والمقصود هنا اتخاذ الإجراءات والتدابير التي من شأنها منح المشروع أكبر مقدار من الإدماجية في محيطه المباشر والممتد حتى يكون دوره التنموي والثقافي والمعرفي شامل على مستوى البلدية والولاية وحتى على صعيد وطني.

⁸¹الإحياء: يبدو أقرب لترجمة [Régénération]، غير أنه مستعمل لترجمة [Mise en Valeur] التي تبدو ترجمتها أقرب

للفظ التثمين أو الإبراز.

الباب الثالث: موجز خطة تنفيذية لمثال صيانة وإحياء قرية الزريبة العليا بناء على ما طرح في الباب الأول والثاني، يقدم البحث في هذا الباب موجز خطة تنفيذية لمثال صيانة وإحياء قرية الزريبة العليا، تطرح أهم ما يجب أن تشمله دراسة المثال وتقديره التقديمي ومخطط تراتيب التعمير المنبثقة عنه ليختتم الباب بعرض إجمالي للأشغال (أو الأنشطة) الضرورية لتحقيق أهداف المشروع، وذلك في إطار المبادئ المطروحة في الباب الثاني والتوجهات المقترحة التالية:

- إدماج أو زرع وظيفة جديدة أساسية، يمكن أن تصاحبها مجموعة من الوظائف الأخرى، بمحتوى معرفي عالي: علمي أو ثقافي أو إيكولوجي...

- تعزيز النفاذ للقرية ووصلها بمحيطها المباشر والممتد: على صعيد البلدية والولاية وعلى صعيد وطني،

- خلق منطقة وسيطة بين نسيج القرية من جهة ومحيطها المباشر، تكون بمثابة الارتفاق الذي من شأنه أن يزيد من إبراز القرية ويحمي تفاعلها البصري مع مجالها ويمثل مجال توقف عربات وتوزيع الوصل مع بقية المناطق،

- المحافظة على ثراء وتنوع الوصلات والمشاهد التي تتمتع بها القرية بشكل دقيق ومفصل ومسح المجال للتفاعل معها بشكل حي ومباشر،

- دعم صورة براحات القرية: الرحبة وبطحاء الفجة وبطحاء الزاوية، ويمكن خلق ساحات أخرى بعناية، وزرع أنشطة وتفاعلات من شأنها أن تبعث حياة جماعية ومشاركة في النسيج في إطار وظائفه الجديدة،

- تجهيز القرية بمختلف الشبكات: كهرباء وغاز وهاتف وتزويد بالماء الصالح للشرب وتصريف المياه المستعملة... بأسلوب لا يمس من الخصوصيات المعمارية والحضرية للنسيج.

I- التقرير التقديمي لمثال صيانة وإحياء قرية الزريبة العليا:

I-1. الإطار الحضري العام:

حتى يستطيع المشروع تحقيق أهدافه المرجوة من صيانة وإحياء القرية بأكبر قدر من الإدماجية والاستدامة، تقترح الدراسة أن يقدم المثال خطاطة تناسق على نطاق حضري واسع نسبيا يمكن أن يشمل المجال الترابي لبلدية الزريبة كما يمكن أن تلامس مجال الولاية أو مجال أشمل على صعيد وطني إن اقتضت الحاجة، فالقرية تندرج ضمن مثلث رمزي وحضري، يحتاج لمزيد الإثبات، يصل حتى أطراف ولاية سوسة. وتشمل الصميمة الكيانات الحضرية المتصلة بالقرية ومجمل الأنشطة والوظائف الكبرى والمرافق الجماعية التي تتوفر فيها والتي يمكن أن تستفيد منها القرية، إضافة إلى إمكانيات الوصل والنفوذ الموجودة والتي يمكن برمجتها.

ويقترح البحث في هذا الإطار إنجاز دراسة على صعيد محلي دقيق للمحيط الطبيعي والبشري ومجمل الأنشطة الموجودة والتاريخية وتلك التي يمكن إحداثها وتحفيزها، بناء على المعطيات الطبيعية والبشرية. ويعتمد في كل هذا على خبراء من مختلف الاختصاصات ذات الصلة، تمنح الأولوية لأبناء الجهة والبلدية من المختصين القادرين على الاقتراب والفهم الأكثر التصاقا بواقع القرية وبيئتها، يستعان في ذلك بالشخصيات المصادر والمجتمع المدني والإدارات الجهوية والمحلية المعنية.

I-2. نسيج القرية ومحيطها المباشر:

في المستوى الثاني من دراسة مثال صيانة وإحياء قرية الزريبة العليا نقترح أن تتم دراسة تفصيلية ودقيقة لنسيج القرية بشبكاته المختلفة: الشبكة العقارية وشبكة الطرقات والشبكة المبنية وشبكة البراحات، وجملة المكونات الاجتماعية والرمزية التي شهدتها القرية. كما نقترح أن يقع تحديد مجال يطوق نسيج القرية، في ما يمكن تسميته مدخر عقاري، تقع دراسة ملكياته العقارية وأنشطته الاقتصادية والبشرية وطوبوغرافيته... بنفس أسلوب دراسة نسيج القرية، بما يسمح بأفضل فهم لكل إمكانيات تفاعله مع المشروع بالقرية وبما من شأنه أن يمنحه أكثر إدماجية واستدامة. فالتحليل الجيولوجي والتاريخي على سبيل المثال يجعلنا على علم بالمواد الطبيعية الأرضية التي يمكن الاستفادة منها في إعادة البناء والتهيئة، كما يمكن للدراسة التاريخية لهذا المجال بأن تمنحنا فرصة تحديد المواضيع التي وقع الاستفادة منها في السابق والتي يمكن تهيئتها كأفضية "بيداغوجية"، ويمكن أن تندرج في هذه المساحة منطقة وسيطة لتوقف العربات وتوزيع المرور وفسح الرؤية للمشاهد المحيط وللقرية نفسها، كما تمنح القرية مجال ممكن لكل تصور توسعه مستقبلية بما ينسجم مع خصوصياتها الحضرية...

وتتطرق الدراسة على صعيد دقيق ومجهري لشبكة الطرق في النسيج ومرجعية ملكياتها المختلفة وأشكالها وتراتبها وعلاقتها بالموضع والطوبوغرافيا... بما يجعل مختلف الفاعلين في المشروع على دراية كافية في التعامل معها والنسج على منوالها لإعادة تهيئة الطرق التي قد تكون اختفت وكذلك الطرق التي يمكن برمجتها في إطار أي توسعة مستقبلية، كما تتطرق بنفس المقياس والرؤية للشبكة المبنية: تفاعل الحيز المبني مع العقار وتفاعله مع الطرقات وشكله العام وتشكّل ملامحه ومواد بنائه وفتحاته وأثاثه وتجهيزاته ومجمل محتوياته الرمزية والثقافية... بما من شأنه أن يؤسس لمنوال بناء قادر على إعادة تشييد بنايات منهارة بالكامل، وإنتاج بنايات جديدة ومعاصرة ومنسجمة مع الملامح الأصلية للنسيج.

ومن المهم في هذا الصدد صياغة التاريخ الحضري الدقيق للنسيج، ف"فهم أصل مكان ما وأصل شكله وأسباب تركيزه في النسيج، وذلك بعد زيارته أو قبل وفي الغالب قبل أو خلال الزيارة. نقارن انطباعاتنا مع المعلومات، وقائع وتواريخ، أمثلة- لتكامل المعطيات وتؤكد بعضها البعض أحيانا ويمكن أن تتناقض...- وبذلك تبني صورة المشهد". (Bertrandet Listowski, 1984, p7-8)، ومجمل التطورات التي شهدتها والفصل بشكل متقدم في مرجعيته، ولا بد أن يتم ذلك بالاستعانة بخبراء من أبناء المنطقة والشخصيات المصادر والمجتمع المدني والإدارات الجهوية والمؤسسات البحثية ذات الصلة... كما يجب أن تنجز الدراسة مبنى بمنى ونهج بنهج وساحة بساحة...

II- تراتيب التعمير والبناء لقرية الزريبة العليا:

وتتمثل في مجموعة من المقتضيات، التي تتجسد في فصول يمكن أن يتراوح عددها بين 25 و30 فصل لكل منطقة من المناطق التي سيحددها المثال، ذات الطابع الإلزامي والتي تترجم بشكل دقيق مجموع الاختيارات التي سيقومها مثال الصيانة والإحياء بما يمكن من تنزيلها على ملامح النسيج الحضري بمختلف مكوناته، وتضبط:

II-1. أصناف الأنشطة المسموح بها والمسموح بها بشروط وتلك المحجرة:

وهي الأنشطة التي يمكن السماح بها في المنطقة المصونة، باعتبار طبيعة المنطقة واختيارات التهيئة وتدابير الصيانة، وتلك التي يسمح بها بشروط قد تقيد المساحة أو الشكل أو حضور بعض التجهيزات... والأنشطة المحجرة نظرا لطبيعة المنطقة وتدابير الصون.

II-2. شروط إشغال الأرض:

وتتمثل في تحديد كيفية النفاذ للعقارات وقياس حوزة الأتھج وجملة التدابير الخاصة بمد الشبكات المختلفة: ماء وغاز وكهرباء... كما تحدد المساحة الدنيا للمقسم المحدث وطريقة تركيز البناءات بالنسبة للأتھج وللمقاسم المجاورة ونسبة إشغال الأرض والاستعمال العقاري والارتفاع الأقصى للبناءات...

II-3. البراحات:

وتهم المساحات العمرانية العمومية في النسيج (الساحات الموجودة والتي من الممكن إحداثها) وتحدد شكل البراح وطبيعة معالجته المختلفة: كيفية الإنارة (وهو جانب ربما يخضع لدراسة خاصة لإبراز الملامح المعمارية لعدد من معالم القرية) وكيفية الغراسات [إن وجدت] وطبيعتها وتناسبها مع الحيز العمراني العمومي وتفاعلاتها وتغيراتها في مختلف الفصول وانسجامها مع البيئة المحلية ومخزونها النباتي، والأثاث الحضري (مقاعد عمومية وسلات مهملات وقواعد مشبكة للأشجار [إن وجدت] ومعالجة الأرضية...) اللازم للسير الجيد للحياة داخل الحيز وموادها وألوانها وتوزيعها في مجاله بما يتناسب مع ملامحه ومقتضيات الصيانة...

II-4. المعمار والبناء:

وتحدد مدونة مواد وتقنيات البناء التي سيسمح بها في النسيج (أساسات وجدران وأغطية)، كما تحدد قياسات الفتحات (أبواب ونوافذ) ومعالجتها (نجارة وحديد مطروق...) والأشكال والزخارف التي يمكن أن تحتويها وكذلك الشأن بالنسبة للشرفات. كما يحدد ويضبط ملامح عناصر الزينة المعمارية: الجبهيات وأطر الأبواب والنوافذ والأفاريز والتصوينات والتعريشات... شكلها ومواد إنجازها وألوانها... إضافة إلى اللافتات الإشهارية: شكلها وقياساتها وطبيعة الكتابة فوقها...

II-5. الوصلات والمناظر المميزة:

ويهتم هذا الجزء بالمشهد الحضري الذي يمكن تعريفه كما يلي: "الأشكال والمظهر المادي للنسيج الحضري وملامحه المرئية، وجملة المناظر التي تحيط به وتتفاعل معه، والتي تتجسد في الواقع في مجموعة من الوصلات المختلفة والمتنوعة، حسب موضع المشاهد وحركته في داخل النسيج وخارجه... والتي تنتج في المحصلة صورة ذهنية لدى هذا المشاهد." (الخلواني، 2010). وحيث تتمتع القرية ببراء كبير على مستوى وصلاتها الداخلية كما على مستوى المناظر المفتوحة على مجالها المباشر والممتد، فإنه من الضروري ضبط كيفية معالجة المواضيع التي تتوفر فيها هذه الوصلات والمناظر والتدابير الدقيقة التي من شأنها المحافظة عليها ومنع تدخل، فار أو وقتي، من شأنه أن يشوهها أو يحجبها.

III- الأشغال المقترحة في إعداد مثال صيانة وإحياء قرية الزريبة العليا:

حتى تتمكن من تحقيق هذه الأهداف ونقدم مثال صيانة وإحياء ممثل للقرية ومعبّر عن خصوصياتها المعمارية والحضرية والمشهدية وقابل للتنفيذ بشكل عالي، يقترح المقال مجموعة من الأشغال التي يجب إنجازها خلال إعداد المثال وبشكل دقيق:

III-1. مسح وثائقي:

تحقيق واسع ودقيق يقع خلاله جمع الوثائق والأدبيات التاريخية والاجتماعية والعمرانية والثقافية والنصوص التشريعية والكتابات الصحفية والأعمال التشكيلية والسينمائية... والتي لامست قرية الزريبة العليا ومجموع القرى المماثلة لها، وذلك لدى الأرشيف الوطني والمؤسسات البحثية والأكاديمية والمؤسسات الإدارية العمومية المعنية... يقع خلاله تشريك كل الفاعلين المعنيين في المشروع بما في ذلك الشخصيات المصادر والمجتمع المدني والخبرات والكفاءات المحلية والجهوية...

III-2. استشارة جهوية حول المشروع:

بمناسبة استطلاع رأي يستهدف كل الإدارات والمؤسسات العمومية والكفاءات الجهوية والجماعات المحلية المعنية، ويتمحور حول القرية وكل المقترحات والتصورات التي يمكن تقديمها حول حاضرها ومستقبلها.

III-3. استشارة محلية:

عبارة عن استطلاع رأي، يأخذ شكل ورشات عمل تشاركية وتفاعلية، تشمل الشخصيات المصادر والباحثين والمجتمع المدني من مواطني بلدية الزريبة، وتتمحور حول القرية وتاريخها ومواد بناءها ومصادرها والمعيش اليومي التاريخي للقرية وجملة التمثيلات التي تدور حولها والمحتوى الرمزي للنسيج (أساطير وروايات شفوية وممارسات يومية ومعتقدات مرتبطة بمكون أو مكونات من القرية...) وتصوراتهم حول مشروع صيانة القرية.

III-4. مسح ميداني:

يتمثل في مسح ميداني دقيق يشمل النسيج، مبنى بمنى، بناء على بطاقة تحقيق يقع إعدادها بشكل مسبق وتشاركي بين الإدارات المختصة والمجتمع المدني والكفاءات المحلية، وترصد ملكية العقار ومكوناته ومواد بناءه وفتحاته ومعالجاته المختلفة وزينته ووضعيته الحالية بشكل دقيق ومفصل.

III-5. إعادة بناء رقمي:

يتمثل في إعادة بناء رقمي للنسيج بمختلف مكوناته وأفضيته، ويكون في شكل ثلاثي الأبعاد وديناميكي بما يسمح بعملية مملئة رقمية دقيقة تمكن خاصة من أخذ كل القرارات والتدابير الخاصة بحماية الوصلات والمشاهد المميزة في القرية وتأمينها وتدابير الصون...

III-6. ورشات سيناريوهات الصيانة:

ويتمثل في سلسلة من الورشات التشاركية والتفاعلية وتضم كل المعنيين بالمشروع والمساهمين فيه: شخصيات مصادر ومجتمع مدني محلي وخبرات ومؤسسات عمومية جهوية ووطنية... وتهدف إلى صياغة سيناريوهات مشروع الصيانة: إعادة توظيف وإحياء القرية، تتوج بثلاثة صيغ كبرى تعرض على الاستفتاء المفتوح لدى السكن الملحين والإدارات الجهوية في إطار إجراءات المثال.

خاتمة:

في خاتمة ما عرض يمكننا أن نقترح أن يتم منح القرية أو بعض أجزائها وظائف جديدة بمحتوى معرفي وثقافي عال، فعلى سبيل المثال يمكن تحويل القرية إلى مركز تصوير سينمائي وسمعي بصري في شكل منتزه تاريخي بمعيش يحاكي بدقة عالية الحياة التقليدية الأصلية ويستقبل خلال الأيام العادية الزيارات السياحية الثقافية والبيداغوجية ويستقبل خلال مواسم معينة تصوير الأعمال السينمائية والسمعية البصرية، ويمكن في هذا الصدد أن يتم إحداث مؤسسة تجمع كل المالكين العقاريين في المنطقة المصونة المفترضة وبعث شركة تشرف على إنجاز المشروع.

كما يمكن أن تذهب المؤسسة في تصفية الملكية العقارية للقرية بشكل دقيق وبيعها لمجموعة من أبناء أهالي القرية ومواطنيها (مصممين ومهندسين وأطباء وفنانين تشكيليين...) يلتزمون بالبناء وإعادة البناء حسب مقتضيات تراتيب مثال صيانتها وإحيائها وإدماج عيشهم المعاصر في أفضيتها وإنشاء حياة جديدة للقرية والاستفادة من رصيدها العقاري، مع العمل على إيجاد هياكل استقبال وفعاليات ذات قدرة عالية على استقطاب الزيارات المختلفة للقرية وتأمين تراثها الثقافي المادي واللامادي.

المراجع:

- الأبيض، محمد. (2020). تراث في الذاكرة. الزريبة العليا، الزريبة: تونس. نشر الكاتب.
- الحسين، عبد الرزاق. (2004). صيانة المدينة القديمة: دراسة تقييمية لتجارب فاس وتونس وحلب. أطروحة دكتوراه في التعمير، تونس، المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية والتعمير.
- الحشايشي، محمد عثمان. (1994). العادات والتقاليد التونسية، الهدية أو الفوائد العلمية في العادات التونسية، تحقيق: الجيلاني بن الحاج يحي، تونس، دار سراس للنشر.

الخلواني، ياسين. (2010). دور أدوات التهيئة العمرانية في تشكيل المشهد الحضري للمدينة التونسية المعاصرة؛ مدينة حمام الزريبة (ولاية زغوان) نموذج. الملتقى الدولي "المشهد والمدينة في المغرب العربي؛ من التفكير إلى المشروع"، تنظيم: جمعية الجغرافيين التونسيين ووحدة البحث المدن والتهيئة والتنمية. الخلواني، ياسين. (2018). أهم الأيقونات العمرانية بولاية زغوان. في ياسين الخلواني ومنى الخلواني ومحرز داود (محرر)، مختارات من الأيقونة التراثية بولاية زغوان (ص ص. 175-198). زغوان: تونس، جمعية آراء للمدنية والمواطنة بالشراكة مع دار الثقافة أبو القاسم الشابي بزغوان والمندوبية الجهوية للشؤون الثقافية بزغوان بدعم من مؤسسة المورد الثقافي.

Abdelkafi, Jallel. (2014). **Pour unenouvelle stratégie de l’habitat. Réhabilitation de l’habitat ancien et régénération urbaine des centres historiques (Diagnostic et recommandation)**. Tunis: Ministère de l’Equipement, de l’Aménagement du Territoire et du Développement Durable.

Ayadi, Nouri. (1984). **Potentialités locales et développement régionale, Habitats et modes de vie à Zriba village**. Thèse de Troisième Cycle en Architecture. Tunis: Tunisie, Institut Technologique d’Arts d’Architecture et d’Urbanisme de Tunis..

Bertrand, M. etListowski, H. (1984). **Les places dans la ville**. Paris, Bordas; Coll : Dunod.

Bouguerra, Mohamed. (2017). **Régénération d’un village Berbère au Nord–Est de la Tunisie «ZribaOlia»**. Projet Fin d’Etudes en Architecture. Tunis: Tunisie, Ecole Nationale d’Architecture et d’Urbanisme. .

Djerbi, Ali. (1995). **ZRIBA; Un village abandonné**. Architecture Méditerranéenne, 45.

EcheikhEzaouali, Nouha. (2010). **Pour un habitat écologique en Tunisie: leçons tirées de l’architecture vernaculaire de Takrouna et Zriba Alia**.Mémoire de Master, Tunis: Tunisie, Institut Supérieur des Beaux Arts de Tunis.

Gaceur, Wassila. (2008). **Vers un Plan de Sauvegarde et de Mise en Valeur de Nafta (Cas du quartier de Lahzamia)**. Mémoire de Master professionnel en Etude et Sauvegarde du Patrimoine Architectural et Environnemental, Projet: Etude, sauvegarde et valorisation des villes Oasis en Tunisie, Intervention pilote à Nefta, Université de Carthage et Université Méditerranéen de ReggioCalabria, Tunis: Tunisie ; Ecole Nationale d'Architecture et d'Urbanisme et Faculté d'Architecture.

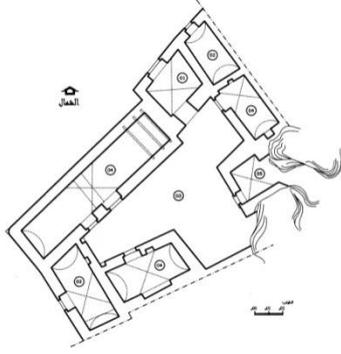
Grossin, Jean,. (1953). **Etude d'économie villageoise: le village de Zriba Tunisien**. B.E.S.T., 74, 60-68.

Jouini, Faouzia. (2003). **Vers un village touristique intégré à ZRIBA: Rénovation, restauration, réhabilitation**. Mémoire Fin d'Etudes en Architecture, Tunis: Tunisie, Ecole Nationale d'Architecture et d'Urbanisme.

Khemiri, Myriam. (2017). **Résurrection d'un village Berbère. Un musée-mémoriel à ZribaOlya**,Mémoire Fin d'Etudes en Architecture, Tunis: Tunisie, Ecole Nationale d'Architecture et d'Urbanisme.

Ville d'Arles. (Novembre 2015). **Plan de Sauvegarde et de Mise en Valeur de la ville d'Arles, Rapport de présentation**. Ville d'Arles-DRAC PACA- STAP des Bouches-des-Rhône.

الشواهد:



شاهد 2: مثال أحد مساكن الزريبة العليا.

(01) - مدخل معقف، (02) - متجر، (03) -

متجر، (04) - غرفة، (05) - مخزن.

المصدر: العيادي (فوزي)، المقومات المحلية والتنمية

الجهوية؛ السكن ونمط الحياة بالزريبة قرية (باللغة

الفرنسية)، أطروحة مرحلة ثالثة في الهندسة المعمارية،

تونس، المعهد التكنولوجي للفنون والهندسة المعمارية

والتعمير بتونس، 1984، وأعاد رسمه ببرمجية الأوتوكاد،

ياسين الحلواني.



شاهد 1: مشهد قرية الزريبة العليا في تفاعلها مع

الطوبوغرافيا.

Source: AYADI (Nouri), **Potentialités**

locales et développement régionale,

Habitats et modes de vie à Zriba

village, Thèse de Troisième Cycle en

Architecture, Tunis, Institut

Technologique d'Arts d'Architecture et

d'Urbanisme de Tunis, 1984, pdg.



شاهد 4: جانب من كتلة جامع قرية الزريبة العليا ومعذنته

تصوير: ياسين الحلواني



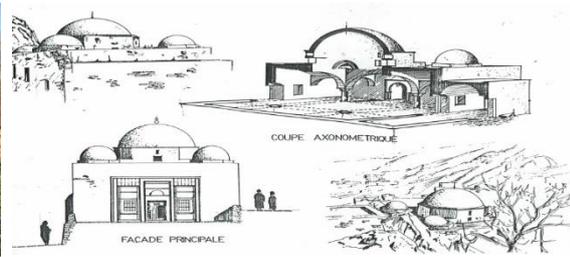
شاهد 3: سكيفة مصنوعة من الخشب

تصوير: ياسين الحلواني



شاهد 6: مشهد مفتوح على القطاع الغربي لقرية الزريبة العليا

تصوير: ياسين الحلواني



شاهد 5: زاوية سيدي عبد القادر بالزريبة العليا

Source: AYADI (Nouri), **Potentialités locales et développement régionale, Habitats et modes de vie à Zriba village**, Thèse de Troisième Cycle en Architecture, Tunis, Institut Technologique d'Arts d'Architecture et d'Urbanisme de Tunis, 1984, p131.

المراجع

- 2 لقد عرفت العديد من القرى والبلدات البربرية عبر البلاد صيرورة مماثلة أو مشابهة؛ مثل "الدويرات" من ولاية "تطاوين" بالجنوب التونسي...
- 3 منبع المياه المهنية الحارة؛ "الحمام": يوجد جنوب غرب مدينة حمام الزريبة التي تستمد تسميتها منه، وشمال غرب قرية الزريبة العليا، ويعود هذا المنبع إلى العصور القديمة، وهو مرتبط جيولوجيا بظاهرة "بشق القباب الجوراسية". ويعتبر مستوى الماء لهذه العين حاليا منخفض مقارنة بمستواها في العهد الروماني، ويعود ذلك لانسداد بعض الشقوق برواسب كربونية. يتراوح معدل تدفق المياه بهذه العين بين 6 و25 ل\ث بدرجة حرارة 46°، وهي كبريتية ذات درجة إشعاعية مرتفعة، مما يعطيها منفعة طبية هامة... وهو يستقطب حوالي مليون زائر سنويا.
- 4 مكرم بالحاج الصغير: رئيس جمعية صيانة الزريبة العليا وعضو مجلس بلدية الزريبة .
- " 5 قبل يوم العرس تتصدر العروس مع صاحباتها بالفجة على أنغام الطبل ثم تذهب بعد ذلك الى الحمام [...]"، الأبيض (محمد بن علي)، "مختصر من العرس التقليدي بالزريبة العليا قديما"، ضمن صفحته على الفايس بوك باسم ولد الفجة، 12 و18 ديسمبر 2016.
- 6 شونة (Grenier) تكون تحت أرضية بالكامل أو جزئيا، حجرة تحدث تحت مصطبة "الدكانة" وتخصص لحزن بعض المواد أو الأغراض المنزلية أو لوظيفة صحية...
7 الأبيض (محمد بن علي)، المرجع نفسه.
- " 8 الساباط: سقيفة بين حائطين أو معبرة بين دارين تحتها ممر أو طريق."، بوذينة، محمد. (2008). العمارة في تونس: المصطلح-الدلالات-الإبداع. فيقراءة في الفكر المعماري والعمراني العربي والإسلامي، تونس، جامعة الزيتونة، المعهد العالي لأصول الدين، منشورات وحدة فقهاء تونس، ص170.
- 9 قرار من وزيرة الشؤون الثقافية بالنيابة مؤرخ في 21 جانفي 2021، متعلق بحماية معالم تاريخية وأثرية.
- 10 معلومة أكدها محي الدين البديوي، وهو أستاذ تاريخ وسياسي سابق، ويعتبر من الشخصيات المصادر في المنطقة، بناء على صورة نشرت للقرية سنة 1882 لا توجد فيها الزاوية، على صفحة الفايس بوك.
- 11 لفصل 3 من القانون عدد 35 لسنة 1994 مؤرخ في 24 فيفري 1994، المتعلق بإصدار مجلة حماية التراث الأثري والتاريخي والفنون التقليدية.
- 12 الفصل 16 من القانون السابق.
- 13 الفصل 18 من القانون السابق.
- 14 الفصل 22 من القانون السابق.
- 15 الفصل 16 من القانون عدد 122 لسنة 1994 مؤرخ في 24 فيفري 1994، المتعلق بإصدار مجلة التهيئة الترابية والتعمير.
- 16 الفصل 17 من القانون السابق.
- 17 الفصل 17 من القانون عدد 35 لسنة 1994 مؤرخ في 24 فيفري 1994، المتعلق بإصدار مجلة حماية التراث الأثري والتاريخي والفنون التقليدية.
- 18 التجديد (Rénovation) تتمثل في عملية هدم لمساكن في حالة سيئة وغير صحية أو بقايا مصانع أو موانئ وذلك بهدف تحديث المدينة أو قطاع منها. وتظهر هذه الأعمال ثقيلة من الناحية المؤسسية والقانونية، إضافة إلى تكلفتها المادية الباهضة والالتزامات التي تنبثق عنها فيما يخص إعادة إيواء السكان وما ينجر عنها من مشاكل اجتماعية واقتصادية، كما يهدد التجديد الحضري المدينة أو جزء منها بفقدان طابعها المعماري والحضري

19 التهذيب (*Réhabilitation*): تمس أعمال التهذيب تراث معماري وحضري مهجور وفي وضعية متدهورة وخاصة في المجموعات التاريخية أو التقليدية، وهي عمليات ذات ثقل تشريعي ومؤسسي ومالي كبير، ولكنها في المقابل تظهر إيجابية عالية فيما يخص حماية وصيانة المرفولوجيات الحضرية والأنواع السكنية ذات القيمة التراثية الثقافية والعقارية. وتذهب هذه السياسات إلى حد المحافظة على الملامح الخارجية للبناء (الواجهة بمكوناتها وزخارفها) فيما يقع إعادة هيكلته وتوظيفه بشكل تام من الداخل.

20 إعادة الهيكلة (*Restructuration*): إجراء حضري أكثر من المعماري يتمثل في إعادة نحت ملامح الطرقات داخل الأنسجة الحضرية بغية الوصول إلى أفضل وظيفية ومرونة وإيجاد مقاسم ذات قابلية للبناء. ويتم في هذا الإطار الإطاحة بالمباني المتدهورة دون التركيز على قيمتها التاريخية.

21 إعادة التأهيل أو التكييف (*Requalification*): وهو إجراء معماري يهدف إلى تطوير المساكن القديمة للمعايير الحديثة للسكن والحياة، وهو إجراء تستعمله الشركة الوطنية العقارية للبلاد التونسية ووكالة التهذيب والتجديد الحضري.

22 إعادة التوظيف (*Réaffectation*): تعطي هذه السياسة أهمية لوظيفة المباني التاريخية وذلك من خلال إعطائها وظائف جديدة لتواكب المتغيرات والحاجيات الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة، بحيث يكون التدخل طفيف على بعض الأفضية الداخلية وبعض العناصر المعمارية التي لا تمس من الملامح الكلية للمبنى بل على العكس تحافظ على جل مكونات هويته. ومن مميزات هذه السياسة التخفيف من عبء سوء الاستخدام والحد من تدهور حالة المباني وتخلق في المقبل فرص استثمارية جديدة في المدينة وتعزيز القيمة الرمزية للمباني التاريخية. وتفترض هذه السياسة حسن اختيار الوظيفة الأكثر مناسبة للمبنى وأن يكون التدخل عليه طفيف وترجح في هذا الصدد كوظائف: الفعاليات الثقافية والسياحية والإدارية.

23 الترميم (*Restauration*): إجراء معماري مرتبط بالبناءات التراثية، ويتمثل في إعادة جزء من بناء أو بناء بأكمله إلى وضعيته الأصلية بالاعتماد على التقنيات الملائمة. وتتطلع هذه الأشغال إلى الصيانة والمحافظة على الطابع التاريخي. وتتعامل هذه السياسة مع بنايات منفردة وتتم بالقيمة الثقافية للأثر وليس بالقيمة الوظيفية أو الاقتصادية.

24 الإحياء: يبدو أقرب لترجمة [*Régénération*]، غير أنه مستعمل لترجمة [*Mise en Valeur*] التي تبدو ترجمتها أقرب للفظ التثمين أو الإبراز.

تأثير العلاقة بين التراث الثقافي والإنسان في إحياء المدينة القديمة

The impact of the relationship between cultural heritage and the human in revive of the ancient city

المهندسة المعمارية: عبير سنيور

ماجستير في تخطيط المدن والبيئة سوريا

الملخص

تعاني اليوم العديد من المدن من انقطاع العلاقة المكانية - الاجتماعية والتواصل بين المركز التاريخي للمدينة والجزء الحديث منها ويتمثل هذا الانقطاع في هجر فراغات المركز التاريخي والانكماش الذاتي للسكان على أنفسهم مما أحدث شخراً في الهوية الاجتماعية للمدينة ، وفي كثير من الأحيان تنعكس هذه الظاهرة في المشهد الثقافي للمدينة بالكامل ، بناء على هذه المشكلة البحثية سيتم دراسة مدينة طرطوس الساحلية في سوريا بإعطاء لمحة موجزة عن تاريخها وأهم مكوناتها الأثرية وتحليل التكوين المكاني للمدينة القديمة فيها باستخدام نظرية Space syntax لتحديد أهم المساحات التي تشجع التفاعل الاجتماعي فيها ثم سيتم اقتراح حل تصميمي - تخطيطي يسعى إلى تنشيط المدينة القديمة في طرطوس ودمجها اجتماعياً ومكانياً مع المدينة الحديثة وتوصل البحث إلى أن إهمال التجديد العمراني في المدينة القديمة التي تعاني من الهشاشة الحضرية أدى إلى تعطيل العلاقة بين الإنسان والتراث الثقافي في المدينة وهذا بدوره انعكس في المشهد التاريخي للمدينة الذي تميز بالتنوع والتماسك عبر العصور وانتهى البحث بعدة نتائج في تحليل تأثير الحل المقترح اقتصادياً واجتماعياً على السكان بشكل خاص وعلى تحقيق التنمية المستدامة بشكل عام .

الكلمات المفتاحية : التراث الثقافي ، المدينة القديمة ، الإنسان ، الفراغ العمراني

ABSTRACT :

Many cities today suffer from the interruption of the spatial-social relationship and communication between their historical center and their modern parts, and the form of this discontinuity is an abandonment of the voids of the historical center and a self-contraction by the population, which has generated a rift in the societal identity in the city . and in many Sometimes this phenomenon is reflected in the cultural scene of the city as a whole, based on this research problem, the Syrian coastal city of Tartus will be studied after giving a brief overview of its history and the most important heritage components present in the old city and analyzing it using the space syntax technique to identify the most important spaces that encourage social interaction in the old city Then, a design and planning solution will be proposed that seeks to revitalize the old city and integrate it socially and spatially with the modern city of Tartous, based on several criteria that will be drawn from studying the importance of urban revitalization in the old city, which suffers from urban fragility, weakened the formation of the city and led to the disruption of the relationship between human and cultural heritage in The city and this, in turn, was reflected in the historical city scene, which was characterized by diversity and cohesion in Antiquity .

The research ends with several results to analyze the impact of the proposed solution economically and socially on the population in particular and on achieving sustainable development in general.

Keywords: cultural heritage, Oldcity, human, urban space.

RESEARCH IMPORTANCE :

The importance of the research comes from its attempt to contribute to reviving the cultural scene of the old city and its harmony with the scene of the modern city. Based on the basic relationship of the identity of the residents and the legitimacy of their presence in the city, and mainly from the resilience of the residents in their spaces, the activation of their normal life and their acceptance of others in their spaces.

- The proposed design seeks to revive the city through all its heritage components. Each part has a distinct function that is in harmony with the functions of other historical parts in a rhythm that will revitalize and protect its identity at intervals of the whole day.

The use of space syntax theory in determining the most important spaces that should be Activate it to attract people and events to the Old City .

Urban revitalization : urban revitalization implies growth, progress, and infusion of new economic activities into stagnant or declining cities that are no longer attractive to investors or middle-class households. [1]

It is a method adopted by several cities to recover from cases of crime, mass unemployment and racial tension that leads to the deterioration of the social, economic and political fabric in City [1] , and the accompanying neglect of heritage buildings .

Previous studies recommended the necessity of a honest assessment of the city situation as well as residents perceptions[2] .

CULTURAL HERITAGE AND SUSTAINABLE DEVELOPMENT :

The International Conference at the Changdu International Conference identified its commitment to the basic pillar of the UNESCO Convention on the Protection of the Intangible Cultural Heritage, which constitutes a guarantee for achieving sustainable development.[3] Cultural heritage is not limited to historical monuments and collections of archaeological artifacts only, but rather includes traditions and living expressions inherited from ancestors and which will be passed on to generations.

Such as rituals, traditional craftsmanship, and oral traditions (the living aspects of the population)[4]

UNESCO promotes the mobilization of culture in urban societies as a means of promoting a culture of tolerance, understanding, peace, reconciliation and reconstruction.

One of its forms is supporting cultural tourism and its management in a sustainable manner, as cultural tourism can help reduce poverty, create job opportunities and advance the economy by increasing the competitiveness of heritage tourism places and linking them to local activities and industries such as re-use of historical buildings and investment in artistic works in public places and the importance of Museums in promoting social cohesion[3]

THE IMPACT OF THE RELATIONSHIP BETWEEN MAN AND CULTURAL HERITAGE:

The essence of this relationship is reflected in the urban spaces in the city where socio-spatial practices occur and are important as sites of social harmony and interaction where a sense of belonging arises.

Today, there is a trend towards shifting the focus from material intervention to an approach that includes social contexts of cultural heritage, where community participation becomes an indispensable component of contemporary conservation practices. [5]

However, it should be carried out with mechanisms consistent with the specificity of each region and to find a means of communication and dialogue between all the actors in the project to revive the old city.

Therefore, research is reviving the old city of Tartous by relying on the urban void and community participation to open spatial, visual, functional and social links between the city and its historical center.

The following Table shows a summary of the relationship between cultural heritage & human and its impact on the revival of the ancient city, as deduced from the previous:

the relations - hip between Human and cultural heritage	Open urban spaces	Natural	Revive the ancient city
	Accessibility	Visual	
	Highly active and activities	Physical	
	Security (visual control)	Economica	
	Urban furniture elements in the space		
	Revitalization of historic buildings		
	Balance between buildings and green spaces (afforestation of spaces)		

Table (1) Prepared by the researcher

OLD TARTOUS CITY

The ancient city of Tartus occupies the waterfront of the city of Tartus, with an area of about 20 hectares, bordered by the sea in the west. [6]



the shape (1) source General Directorate of Antiquities and Museums

The following table shows the most important historical stations in the old city of Tartous :

The Phoenician kingdom	Associated with Arwad Island as a land site for defense [7]
In the year 333 AD	the Romans called it Antradus [8]
Christianity in the third and fourth centuries AD	Saints Peter and Luke visited the ancient city on their way to Rome Saint Luke painted an icon of the Virgin and consecrated the church in the name of the Virgin as the first church in the world [8]
In the Islamic period	A copy of the Caliph's Qur'an was preserved in Medina[9]
The Crusader period	It was famous for making camelos, a colorful fabric worn by princes and kings[8]
In the Mamluk era	It was named after its current name, Tartous . [10]

Table (2) Prepared by the researcher

Urban Formation Of The Old City Of Tartous:

The ancient city of Tartus was built in the Crusader period to be a fortress and then turned in the Islamic period into adjacent residential houses built inside the castle's buildings and on its ruins and was characterized by contiguous dwellings overlooking alleys (narrow streets.) [11]

tangible and intangible cultural heritage in the ancient city of tartus :

1- The Knights Church:

It takes a rectangular shape with four rows of caravans, where there are no windows. The roses on the locks of the arches are the important decorations, and the building was subjected to a great distortion. A small part of the roof remained. [12]

2- The cathedral (now the museum)

It is a Latin church that shows the influence of Gothic art in the decoration of the capitals of the columns and is used today as a museum of antiquities collections in Tartous[12]

3- The public bath:

It consists of sections: Al-Barani Al-Jawani and Al-Wastani, which are moved between them by a corridor covered with spherical domes interspersed with pottery skylights covered with crystals.



the shape (2) by the researcher Personal investigation 2021-4-1

Based on the above , Previously, the ancient city of Tartus is distinguished by its historical diversity and strategic location, by the spatial and functional relationship with the sea However, it suffers from several basic problems:

Infrastructural problems (poor sanitation, bad streets)

The physical condition of some buildings due to their neglect and the absence of restoration and additions contrary to the heritage architectural character

Complex ideology: which delineates imaginary boundaries around the Old City due to the lack of societal awareness among the residents inside the Old City

All these problems led to the abandonment of the old city and the absence of effective investment projects .

Many previous studies included recommendations to eliminate housing irregularities, compensate residents with homes in the modern city, and restore shops to their original form

The most important renewal programs that was introduced to the old city of Tartous : The full interventions project [13] with the participation of a European team that includes the

municipalities of Palma (Spain), Bergamo (Italy), Beirut (Lebanon), Alicante (Spain) in 1997.

It aims to support municipalities by the World Federation of United Cities

The intervention was divided into: 1- Socio-economic recovery

2- Integrated rehabilitation of the architectural heritage

3- The mechanism used included: interest in urban scenes and their visual perception. 4- The study of the resident population, the study of urban spaces, green areas and public spaces, the uses of ancient buildings, and the dynamic renewal of housing. [13]

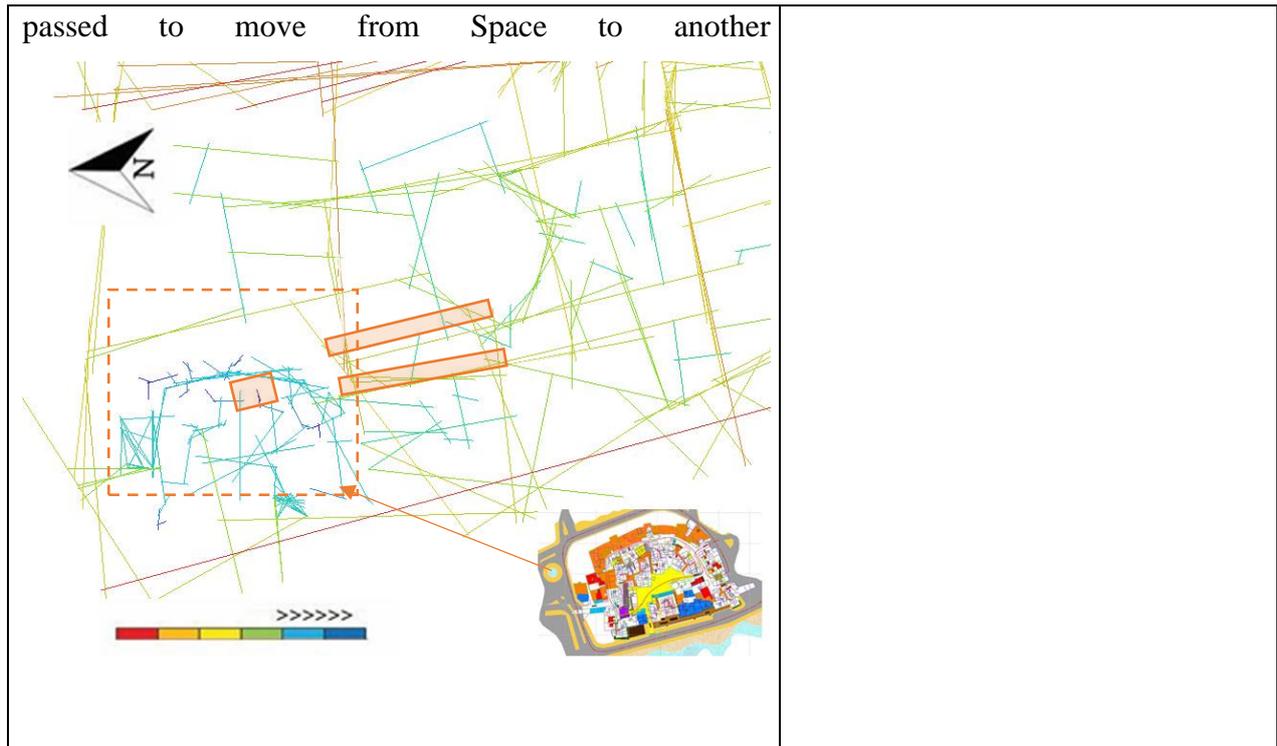
As for modern restorations, they are carried out under the supervision of the General Directorate of Antiquities and Museums in Syria , a building in the old city square was converted into a heritage hotel , as for the heritage cellars, they are used as galleries to display the traditional crafts .

However, some important local industries that shape the history of the city, such as boatmaking and fishing, have been absent from revival attempts .

ANALYZING THE URBAN SPACES IN THE OLD CITY OF TARTOUS USING SPACE

SYNTAX :

<p>Space Syntax theory depends On chromatic values where the red lines have the highest integrals While gradually decreasing until the blue color reflects the lowest values of integration[14],Integration is Nested spaces that must be</p>	<p>The axes extending towards the historic center have average integral values</p> <p>While the highest degree of integration is in the square of the historic center, which confirms its importance and the necessity of activating it</p> <p>While the lowest values of integration are in the alleys that lead to residential houses inside the old city, and this is consistent with the characteristic of depth that is characterized by blocked alleys.</p>
---	---



the shape (3) by the researcher

SWOT ANALYSIS OF THE HISTORICAL CENTER:

Strengths	Weaknesses	Oppertenities	Threats
The presence of a trench surrounding the center, which is currently an empty area	Lack of green spaces within the center	the sea	High rises for modern real estate next to the center
The presence of gates marking the entrances to the center	Neglected narrow alleys	Proximity to the modern center	Lack of residential use around it
square in the middle of the old city	Marginal spaces	Public transport	There are no pedestrian paths
Reactivation of some buildings	The absence of street furniture, resting seats	Arwad Port	The absence of festivals in it

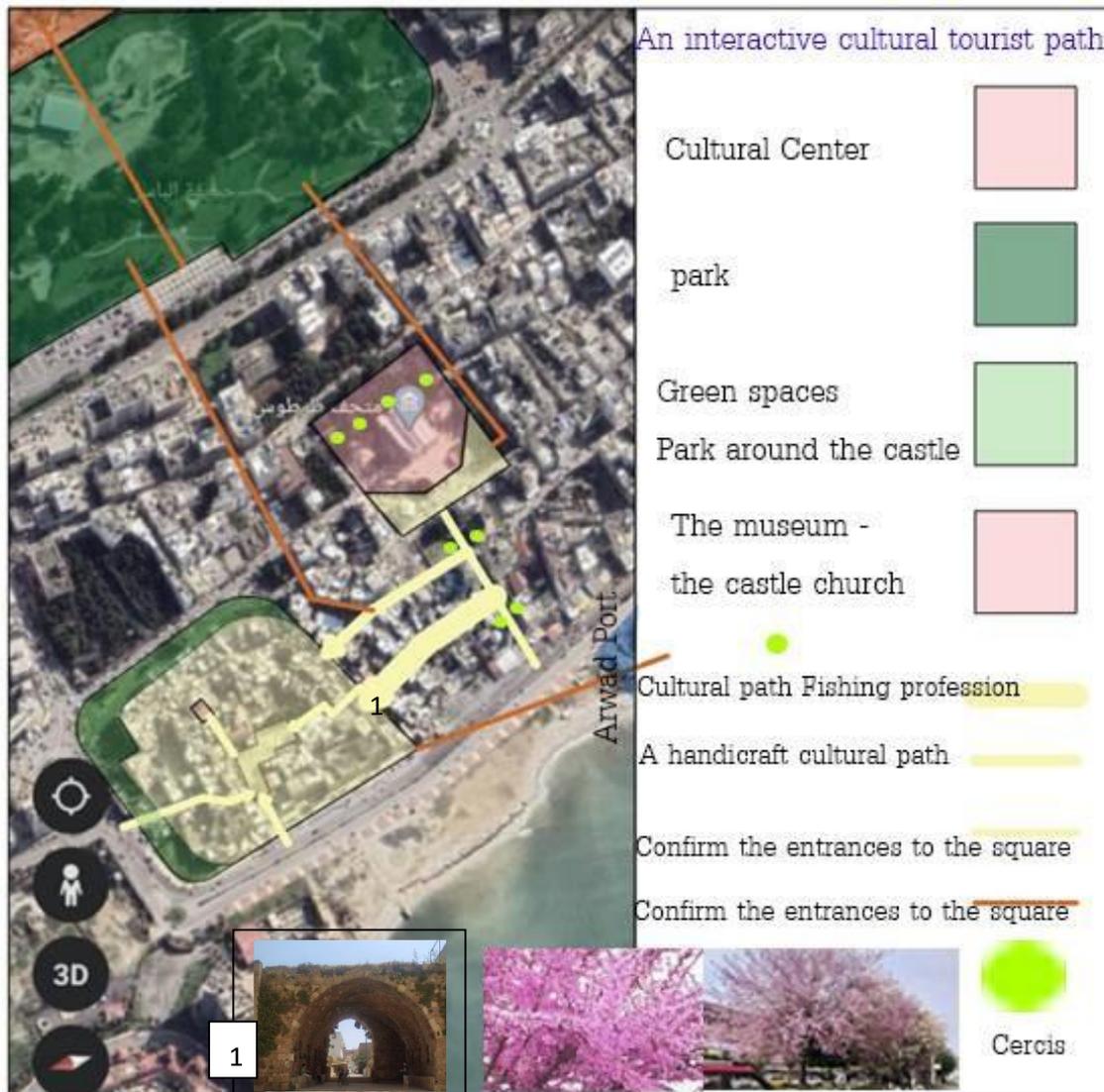
Table (3) by the researcher

SUGGESTED PLANNING SOLUTION:

Integration of the proposed solution with a cultural festival held on a seasonal basis in the city and reviews and dialogues between residents of the center, officials and university students And the creation of a website for the festival through which donations are collected from various people interested in reviving the ancient city scene

As a means of communicating with expatriates, many residents of the studied historic center are outside the country

When they see pictures of the neighborhood they grew up in, they should visit the website



the shape (4) by the researcher

An interactive cultural and tourism path that connects the museum (formerly the cathedral) with the old city square and ends in the castle church, the most important stations in it: **1-The museum (cathedral) previously:** removing the metal fence around the museum and merging

the museum garden with the public space in front of it, removing the dense trees in the museum garden that limit visual contact between the pedestrians and between the museum building and between the museum and the sea, reorganizing the garden and placing platforms to display some outdoor sculptures Planting some trees of a kind *Cercis siliquastrum*[15] , which constitute the heritage of the city, and it is a coastal Mediterranean tree with a beautiful appearance, Suggestion of decorative elements on both sides of the museum made of mirrors Its function is to attract people and view their photos in an integrated manner with the Heritage Museum on one side and with the sea on the other .

2-The first pedestrian path, paving with stones, connects the empty space of the museum square and the old city square, and the activation of the shops on both sides of it with local products and the existing heritage industries (embroidery of fabrics, making local sweetness ...)

3-The second pedestrian path: The museum square also connects to the old city square and is dedicated to introducing the profession of fishing and traditional restaurants that provide fish meals and tools that are used in the sea The profession of making boats and this path was chosen for its proximity to the Arwad port, the port dedicated to transporting passengers And traditional popular restaurants that serve fish meals .

4-Adding urban furnishing elements such as lighting - seating seats - identification signs

5-The Old City Square: The main task is to change the reputation and attract people to the square and consider it a public, social and cultural space, as it is the main station in the proposed path. There is currently one cafe in which only men meet. Must attract different genders and ages and taking into account people with special needs in shaping the square with a flexible design and this will provide an element of safety as people tend to places that have visual control Sidewalk restaurants are open by locals to bond with others.

Activating and restoring the Ottoman bath next to the square

And activating the galleries with paintings on the history of Tartous and the Mediterranean coastal cities that share a rich history .

6-The interactive path ends with the castle chapel, the mysterious important part of this trip Rehabilitation and restoration of the church and the completion of the destroyed part of its roof with a frosted roof to protect it from the rain and allocate its function with the phrase ((Memory to Tartous))

One of the most important elements of belonging is to activate an illusory relationship between a person and the city to create a collective memory where the visitor writes or draws something for the city of Tartous and writes his name and he will return to this city one day .



the shape (5) by the researcher

IMPACT OF THE PROPOSED SOLUTION:

1- On the city scene: breaking the boundaries between the residents of the historic center and the modern part of the city, thus the proposed design brought about a process of social inclusion in stages, and this ensures the periodic review and evaluation of progress in achieving the goal and the maintenance of spaces periodically .

Presenting the historical city as a heritage tourism product that supports the local economy

2-Changing the reputation and creating a collective memory

Separation is not and will not be a solution in the historical regions. The details of the beautiful city must be entered into .

3-The proposed project will encourage investments that will be supervised by those responsible for antiquities ,Municipalities , the local community And the expatriate youth .

4-Through the proposed path, the visitor will get acquainted with the city of Tartous by meeting the past with the present and making the memory of the future .

5-The proposed project will ensure the automatic renewal of the waterfront .

6-Activating the image of the old city by linking the proposed solution with Arwad Port as part of future planning .

7-The research tried to deduce a ruler from the criteria that will be referred to when evaluating the progress of the proposal . Table (1) . In addition to evaluation using SWOT .The financial challenge represents the greatest possible difficulty facing the project

References

- [1] STEINBERG. F. *Revitalization of historic Inner city area in Asia* , Asian development bank , Philippines . 2008 .
- [2] HOLLIGSWORTH . T ; GOEBEL . A . *Strategies for postindustrial success from Garry to Lowell*.
- [3] UNITED NATIONS . *Culture and sustainable development report of the united nations educational scientific and cultural organization* , 2014 .
- [4] <https://ich.unesco.org/ar/-000003>. 7-4-2021 .
- [5] CHAN. Y. P . *Community Participation In Heritage Management: A Case In Macau* . Columbia University . 2016 .
- [6] <https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B7%D8%B1%D8%B7%D9%88%D8%B3>. 7-4-2021 .
- [7] HITTI . F (1950) . *History of Syria, Lebanon and Palestine* . Translated by Kamal Al-Yazji, House of Culture, Beirut .
- [8] SOURITY . A . *Summary of the History of Tartous, Tartous City Council*. 2018 . [9] SOURITY . A . *Tartous city – Syria* . Publications of the Ministry of Local Administration Printed in Spain . 2002 .
- [10] MULLER-WIENER . W (1982) . *Casteles of the crusaders* , (Translated by Muhammad Al-Jallad) . Thought House Damascus .
- [11] Tayyarah . K . B . *Cultural Historical Tourist Components of Tartous Old City And The Horizons of Developing it* . Tartous University Journal for Research and Scientific Studies – Arts and Humanities Series . 2018 .
- [12] The General Directorate of Antiquities and Museums in the Syrian Arab Republic , Tartous branch . 2020 .
- [13] *Total Interventions Project for the Old City of Tartous / Syria /*. 1997 .
- [14] SCHNEIDER , S . UCL Depthmap introduction to space syntax analysis software . Bauhaus universitat Weimar .
- [15] <https://wildlifeofsyria.com/2021/03/04/%d8%b4%d8%ac%d8%b1-%d8%a7%d9%84%d8%b3%d8%ac%d8%b1%d9%8a%d9%82-judas/>. 7-4-2021 .

التنقل على الطرق كنظام عمل ملموس: مساهمة علم اجتماع المنظمات في وضع سياسة للسلامة على الطرق في المغرب.

La Mobilité routière comme système d'action concret : l'apport de la sociologie des organisations pour l'instauration d'une politique de sécurité routière au Maroc.

Sidi Mohamed El Hassani

Professeur Chercheur en Sociologie.FLSH- Saïs. Usmba-Fès. Maroc

E-mail :Elhassani79@gmail.com

ملخص:

تكتسي مقارنة السلامة الطرقية كظاهرة اجتماعية أهمية متزايدة بالنظر إلى المكانة التي يحتلها السلوك البشري في سير قطاع النقل وفي الاختلالات التي يعرفها القطاع والتي تكلف الدول تكلفة باهضة سواء من الناحية المالية أو البشرية. والواقع أن أي سياسة تهدف إلى تحسين السلامة في الطرق ونوعية الخدمات المقدمة يجب أن تكون مستوحاة من المقاربة السوسولوجية. ومن بين النظريات ضمن هذه المقاربة، يستخدم التحليل الاستراتيجي للدكتور ميشيل كروزيهو إيرهارد فريدبرغ، مفهوم نسق الفعل الملموس، المستمد من علم الاجتماع الأمريكي، وخاصة نظرية العقلانية المحدودة لهربرت سيمون. فنظرية التحليل الاستراتيجي لا ترى أن أدوار الأطراف الفاعلة في أي نسق محددة سلف، بل هي مبنية في خضم التفاعل الذي يقتضيه نسق الفعل الملموس. يشير هذا المفهوم إلى التقاء وتمفصل الألاعيب في التنظيم بطريقة تسمح بالتحكم الشامل في اللعبة. وهو مرتبط بكل بشري منظم يجمع بين أفعال الأفراد من خلال آليات لعب مستقرة نسبيا ويحافظ على بنيته، أي على استقراره وتوازنه، من خلال تشكل آليات فعلتبتق في السياق. في أي مدى يشكل قطاع النقل في المغرب نسقا ملموسا للفعل؟ وما تأثير ذلك على السلامة على الطرق؟

كلمات مفاتيح: السلامة الطرقية- نسق الفعل الملموس- التحليل الاستراتيجي- المقاربة السوسولوجية

Résumé :

L'approche de l'insécurité routière comme phénomène social revêt une importance de plus en plus croissante vu le poids que représente le comportement humain dans le fonctionnement du secteur de transport d'une part et dans les dysfonctionnements que connaît le secteur et dont les effets coutent cher aux Etats en termes financiers et humains de l'autre part. En effet, toute politique qui vise à améliorer la sécurité routière et la qualité des services rendus doit s'inspirer de l'approche sociologique. Parmi les théories de cette approche, l'analyse stratégique, cher à Michel Crozier et Erhard Friedberg, emploie le concept de système d'action concret, dérivé de la sociologie américaine, notamment la théorie de la rationalité limitée d'Herbert Simon. L'analyse stratégique ne voit pas que les rôles des acteurs sont prédéterminés, mais plutôt

construits au milieu de l'interaction qui est incluse dans le système d'action concret. Ce concept fait référence à la confluence et à l'articulation des jeux dans l'organisation d'une manière qui permet d'obtenir un contrôle global. Il est lié à un agrégat humain structuré qui combine les actions des individus à travers des mécanismes de jeu relativement stables et maintient sa structure, c'est-à-dire sa stabilité et son équilibre, et forme ces mécanismes lorsqu'il utilise d'autres jeux.. Alors, dans quelle mesure le secteur du transport au Maroc constitue un système d'action concret ? et quel impact aura ce constat sur l'insécurité routière ? c'est ce qu'on entend traiter dans le présent article.

Mots clés : sécurité routière, analyse stratégique, système d'action concret, approche sociologique

Le transport routier est un vecteur important dans le développement du Maroc. Selon le ministère de tutelle, les moyens de transport connaissent une augmentation annuelle de 3 à 5%, en corollaire de la croissance économique du pays. Si cette croissance a un impact positif sur le développement, l'insécurité routière demeure un grand problème auquel le Maroc est confronté. En plus de la douleur et de la souffrance, les accidents de la route causent au Maroc des pertes économiques énormes. Selon une étude de la BIRD, l'estimation du coût des accidents de la circulation au Maroc représente 2,5 % du PIB, soit 8 milliards de dirhams par an (estimation de l'année 2000). Si la tendance actuelle est maintenue, ce montant atteindrait 10,5 milliards de dirhams en 2012. Le nombre de tués augmenterait pour sa part de 32% (pour atteindre environ 4.964 morts en 2012)⁸². Les données suivantes, issues du ministère de l'équipement, du transport et de logistique du Royaume du Maroc, donne une image du problème :

1 -Statistiques définitives des accidents corporels de la circulation routière au titre de l'année 2017 comparées aux statistiques de l'année 2016 :

- **Accident** : 89 375 soit + 10,78 %
- **Accidents mortels** : 3274 soit -1,30 %
- **Accidents non mortels** : 77 363 soit + 3,65 %
- **Tués** : 3726 soit -1,56 %
- **Blessés graves** : 10 429 soit + 7,16 %
- **Blessés légers** : **119 519** soit + 9,28 %

2-Statistiques provisoires de l'année 2018 comparées aux statistiques de l'année 2017 :

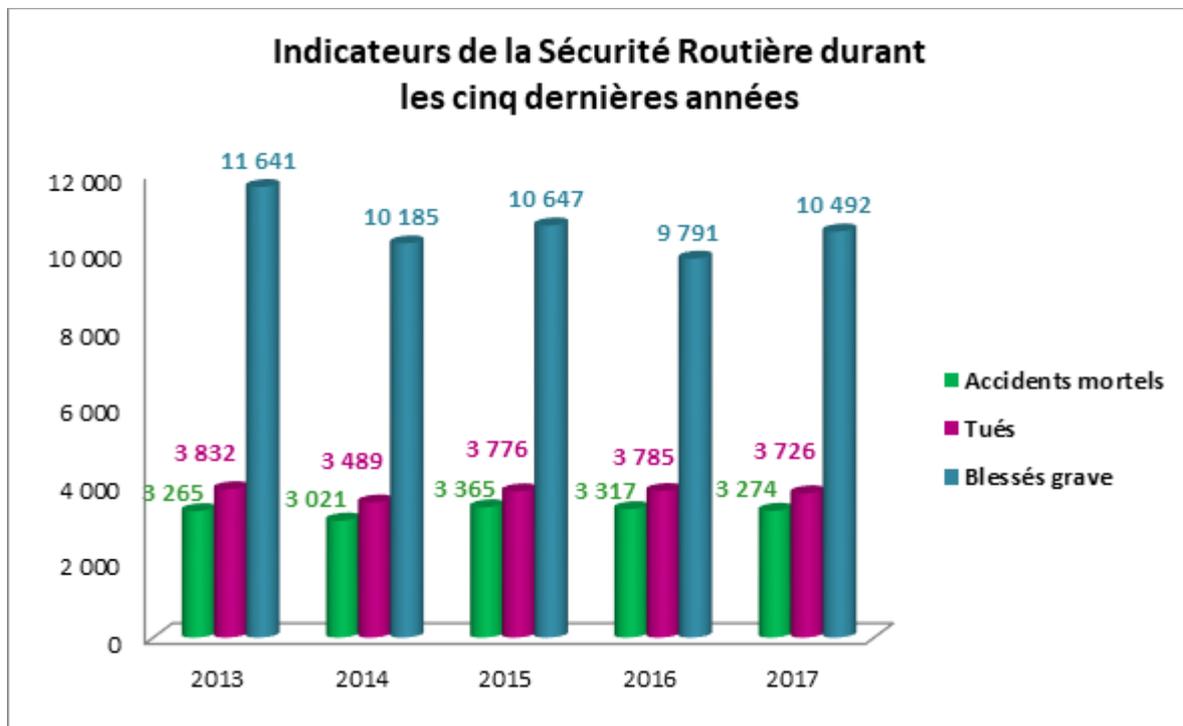
- **Accident** : 96 133 soit + 6,82 %

⁸²Page officielle du ministère de l'équipement, de transport et de logistique du Royaume du Maroc, <http://www.equipement.gov.ma/Transport-routier/Securite-routiere/Pages/PSIU.aspx>

- **Accidents mortels** : 3066 soit -0,62 %
- **Accidents non mortels** : 93 067 soit +7,08 %
- **Tués** : 3485 soit -0,40 %
- **Blessés graves** : 8725 soit -4,90 %
- **Blessés légers** : 128 249 soit +7,65 %

Indicateurs de la sécurité routière

Année	Accidents	Accidents mortels	Tués	Blessés grave	Blessés légers
2008	64 715	3 546	4 162	12 992	85 915
2009	66 958	3 489	4 042	12 479	90 264
2010	65 461	3 181	3 778	11 414	87 058
2011	67 082	3 636	4 222	12 482	89 529
2012	67 151	3 531	4 167	12 251	90 099
2013	67 926	3 265	3 832	11 641	90 399
2014	68 279	3 021	3 489	10 185	91 057
2015	78 003	3 365	3 776	10 647	104 395
2016	80 680	3 317	3 785	9 791	109 371
2017	89 375	3 274	3 726	10 492	119 519



Source : site officiel du Ministère de l'équipement, du transport et de logistique, Royaume du Maroc

Pour lutter contre l'insécurité routière et dans le cadre des réformes en cours dans le domaine du transport routier et de la sécurité routière au Maroc, la formation et la qualification des acteurs constituent un enjeu majeur qui vise à améliorer la sécurité routière et la qualité des services rendus.

Les évolutions dans le domaine législatif et réglementaire (Loi 16.99, Code de la route et Loi sur les transports de Marchandises dangereuses) ont exigé une qualification initiale obligatoire et une formation continue pour les conducteurs professionnels, les moniteurs de conduite, les animateurs de cours d'éducation à la sécurité routière et les agents des centres de visite technique ainsi que les Conseillers en sécurité du transport de marchandises dangereuses.

Ces documents législatifs stipulent également l'exigence de compétence professionnelle pour accéder aux métiers du transport routier et de la sécurité routière (chefs d'entreprises de Transport routier de marchandises pour le compte de tiers, les dirigeants des établissements d'enseignement de la conduite et des établissements d'éducation à la sécurité routière, et les centres de contrôle technique)

Les acteurs du secteur sont nombreux, et on peut les classer en fonction du domaine d'intervention comme suit :

Direction et gestion :

- Responsables du transport routier de marchandises
- Commissionnaires
- Locataires de Véhicules de transport des marchandises à travers les routes
- Opérateurs de transport routier de passagers
- Gestionnaires d'établissements d'enseignement de la conduite
- Responsables d'établissements d'animation de sessions d'éducation à la sécurité routière
- Responsables de centres de contrôle technique

Conduite :

- Transport routier de marchandises
- Transport de marchandises dangereuses par routes
- transport routier de voyageurs (urbain, interurbain, touristique)
- Transport scolaire
- Transport du personnel

- Taxis

Exploitation et organisation :

- Les commissionnaires
- Chef d'exploitation
- Conseiller de sécurité de transport de marchandises dangereuses

Contrôle :

- Agents de contrôle

Formation :

- Moniteur de conduite
- animateurs de sessions d'éducation à la sécurité routière

L'analyse stratégique emploie le concept de système⁸³, dérivé de la sociologie américaine, notamment de tendance fonctionnelle, avec une différence de mode de conception entre les deux perspectives. L'analyse stratégique ne voit pas que ces rôles sont prédéterminés, mais plutôt construits au milieu de l'interaction qui est incluse dans le système d'action concret. Ce concept, qui fait référence à la confluence et à l'articulation des jeux dans l'organisation d'une manière qui permet d'obtenir un contrôle global. Il est lié à un agrégat humain structuré qui combine les actions des individus à travers des mécanismes de jeu relativement stables et maintient sa structure, c'est-à-dire sa stabilité et son équilibre, et forme ces mécanismes lorsqu'il utilise d'autres jeux. Ce concept vise à donner une vision de la manière dont ils adoptent le système autour de la somme des règles formelles et informelles qui permettent de former des jeux ainsi que de construire des contraintes qui entravent les stratégies des acteurs.

Alors, dans quelle mesure le secteur du transport au Maroc constitue un système d'action concret ?

Comme nous le savons, la mise en vigueur des réformes législatives structurelles en relation avec la sécurité routière au Maroc appelle une reconsidération de la politique publique actuelle en matière de gestion du transport et la prise en compte des aspects liés à son contrôle et à son financement.

Par ailleurs, l'émergence du besoin à la sécurité routière des citoyens, donne lieu à la nécessité de déployer des efforts en termes de méthodes, d'infrastructures et d'équipements ce qui

⁸³ Crozier, M. et Friedberg E., L'acteur et le système, Paris, Le seuil, 1977

nécessitent la mobilisation de moyens matériels pour atteindre les objectifs fixés par l'Etat en partenariat avec les professionnels pour une meilleure compétitivité résultante de la qualification des acteurs.

Conscient de l'importance de ce sujet, le Ministère de l'Équipement et des Transports, à travers un bureau d'études international, s'est engagé dans la réalisation d'une étude sur « L'élaboration d'une stratégie nationale de formation aux métiers du transport routier et de la sécurité routière » et renforcer le rôle de l'État dans ces formations, relancer l'investissement privé et soutenir l'ingénierie de formation au sein des entreprises.

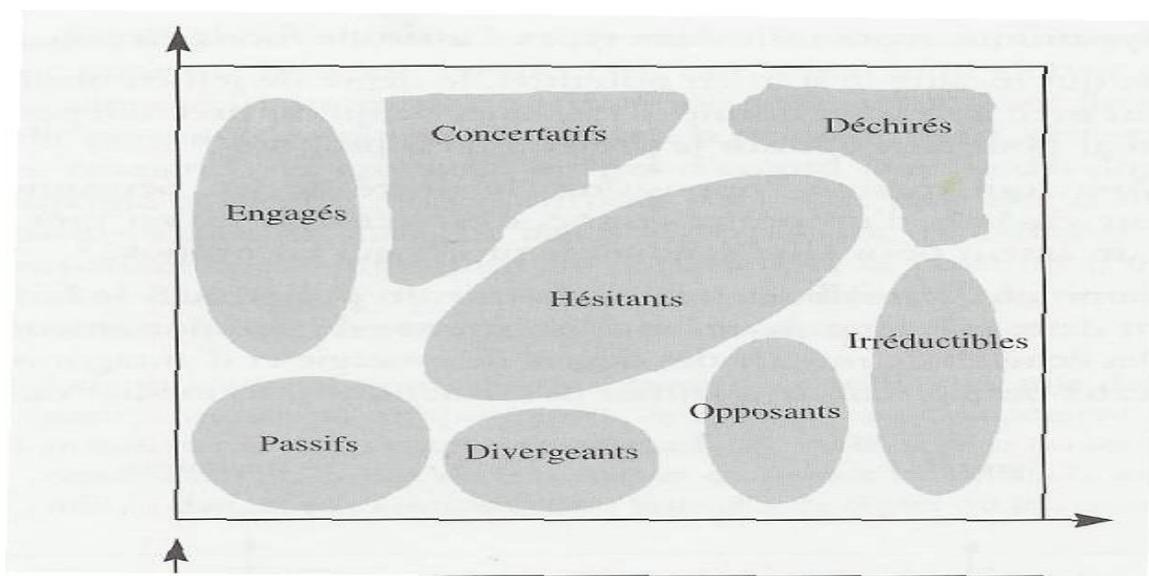
Cette initiative incarne la volonté de l'État en termes d'instauration des compétences dans les métiers et de disposition d'une stratégie susceptible de fournir des moyens pour assurer la maîtrise du système de formation professionnelle, qui recouvre des enjeux multiples au sein des politiques de transport, de sécurité routière, de formation et d'emploi. Cette étude comprend trois étapes :

- La première étape : faire le diagnostic de l'état actuel de la formation aux métiers du transport :
 - Recensement des différentes demandes de formation aux métiers du transport routier et de la sécurité routière.
 - Concevoir le déficit de formation attendu à court et à moyen terme selon les groupes cibles.
 - Lister les conditions actuelles du dispositif de formation aux métiers du transport routier et de la sécurité routière.
 - Évaluation des capacités actuelles et projetées à développer l'offre de formation aux métiers du transport et de sécurité routière
- La deuxième étape : Élaborer une stratégie de formation aux métiers du transport routier et de la sécurité routière:
 - Mener des recherches sur des systèmes de formation similaires dans les pays étrangers;
 - Déterminer les objectifs envisagés au niveau quantitatif et qualitatif de la formation aux métiers du transport et de la sécurité routière dans des horaires différents, ainsi que des moyens et des mesures potentiels alloués pour atteindre ces objectifs spécifiques ;
 - Fournir des suggestions concrètes et réalisables pour répondre aux besoins de formation des différents acteurs du domaine des transports, qu'il s'agisse d'institutions ou d'acteurs individuels.

- Déterminer les coûts d'investissement de chaque opération, la partie prenante responsable et le calendrier de sa réalisation chronologique.
- Prévoir les mesures incitatives adaptées (immobilier, fiscal, financier...)
- Déterminer les conditions de mise en œuvre d'un programme visant à accompagner les acteurs institutionnels du Ministère de l'Équipement en vue de les préparer pour devenir de véritables acteurs de référence.
- La troisième étape : le plan de mise en œuvre de la stratégie envisagée :
- Prévoir l'évolution de la demande de compétences à l'horizon 2020 pour diverses professions liées au transport routier et à la sécurité routière.
- Anticiper l'évolution de l'offre en formation nécessaire pour répondre à la demande.
- Le plan d'action pour mettre en œuvre la stratégie doit définir les rôles et responsabilités des différentes parties concernées.
- Identifier de nouveaux projets d'investissement pouvant être réalisés pour réduire l'écart entre l'offre et la demande.
- Établir des mécanismes de suivi de la gouvernance pour parvenir à un meilleur équilibre entre l'offre et la demande.
- Définir les mesures d'accompagnement nécessaires à cette activation.
- Mettre en place un plan de configuration par région.
- Développer des références aux métiers associés à chaque type de formation.
- Mettre en place un plan de formation des formateurs dans ce domaine.
- Envisager les modes de financement (gouvernement, collectivités locales, secteur privé, professionnels...)
- Signer des conventions et des contrats-programmes types du secteur public/privé qui clarifient les engagements des parties et les objectifs numériques visés en termes de quantité, de qualité et de nature configuration.
- Possibilité de créer des organismes (conseil) pour le suivi, la maîtrise, la direction, le suivi,...

On peut donc nous servir des concepts de l'analyse stratégique pour appréhender le secteur du transport au Maroc en tant que système d'action concret et ceci implique de déterminer les positions de chaque acteur et les rôles qu'il peut jouer par rapport à l'ensemble du

systeme sachant que pour chaque systeme d'action les acteurs peuvent se positionner comme le modele de Rémi Bachelet⁸⁴ le stipule:



En projetant ce schéma sur le secteur du transport au Maroc, avec ses parties prenantes déjà citées, on peut déceler un paysage actionnelle dont les positions s'étalent comme ici :

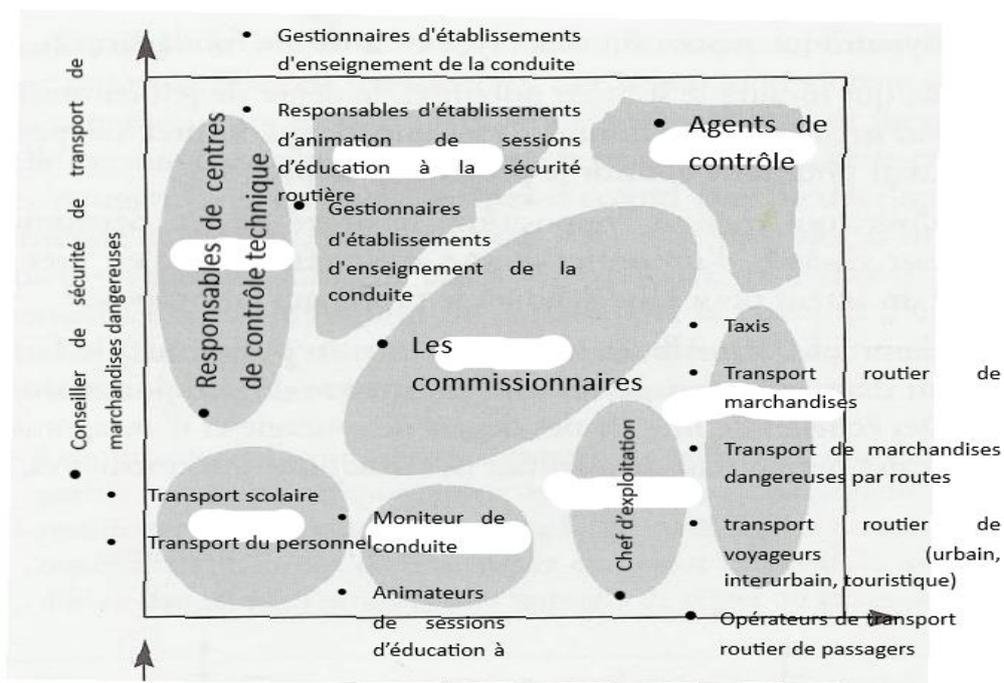


Diagramme synthétique de l'action au secteur de transport au Maroc

⁸⁴Rémi Bachelet, L'analyse stratégique des projets, cours disponible sur le lien : <http://rb.ec-lille.fr>

On peut analyser ce diagramme à partir de dimensions diverses dont l'impact répercute directement ou indirectement sur l'activité du transport et son impact sur la sécurité routière, ces dimensions sont à savoir :

- La dimension des ressources de chaque acteur : quelles soient d'ordre :
 - Techniques (les responsables des centres de contrôle technique, les opérateurs de transport de voyageurs et de marchandises)
 - Relationnelles (gestionnaires des établissements d'enseignement de la conduite qui font partie des acteurs de l'éducation à la sécurité routière auprès du public)
 - Connaissances (Les moniteurs de conduite et animateurs de sessions d'éducation à la sécurité routière, dont l'enjeu est de répandre la culture de sécurité routière)
 - Capacité de blocage (les syndicats des chauffeurs professionnels et des chauffeurs de taxis qui bloquent de temps à autre les projets de loi en relation avec le transport)
 - Légitimité (Les chefs d'exploitation, les Conseillers de sécurité de transport, qui disposent d'une autorité légitime de régulation)
 - Charisme (les agents de contrôle surtout sur les barrages routiers...)
 - Activisme (responsables d'établissements d'animation de sessions d'éducation à la sécurité routière qui mobilisent leurs capital relationnel pour assurer la sensibilisation à la sécurité routière et au comportement civique dans les routes , Les professionnels de transports de voyageurs et de marchandises et taxis qui font pression sur les autorités en vue d'amélioration des conditions de circulation routière)
- La dimension de zones d'incertitudes que comporte le champ d'action du transport, à savoir les tarifs par rapport à la sur demande sur les moyens de transport public surtout pendant les périodes de vacances et les événements religieux, le changement des prix de carburants, l'infrastructure routière défaillante, le comportement des autorités de sureté et de gendarmerie face aux infractions,...)
- La dimension du pouvoir et de marge de manœuvre dont chaque acteur dispose
- La dimension de la stratégie de chaque acteur en vue de préserver ses intérêts

La stabilité des relations établies dans ce système ne peut donc être confirmée à première vue, tant que ces relations reposent sur une logique où coexistent coopération et conflit. Le secteur de transport en tant que système d'action concret, tel que défini par Crozier et Friedberg, est un construit social, c'est-à-dire une réalité qui découle de l'intersection des actions des acteurs pendant le fonctionnement du système et non pas une donnée prédéterminée par l'organisation formelle telle qu'elle est stipulée dans les textes et

dispositifs juridiques. Michel Crozier a reconnu l'importance des réseaux relationnels comme composants structurants de la vie sociale et a considéré que les relations d'interaction reposent sur un pouvoir stratégiquement négocié. Selon lui, tout acteur a une marge de pouvoir sur le système auquel il appartient et sur les autres membres de ce système, pour autant qu'il existe des situations stratégiques appropriées aux problèmes posés par le fonctionnement de l'organisation, qui permettent aux différents acteurs d'utiliser les moyens de pression dont ils disposent. Mais leur pouvoir reste limité en raison de l'existence de règles de jeu qui limitent les possibilités d'agir⁸⁵. L'action sociale, selon la perspective de la théorie de l'analyse stratégique, s'enracine dans un processus relationnel dans lequel des dynamiques contradictoires et des mécanismes de négociation sont mobilisés par les acteurs pour gagner les enjeux des jeux de pouvoir.

Il est à noter que Friedberg, dans des ouvrages ultérieurs, va plus loin dans le développement de la réflexion théorique sur l'action, qu'il a initiée dans *l'acteur et le système* avec Crozier. Dans *Le pouvoir et la règle* (1993), il déplace son champ d'intérêt des organisations formelles vers l'action organisée. Indiquant que l'intérêt de l'analyse stratégique « ne se limite pas à l'organisation, mais à toutes les formes d'action collective⁸⁶ ». Ce passage de l'organisation à l'action organisée nécessite d'admettre qu'il existe des ambiguïtés dans les rapports sociaux que la régulation ne peut jamais contrôler : il s'agit alors de comprendre comment les acteurs imaginent des manières d'adapter leurs actions à l'environnement dans lequel ils se situent. Par conséquent, les quatre dimensions d'action suivantes doivent être prises :

- Le degré de la formalité de l'organisation, qui n'est pas toujours accomplie puisqu'il y a toujours des zones d'ombre qui apparaissent en permanence. Surtout le transport clandestin et la corruption des agents de contrôle ainsi que la détérioration du parc de véhicules et la hausse des prix nouveaux véhicules et pièces détachées
- Le degré de conscience et du sentiment d'appartenance des acteurs à l'organisation surtout que l'emploi au secteur du transport demeure précaire avec le système des agréments, ou leur implication dans une forme d'action collective. Ce sentiment, on le sait, est ce qui permet aux acteurs de prévoir leurs rôles, et de construire des stratégies d'action en fonction des préceptes de ces rôles et de la connaissance qu'ils ont de leurs interlocuteurs.
- Le degré de clarté des objectifs et l'unité des visions des acteurs tout autour. Il faut noter ici que la communication demeure encore faible entre

⁸⁵Crozier, M., La société bloquée, Paris, Seuil, 1970, p 38.

⁸⁶Friedberg, E., Le pouvoir et la règle : Dynamiques de l'action organisée, Ed. Du Seuil, 1997, p 14.

les autorités responsables du secteur et les professionnels d'autant plus que la relation entre les deux parties tend vers le contrôle⁸⁷ plus que vers la concertation et la collaboration.

- La façon dans laquelle les rôles sont distribués et les décisions sont prises, et la mesure dans laquelle tous les acteurs peuvent contribuer, ou si le processus est concentré entre les mains d'une personne ou d'un petit groupe. C'est le problème de la bureaucratie excessive qui caractérise l'administration dans les pays du tiers monde en général.

L'importance de cette approche, selon Friedberg, réside dans les « la multitude des sujets d'étude qui peuvent être inclus en dehors de l'organisation formelle⁸⁸ ».

Reference :

- Page officielle du ministère de l'équipement, de transport et de logistique du Royaume du Maroc, <http://www.equipement.gov.ma/Transport-routier/Securite-routiere/Pages/PSIU.aspx>
- Crozier, M. et Friedberg E., L'acteur et le système, Paris, Le seuil, 1977
- Rémi Bachelet, L'analyse stratégique des projets, cours disponible sur le lien : <http://rb.ec-lille.fr>
- Crozier, M., La société bloquée, Paris, Seuil, 1970.
- Friedberg, E., Le pouvoir et la règle : Dynamiques de l'action organisée, Ed. Du Seuil, 1997, Crozier, M., in : L'analyse des organisations, une anthologie sociologique, T.1, les théories de l'organisation, textes choisis par Francine Seguin et Jean François Chanlat, Gaëtan Morin, 1983.

⁸⁷ Crozier, M., in : L'analyse des organisations, une anthologie sociologique, T.1, les théories de l'organisation, textes choisis par Francine Seguin et Jean François Chanlat, Gaëtan Morin, 1983, p. 176

⁸⁸ Friedberg, E., Le pouvoir et la règle : Dynamiques de l'action organisée, Op.cit.p15.

عمارة الجريد التونسي حيث براعة الأجداد

L'architecture du Jérid Tunisien, où l'ingéniosité ancestrale

Insaf BCHINA

Unité de recherche VAD (Ville-Aménagement-Développement) / Université de Carthage.
e-mail : insafbchina84@gmail.com

Résumé : Cette recherche s'inscrit dans le cadre des recherches patrimoniales pour voir l'ingéniosité ancestrale de l'architecture traditionnelle du Jérid au Sud Tunisien (Tozeur et Nafta). Ainsi une multitude d'œuvres, depuis l'antiquité, témoignent d'un souci de l'ordre éprouvé par les constructeurs qui se traduit par les principes de symétrie, rythme, règles de rapport et notamment le nombre d'or, devenu à un moment donné un symbole d'équilibre visuel et un critère de beauté à l'occident.

Notre préoccupation dans ce travail de recherche est de connaître la nature du rapport de l'intégration dans le Jérid Tunisien, à savoir la dualité d'une architecture bioclimatique, est-ce qu'elle est en parfaite harmonie avec son milieu : l'utilisation des matériaux locaux et les modes de construction d'une part et le sens du beau de la composition architecturale d'autre part ?

Mots-clés : Architecture traditionnelle * Patrimoine * Ingéniosité ancestrale, Jérid Tunisien.

الملخص:

تندرج هذه الأوراق البحثية ضمن الأبحاث التي تعنى بالتراث لمعرفة براعة الأجداد في العمارة التقليدية في الجنوب التونسي تحديدا بشط الجريد "توزرو نفطة". حيث امتازت العديد من الأعمال الهندسية منذ العصور القديمة بالاهتمام بالترتيب الذي تم اعتماده من عاملي البناء و الذي ينعكس في مبادئ التناظر و الايقاع و القواعد و خاصة في النسبة الذهبية التي أصبحت في وقت ما رمزا للتوازن البصري و معيارا للجمال بالنسبة للغرب.

ان اهتمامنا في هذا العمل البحثي هو لمعرفة طبيعة علاقة الاندماج في الجريد التونسي بين العمارة البيومناخية و هل انها في تناسق تام مع محيطها من خلال المواد المحلية المستعملة و اساليب البناء من ناحية و بين جمال التكوين المعماري من ناحية أخرى.

الكلمات المفتاحية: العمارة التقليدية * التراث * براعة الأجداد* الجريد التونسي.

Introduction

« Là où naît l'ordre, naît le bien-être. »

Le Corbusier

En puisant dans l'histoire de l'architecture autour du monde, à travers les différentes périodes de l'existence Humaine et les civilisations connues sur terre, le chercheur ne s'attarde guère de constater une sagesse et des savoir-faire universels orientant la conception de l'habitat.

En effet, la nécessité de se mettre à l'abri des intempéries et de la brutalité du climat, a alimenté le génie humain qui s'est inventé des mesures constructives allant de l'implantation et l'orientation de la bâtisse jusqu'au choix des matériaux adéquats à mettre en place et les techniques appropriées. Alors, des créations architecturales partant de la compréhension du site et ses données prennent naissance instaurant ainsi un équilibre entre l'art, la technique et notamment l'expression des valeurs de la société.

De surcroît une multitude d'œuvres, depuis l'antiquité, témoignent d'un souci de l'ordre éprouvé par les constructeurs qui se traduit par les principes de symétrie, rythme, règles de rapport et

notamment le nombre d'or, devenu à un moment donné un symbole d'équilibre visuel et un critère de beauté à l'occident.

Toute somme faite, nous parvenons à conclure que l'architecture est un champ assez pertinent prouvant d'abord le rapport établi entre 'l'homme et la raison' et que 'l'équilibre est encore possible'.

Pour ce faire, nous avons choisi de traiter de l'architecture traditionnelle du Jérid Tunisien qui s'intègre parfaitement dans ce contexte, à savoir la dualité d'une architecture bioclimatique en parfaite harmonie avec son milieu et lesens du beau qui se manifeste à travers l'attention accordée aux façades extérieures et intérieures et à l'ornementation tout en obéissant aux règles de rapport et aux lois de composition.

I- Une création humaine adaptée à son milieu

Les premiers habitants du Jérid, qui est une région semi-désertique du sud-ouest de la Tunisie, ont pu trouver la juste équation en occupant cette portion territoriale. Certainement, le choix stratégique de s'implanter dans une zone d'oasis située entre deux chotts n'est point gratuit.



Figure 1 : Carted'Interprétation de la Tunisie : Zone des architectures des oasis.

Source : BCHINA Insaf(Photoshop CS6).

D'abord, la présence de l'eau qui est une condition cardinale pour toute vie humaine soit pour l'alimentation, la vie domestique ou encore les activités agricoles aencouragéune telle implantation.

D'autre part, les occupants de cette zone spatiale entaient sans doute conscients du rôle déterminant de l'oasis. En effet, ce dernier est un véritable **filtre d'air**, servant à réduire la vitesse des vents et à retenir les particules de sable formant ainsi un véritable écranvégétal. De surcroit, il atténue les rayons solaires intenses en créant des zones ombragées qui, en présence de l'eau, contribuent à rafraîchir l'air ambiantdu village créant ainsi un microclimat propice, convenable à la vie humaine.



Figure 2 : Agglomération à l'intérieur de l'oasis

Source : KIOUA Regaya et REKIK Ridha (2004)



Figure 3 : Vue panoramique de la ville de Nafta

Source : www.cariassoiation.org

Nonobstant l'importance d'une telle implantation, elle reste insuffisante à l'égard des conditions climatiques assez difficiles du milieu, en revanche d'autres mesures ont été prises afin de garantir un bien être satisfaisant.

- **Un Savoir-faire à l'échelle urbaine**

Ce qui caractérise la forme urbaine des villages du Jérid est essentiellement **letissucompact** et dense. Une telle configuration spatiale est indéniablement réfléchie et a permis ainsi de créer de l'ombre et de réduire les surfaces extérieures exposées au rayonnement solaire. En outre, c'est une mesure faite afin de palier aux tempêtes hivernales



Figure 4 : Tissu Urbain de la ville de Tozeur



Figure 5 : Tissu Urbain d'El Menzel à Gabès

Source : KIOUA Regaya et REKIK Ridha (2004).

Pour ce qui est de la trame viaire, elle est constituée dans sa majorité de voies de direction Est-Ouest permettant de profiter des airs frais auxquelles s'ajoutent des voies de direction Nord-Sud d'envergure moins importante.

Les différentes composantes urbaines de la ville « Jéridienne » s'adaptent parfaitement aux conditions climatiques. D'ailleurs, les **rues** sont étroites et sinueuses atténuant ainsi l'exposition de la construction aux vents violents. En outre, la hauteur importante des façades des maisons donnant sur ces rues peu larges permet de les mettre à l'abri du rayonnement solaire intense notamment en été.

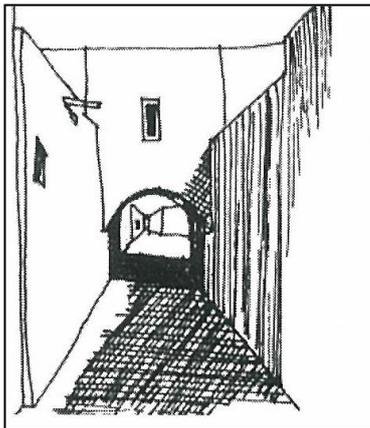


Figure 6 : Zone d'ombre dans la rue.

Source : KIOUA Regaya et REKIK Ridha (2004).

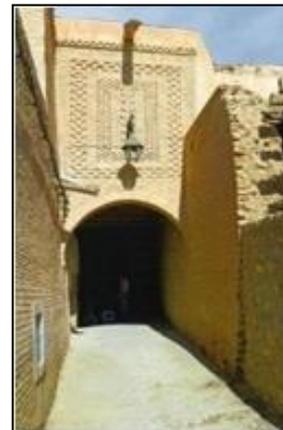


Figure 7 : Vue montre la forme et l'articulation de la rue.

Source : BCHINA Insaf (2019)

Au croisement des rues, se dressent des « **Sabats** » permettant à une construction donnée de franchir au niveau del'étage. Cet espace extérieur couvert sert d'élément d'appel marquant la transition vers une placette, une grande demeure ou encore un changement de direction.

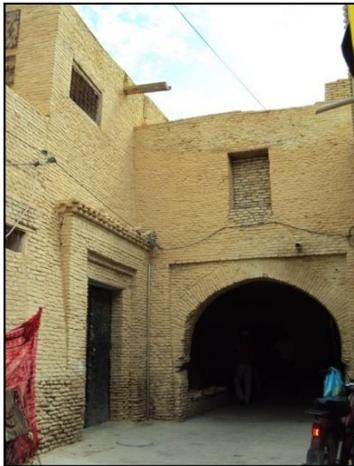


Figure 8 : Vue Sabat à Nafta.

Source : BCHINA Insaf (2019)



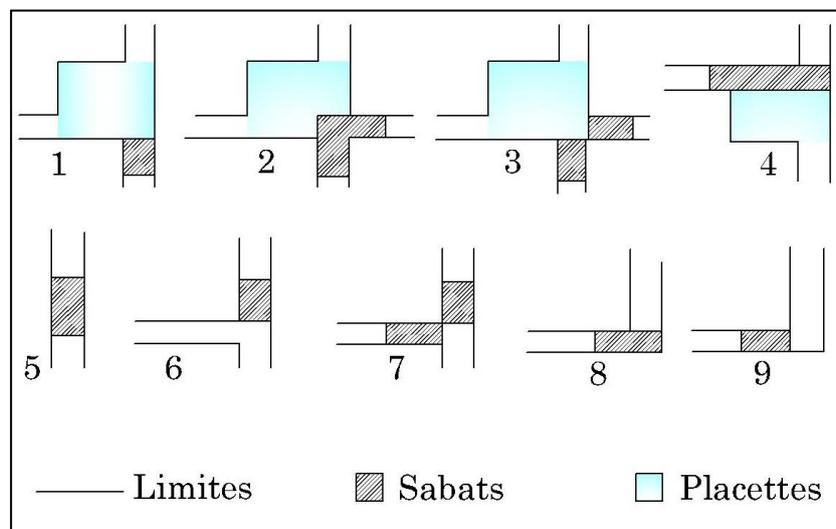
Figure 9 : Vue Sabat à Tozeur.

Source : BCHINA Insaf (2019)

Cette composante urbaine est un véritable élément de protection solaire qui sert à atténuer l'intensité du rayonnement solaire et de créer en contre partie des zones ombragées par-dessous munis souvent de banquettes, il en résulte un lieu de détente à l'abri du soleil d'été. La dépression ainsi crée entre les zones ensoleillées et les

Figure 10 : Les différents types d'articulation de Sbat, rue, impasse et placette.

Source : BCHINA Insaf (Autocad 2016)



autres ombragées favorisent une ventilation naturelle requise dans ce contexte géographique.

La même contribution bioclimatique est assurée par les **galeries** ou encore les « Bortals » donnant sur des placettes, ouvertes et garnies d'arcades en rez de chaussée et surmontées d'un étage.

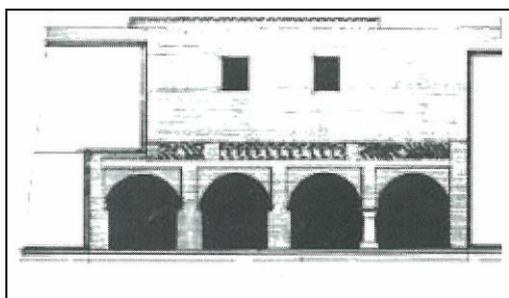


Figure 11 : Galerie avec arcades et ouverture à l'étage élément d'enrichissement de la façade urbaine de la
Source : KIOUA Regaya et REKIK Ridha (2004).

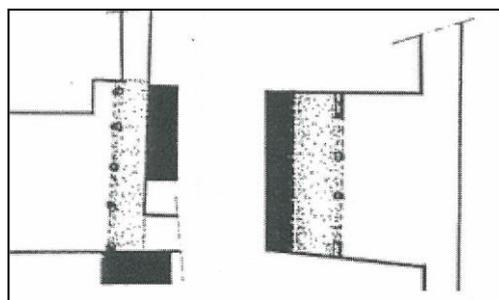


Figure 12 : Galerie public avec trois façades et Galerie approprié avec une seule façade.

Une autre composante architecturale vient s'ajouter à cet arsenal d'éléments bioclimatique, qui n'est autre que les **placettes**. Il s'agit d'espace extérieur à ciel ouvert de forme carrée ou rectangulaire et dont la largeur est supérieure à la hauteur des murs qui l'entourent, une mesure faite pour assurer la coexistence de zones ensoleillées et d'autres ombragées et par conséquent, ce qui facilite la ventilation naturelle du lieu en question.

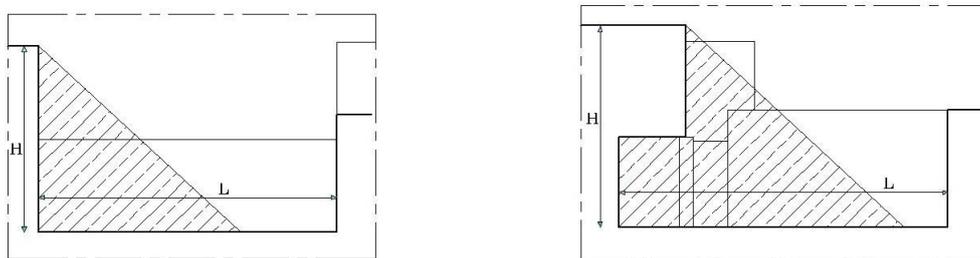


Figure 13 : La largeur (L) de la Placette est toujours supérieure à sa hauteur (H).



Figure 14 : Vue montre la Placette et le Sabat à Tozeur

Source : BCHINA Insaf (2019)

• Une réponse bioclimatique à travers les spécificités architecturales

L'architecture au Jérid est distinguée par son caractère introverti avec un minimum d'ouvertures sur rue avec laquelle l'habitation communique via une **skifa** en chicane servant de filtre entre l'extérieur et l'intérieur formant ainsi un coupe-vent un brise-soleil à la fois.



Figure 15 : Vue en plan de Skifa à Tozeur



Figure 16: Vue en Elévation de Skifa

Source : KIOUA Regaya et REKIK Ridha (2004).

L'habitation oasienne appelée « Houch » est une construction à patio autour duquel s'articulent les chambres « Dar », les dépendances et éventuellement un étage partiel dans la plupart des cas de figures. Le **patio**, ce vide occupant souvent le ¼ de la masse bâtie est un véritable régulateur thermique qui -doté d'une largeur toujours

supérieure à la hauteur- module l'ensoleillement, assure l'aération des pièces adjacentes et permet de créer un microclimat favorable aux activités domestiques.

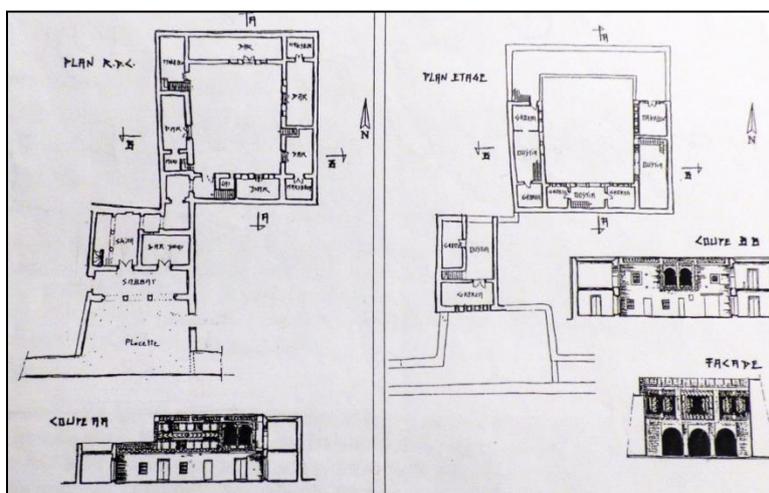


Figure 17 : Vue en plan de Houch à Nafta (RDC)

Figure 18: Vue en plan de l'étage

Source : Architecture de la maison à Nafta, matériaux et techniques, page 159.

L'organisation spatiale de la maison « Jérienne » s'adapte au mieux aux données climatiques du milieu, ainsi le secteur orienté Est, Sud et Nord est consacré aux espaces nobles qui sont essentiellement les chambres, tandis que l'orientation ouest abrite les espaces de service comme la salle d'eau, la cuisine, les étables le cas échéant.

Revenons dans cette perspective sur les types de chambres et leur morphologie. En effet, cette unité d'habitation est appelée Dar quant elle est logée au Rez de chaussée et sert d'espace de nuit surtout hivernal, elle est munie souvent d'anti chambre (Maqsoura) ou encore d'une mezzanine (sedda).

Un nomadisme saisonnier est remarqué au sein de la maison traditionnelle : la chambre orientée Nord est occupée surtout pendant l'été, tandis que la chambre orientée Sud est occupée pendant l'hiver. Quand la chambre est logée à l'étage, il s'agit alors de « ghorfa » occupée essentiellement en été. Ces pièces de forme rectangulaire dont la largeur est de l'ordre de 2.5 m et de longueur pouvant atteindre les 10 m, se voient souvent dotées de grandes fenêtres basses pour l'éclairage et de

petites fenêtres hautes au-dessus de la porte pour dégager l'air chaud et permettre en même temps la ventilation naturelle de la pièce.



Figure 19 : Patio d'un Houch à Nafta
Source : BCHINA Insaf (2019)



Figure 20 : Patio avec galerie en arcades
Source : BCHINA Insaf (2019)



Figure 21: Plafond en solive d'une entrée d'un Houch à Nafta
Source : BCHINA Insaf (2019)



Figure 22: Plafond en solive d'une galerie à Tozeur
Source : BCHINA Insaf (2019)



Figure 23 : Vue d'une chambre (Ghorfa) à Tozeur
Source : BCHINA Insaf (2019)

• **Des techniques et matériaux de construction adéquats**

Dans le Jérid, les murs sont souvent construits en brique pleine crue à base d'argile et de sable argileux, à laquelle on rajoute souvent de la paille comme stabilisateur afin d'en augmenter la compacité forme un bon isolant thermique, toutefois elle résiste peu aux variations hygrométriques. De ce fait, il faut la protéger par des briques pleines cuites comme parement extérieur et à l'intérieur par un enduit de plâtre ou de chaux traditionnel ce qui dote le mur d'une façade en double peau appelée localement « S'houk » .

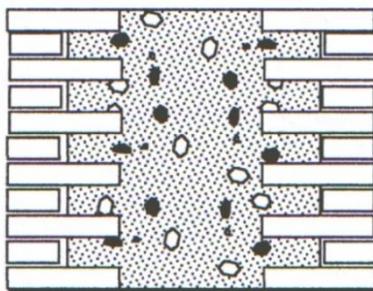


Figure 24 : Mur périmétral à double parement simple (technique S'houk).

Source : BCHINA Insaf (Autocad 2016).

Dans d'autres cas de figure, les murs sont construits en moellons de pierre liés à la chaux grasse naturelle avec renforcement des angles en pierres de taille ayant ainsi une épaisseur de l'ordre de 60 à 80 cm ce qui lui confère une inertie thermique suffisante pour mettre les constructions à l'abri de la chaleur estivale. Par conséquent, ces murs sont dotés à la fois d'une bonne résistance mécanique, une grande inertie thermique et une excellente isolation grâce aussi au mortier de chaux grasse naturelle passée en 2 à 3 couches et les peintures à la chaux alunée.

Quant aux toitures, elles sont généralement plates, parfois en voûtes berceau mais seuls les lieux de culte sont couverts par des coupoles. Ces toitures sont constituées de dalles de pierres plates en calcaire blanc et des solives de bois de palmier en ½ tronc de palmier recouvert de planches colmatées au mortier de chaux, par-dessus est coulée une couche de terre battue d'environ 40cm pour faire la forme de pente qu'on recouvre d'un mortier de chaux battu pour l'étanchéité ; des gargouilles en pierre ou en bois de palmier récupèrent les eaux pour les rejeter loin de la façade.



Figure 25 : Plafond du Jérid en Sannoûr (Solives en stipes de palmier).

Source :BCHINA Insaf (2019)

Pour réaliser les voûtes, les arcs et les coupoles, le « Jéridien » utilise la pierre calcaire blanche et plate montée au mortier de chaux ou de gypse. La performance thermique de ce type de couverture tient tout autant à l'utilisation du mortier de chaux grasse naturelle qui est un excellent enduit permettant aux murs de respirer et donc de ne pas retenir l'humidité, aussi bien qu'à la volumétrie courbe, cassant les rayons solaires.

Ceci dit, nous parvenons à constater ainsi que les matériaux de construction usuels dans la zone de Jérid sont des matériaux locaux par excellence. Leur fabrication et mise en œuvre rejoint les principes de l'architecture nommée de nos jours d'« écologique » d'ailleurs, la fabrication des briques en est témoin. En fait, pour fabriquer ces briques, les « artisans » utilisaient l'eau de l'oasis, l'argile ou la terre emmenée des proximités, ensuite la cuisson est faite dans un four alimenté par les palmes taillées.

Ainsi, la briqueterie favorise l'élimination des déchets végétaux provenant de l'industrie des dattes. Par ailleurs, même l'exploitation du bois de palmier est une exploitation durable, étant donné qu'on ne prélève pas des bois de palmier productifs.



Figure 26 : Fabrication des briques en terre cuite.

Source :BCHINA Insaf(2019)

II-Dimension esthétique dans l’art de bâtir au Jérid

Le savoir-faire ancestral des artisans et des maçons appuyés par un goût artistique raffiné, ont doté l’architecture du Jérid Tunisien d’une posture singulière, inédite et suffisamment codifiée. C’est une architecture originale par ses éléments architectoniques, ses façades élancées pouvant atteindre les 10mètres de hauteur aussi bien que par le revêtement à l’aide des briques pleines cuites qui constituent le module de base pour l’ornementation des façades. Minutieusement assemblées, ces briques créent une grammaire ornementale unique avec une variété de combinaisons inspirées de l’environnement local en général, et de l’oasis en particulier. On retrouve ainsi des représentations du palmier, chameau, serpent, chaîne, bordure horizontale, colonne, etc.

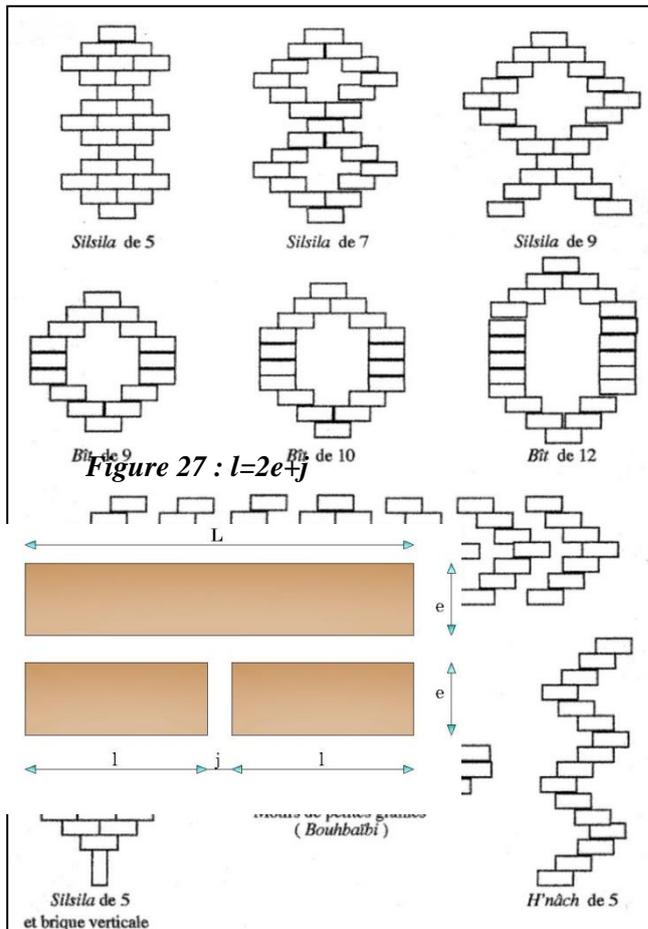


Figure 29 : Exemples des éléments décoratifs primaires employés dans les imbrications.

Source: KIOUA Regaya et REKIK Ridha (2004).

La maison traditionnelle se revêt alors de la couleur ocre des briques dont l'appareillage est régulier au niveau de la partie inférieure de la façade et qui devient paradoxalement plus complexe au niveau de la partie supérieure où les briques sont tantôt en saillie tantôt en retrait, créant ainsi des tableaux uniques animés par un jeu de lumière et d'ombre.

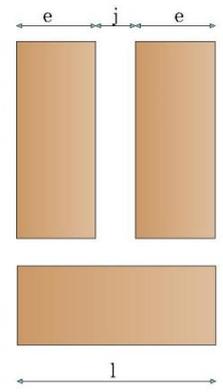


Figure 28 : $L=2l+j$

Source :BCHINA Insaf (Autocad, 2016)



Figure 30 : Vue générale d'une façade d'une maison traditionnelle à Tozeur.

Source : BCHINA Insaf (2019).

La règle de symétrie axiale règne dans la composition des façades surtout lorsqu'il s'agit des galeries dans l'espace domestique ou encore en présence de « bortal » donnant sur les placettes.



Figure 31: La symétrie est la règle générale de la composition des façades intérieures et extérieures.

Source : BCHINA Insaf (Autocad 2016).

Pour ce qui est des éléments architectoniques, ils sont témoins d'une attention particulière accordée à l'ornementation. D'abord, les portes façonnées en bois du palmier présentent une diversité de motifs réalisés à base de clous.



Figure 32 : Porte à Tozeur

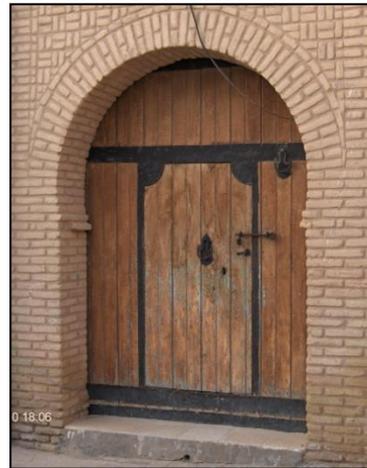


Figure 33 : Porte à Nafta

Source :BCHINA Insaf (2019).

Ces portes sont d'autant plus munies d'un encadrement en brique et garnies de corbeaux, venant orner la façade aveugle des habitations du Jérid.



Figure 34 : Porte avec linteaux en bois de palmier



Figure 35 : Porte à corbeaux

Source :BCHINA Insaf (2019)

Un autre élément spécifique de la façade oasisienne est les meurtrières qui sont des fentes rectangulaires situées à une hauteur approximative de 6 mètres du sol et disposées en double rangée en alternance. Bien que leur raison d'être est essentiellement fonctionnelle, à savoir le support des solives portant la toiture et d'autres servant à sécher les dattes, ces meurtrières ou encore « Tiags » s'intègrent

parfaitement dans le panneau décoratif qui les encadre et contribuent à l'animation de la façade en créant des zones ombragées ponctuelles.

Il ne nous manquera guère de mentionner dans cette perspective, le souci des proportions et des règles du beau qui apparaît nettement au niveau des arcades « acaouas ». D'ailleurs, cet élément de base formant les galeries s'inscrit dans un rectangle de proportion $H=2L$. La partie basse, quant à elle, est inscrite dans un carré coiffé d'un arc outrepassé inscrit à son tour dans un **rectangle d'Or** de proportion : largeur(l) égale à la racine carrée de la hauteur (h).

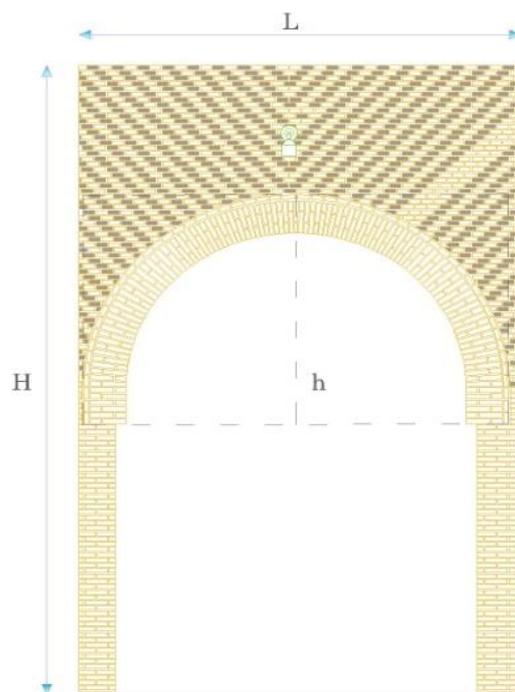


Figure 36 : Arcade en brique

Source :BCHINA Insaf (Autocad 2016)

Pour ce qui est des piliers, ce sont un élément fondamental du vocabulaire architectural du Jérid. Ils épousent des formes carrées, rectangulaires, circulaires ou polygonales et enrichissent ainsi la palette des éléments architectoniques de l'ensemble urbain.

Conclusion

Cette lecture faite dans l'architecture traditionnelle de la zone du Jérid Tunisien nous laisse voir de près le bon sens ancestral qui a su établir l'équilibre requis entre les contraintes du milieu et les besoins des usagers. Cette ingéniosité tire son originalité dans l'intégration de cette architecture dans son milieu et son contexte socio-économique.

Par ailleurs, la morphologie urbaine ainsi que les formes architecturales ne sont point le fruit du hasard, ils sont en revanche le condensé d'une pratique constructive réfléchie.

En guise de conclusion, il nous alors convient d'admettre que l'architecture n'est pas exclusivement les monuments et les grands édifices. Elle est également le reflet des traditions et culture. L'environnement bâti a été d'abord rédigé par les artisans avant d'être conçu par les concepteurs : architectes, ingénieurs, architectes d'intérieurs etc....

Bibliographie

- KIOUA Regaya et REKIK Ridha, "*Les spécificités Architecturales du Sud Tunisien*", Nouha Editions, Direction de l'Urbanisme, Nouha Editions, 2004, 249pages.
- I.Hababou Allagui, "*Nefsa, entre ombre et lumière*", Archibat n°2, L'habitat: la maison, Tunis, Juin 2001.
- "*Histoire de l'architecture en Tunisie De l'antiquité à nos jours*", Centre de Publication Universitaire, 2ème édition, 2010, 264 pages, 93 planches illustrées, 64 plans.
- MRABET Abdellatif, "*L' art de bâtir au Jérid: étude d'une architecture vernaculaire du Sud tunisien*", Edition Faculté des lettres et des sciences humaines, 2004, page 167.

Sites d'internet

- Ben Nasr Taycir, "*Sauver l'Oasis de Nefta*", [en ligne], disponible sur : <https://nawaat.org>, (consulté en Janvier 2016).
- Battesti Vincent, "*Les oasis du Jérid : des révolutions permanentes ?*", Projet « Recherche pour le développement de l'agriculture d'oasis », [en ligne], disponible sur : <https://halshs.archives-ouvertes.fr>, (consulté en Juillet 2016).
- *La genèse des jardins en islam et les Jardins historiques de marrakech*, [en ligne], disponible sur : <http://www.unesco-paysage.umontreal.ca>, Workshop de la CUPEUM Marrakech 2004, La Palmeraie de Marrakech – un paysage périurbain, par Csilla Pordany-Horvath, Université de Montréal, 15 pages, (consulté en Décembre 2012).